السبت 13 آيار 2023
العدد 4912 السنة السابعة عشرة
Samedi 13 Mai 2023 no 4912 17ème année

24 صفحة
20000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

جانيت أبو لغد
الاستبداد الشرقي كذبة أوروبية

الإمارات تمعن في جريمة قتل عز الدين... خنوع لبناني ومطالبات دولية بتحقيق مستقل [4]

نصرالله: لم تعد لديكم حجة لعدم الذهاب إلى سوريا [3]

انتخاب وشيك للرئيس: فرنجية vs أزعور؟ [2]

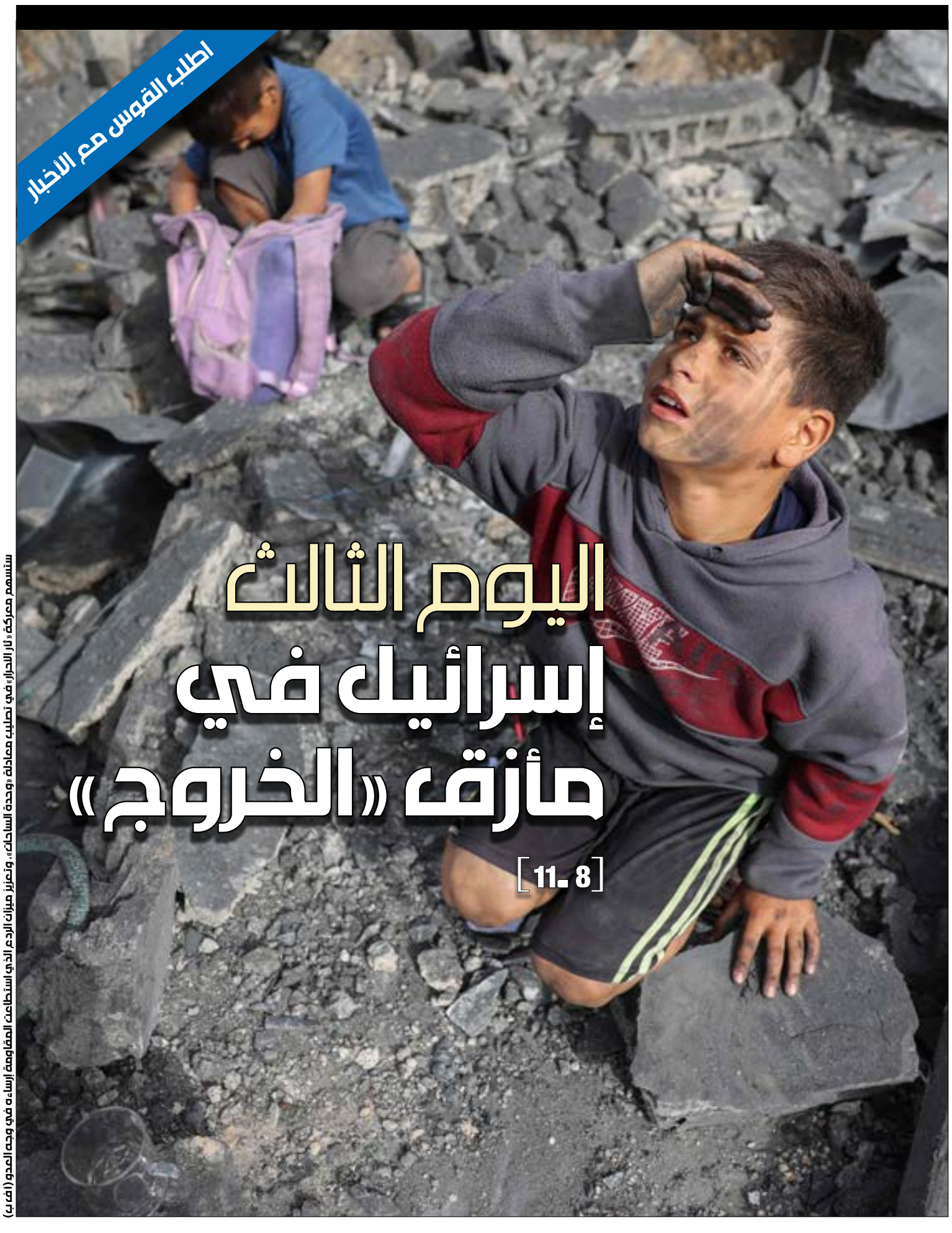

سنسهم معركة «ثأر الأحرار» في تصليب معادلة «وحدة الساحات»، وتعزيز ميزان الردع الذي استطاعت المقاومة إرساءه في وجه العدو (أ ف ب)

رأي

حتى لا ننسى
ما هو اتفاق 17 أيار؟
6

تقرير

المحكمة العسكرية
حسن عطية ليس عميلاً
4

تقرير

القضاء يساند نقابة المحامين
كم الأفواه حقاً!
5

البلاد

ملف

75 عاماً على النكبة
فلسطين أمامنا

[12 - 15]

في الواجهة

الانتخاب الوشيك للرئيس: فرنجيه vs أزعور؟

قلما يصدف، خلافاً للطبيعة، ان يُنجد الفرع الاصل. في الغالب العكس هو الاصح. لعل الفضيلة الاساسية من مغادرة حاكم مصرف لبنان رياض سلامة منصبه، استعجال انتخاب رئيس للجمهورية قبل الوصول الى نهاية ولاية المغضوب عليه، المُرحَّل والمعفى عنه

نقولا ناصيف

في الاسبوعين الاخيرين حجب السفير السعودي وليد البخاري دوري عزابي الاستحقاق الرئاسي السفيرتين الأميركية دوروثي شيا والفرنسية ان غريو. كما حجبت السفيرتان في الاشهر المنصرمة اذا تحركتا او احتجبتا، تكلمتا او صمتتا، كذلك اضحى البخاري أخيراً. اذا التزم الصمت نظر بريبة الى سكوته وصار الى تاويله في هذا الاتجاه او ذاك. كذلك اذا حكى. الامر نفسه اذا استدعته حكومته او عاد الى البلاد. في الايام الفائتة صارت انتخابات الرئاسة تدور من حوله. مرة هو عقبة في طريق اجراء الاستحقاق، واخرى انه يستعجله. اذا استقبل احداً او أحجم عن لقاء احد آخر كثرت التكهنات من حول تصرّفه على انه موقف سياسي يوصف تارة ايجابياً وطوراً سلبياً. ورث البخاري من شيا وغريو دوريْهما من دون ان يُتوقع ان يرث احد آخر دوره. في نهاية المطاف يُعدّ السفير السعودي اليوم، منفرداً او يحظى بدعم الاميركيين، الصانع الفعلي لانتخاب الرئيس المقبل دونما ان يؤيد مرشحاً او يناوئ آخر. ربما احد ما أخبره يوماً ببعض القصص الفضائحية لعبد الحليم خدام وغازي كنعان في لبنان، منها التريثم.

مَن التقى البخاري في الايام الاخيرة، قبل اجتماعه الخميس برئيس تيار المردة سليمان فرنجية وبعده، استخلص المعطيات الآتية:

1 - استعجاله انتخاب الرئيس الجديد في اسرع وقت ممكن، والا فسيُسلط سيف العقوبات على رقاب المتسببين في استمرار تعطيل الانتخاب. دونما الأقصاح عمّن سيلجأ الى العقوبات من البلدان، اكتفى بالقول انها دولية. لن يكون صندوق النقد الدولي في منأى عن ممارسته هو الآخر ضغوطاً مماثلة. المضاف الى كلام البخاري معلومات وصلت الى المسؤولين اللبنانيين مفادها قرار الصندوق ان يكون المعبر الوحيد والالزامي لكل ما يمكن ان يدخل الى لبنان. المتوقع ايضاً ارتفاع نبرة الصندوق منذ مطلع الشهر المقبل على نحو غير مسبوق.

2 - على الافرقاء اللبنانيين احد خيارين: التوافق العام على مرشح واحد للرئاسة وهو افضل الخيارين لتفادي مزيد من الانقسام، او الذهاب الى مجلس النواب بمرشحَيْن يتنافسان على أصوات النواب للفوز. عدا ما عنى بذلك حضّه الكتل والاحزاب المسيحية على التقدم بمرشح يجبه فرنجية المستمر في ترشيحه وفي استمرار دعم الثنائي الشيعي له. ما قاله السفير ايضاً ان ليس للمملكة مشكلة مع الفائز أخيراً ما دام انتخب دستورياً وديموقراطياً. اياً يكن الرئيس المقبل لن يكون خصماً للمملكة او معادياً لها. ليس لديها اعداء في لبنان ولا خصوم حتى، وهي منفتحة على الافرقاء جميعاً.

هي اذاً اشارة ايجابية الى الموقف من فرنجية في حال اضحى رئيساً، متقدمة على ما كان قيل قبلاً ان المملكة وضعت فيتو على انتخابه وتمنع عبر النواب القريبين منها التصويت له. بعد لقاء الرجلين الخميس وتاكيد السفير اكثر من مرة ان لا فيتو سعودياً على اي مرشح، تتضح اهمية موقفه الجديد وتدرّجه في اسبوع منذ زيارته بكركي في 3 ايار، من القول بأن لا فيتو على احد الى اظهار الاستعداد للتعاون مع الرئيس المنتخب اياً يكن.

3 - على اللبنانيين العودة بدورهم الى الحضن العربي من خلال اعادة بناء علاقتهم بالعالم العربي. أسهب في الكلام عن الايجابيات والمرحلة المقبلة بتناوله سبل تعاون لبنان مع جواره كالعراق وسوريا. اطرى الطائفة الشيعية، وتوقّع حصول لبنان على مساعدات بانجاز استحقاقه. على انه القى المسؤولية برمتها على اللبنانيين الواجب ان لا يتاخروا عن ذلك. أفصح كذلك عن جهد مضن بذله لاستعجال اتمام الاستحقاق في غضون اسابيع. في ما استنتج من كلامه ان جلسة لانتخاب الرئيس قد تعقد في اسبوعين على الاكثر.

4 - تكرار كلامه على كل مَن يزورهم او يلتقي بهم الذهاب الى مجلس النواب وانتخاب الرئيس و«تفادي تعطيل نصاب الجلسة، فلينجح مَن ينجح والله يوفقه».

5 - حينما سئل هل يرى تحالف فرنجية مع حزب الله عقبة؟ اعطى الجواب نفسه ان «لا فيتو على احد»، قبل ان يضيف: «ليست لدينا مشكلة او عقدة علاقته بحزب الله. نحن نتحدث مع ايران والحوار معها ايجابي ومستمر».

تتقاطع المعطيات هذه مع معلومات بدأت تتحدث بجدية، اكثر من اي وقت مضى، عن انتخاب وشيك لرئاسة الجمهورية. مفاد المعلومات هذه ان ضغوطاً دولية متشعّبة المصدر

> البخاري يلوح بعقوبات دولية للمتسببين في تعطيل انتخاب الرئيس

على الافرقاء المسيحيين للاتفاق على مرشح يذهبون به الى جلسة الانتخاب:

1 - النظر باهتمام الى اقتناع الكتل المسيحية المعارضة ترشيح فرنجية بضرورة التخلي عن انقساماتها، وارغام نفسها على خيارات تواجه به المرشح المرفوض لديها. ما لمسه المطلعون على المعلومات تلك تراجع التصلب المسيحي المناوئ لفرنجيه قليلاً الى الوراء. بعدما اجمعت الكتل المسيحية في الاشهر الاخيرة على تاكيد رفضها الذهاب الى جلسة مرشحها الوحيد رئيس تيار المردة، باتت الآن اقرب الى التفاوض على مرشح تواجه به فرنجية. دلّ التحوّل هذا على وطأة الضغوط المبذولة عليها أولاً.

2 - يتحدث بعض المعلومات عن تبادل التيار الوطني الحر وحزب القوات اللبنانية رفع الفيتوات بغية دفع الحوار الدائر بينهما الى مرشح مشترك مع الكتل المسيحية الاخرى الصغرى: تخلى التيار الوطني الحر عن الفيتو على قائد الجيش العماد جوزف عون، بينما تراجع حزب القوات اللبنانية عن الفيتو على الوزير السابق جهاد ازعور. حظوظ ازعور افضل من قائد الجيش نظراً الى حاجة ترشح الاخير الى تعديل مسبق للدستور غير متاح في الوقت الضيق المتبقي، ناهيك بتاكيد رئيس البرلمان نبيه برّي سلفاً ان لا عودة الى سابقة 2008 باخضاع انتخاب الرئيس الى المادة 74 من الدستور. فوق ذلك يهدد النواب التغييريون المعارضون انتخاب القائد بالطعن في دستورية انتخابه خارج قيود المادة 49.

3 - من الصعوبة بمكان توقّع الوصول الى جلسة انتخاب رئيس توافقي. يحتم ذلك اولاً انسحاب فرنجية، وهو ما يبدو متعذراً ومستحيلاً في آن عنده ولدى الثنائي الشيعي وقد اضحت حظوظه في الظاهر على الاقل افضل من ذي قبل بعد اجتماعه بالبخاري الخميس ورفع الفيتوات في كل اتجاه. تحوّل فرنجية الى ثابتة الاستحقاق التي تنتظر الثابتة المقابلة.

4 - تكاد تقتصر الاسماء المحتملة لاختيار احدها لمنازلة فرنجية على اربعة، الا ان الاقرب الى تبنّيه هو ازعور بحيث يمسي منافس فرنجية على الدورة الثانية من الاقتراع للفوز بالاكثرية المطلقة (65 صوتاً على الاقل). من دون مرشح لمعارضي فرنجية تفضي الجلسة الى انتخابه اذا صح ان العقوبات الدولية في طريقها الى الداخل في ضوء المسعى الجاري حالياً.

غالب الظن ان كلفة التعطيل قد تكون باهظة في الجلسة الثانية عشرة.

> البخاري يلوح بعقوبات دولية للمتسببين في تعطيل انتخاب الرئيس

وكذلك بدعم سعودي ومن أوساط نافذة في واشنطن وباريس. كما أن في «رصيده» فتحه قنوات تواصل مع حزب الله وعدم إشهار الحزب فيتو ضده، كما أن الرئيس نبيه بري قد يفضله على الآخرين.

وبمعزل عن مال هذه الجهود، المُعطى السعودي الجديد بأن لا فيتو على أي مرشح، وخصوصاً على سليمان فرنجية، دفع معارضي الآخير إلى حراك مكثّف للاتفاق على مرشح في وجهه. لكن المشكلة بحسب متابعي الاتصالات، تكمن في استمرار شكوك القوات اللبنانية «حيال ما يريده باسيل في نهاية الأمر». وقال متصلون بقيادة القوات إن الأخيرة تقرأ الموقف من زاوية أن باسيل سار في الحوار لتحقيق مكسب أولي، يتمثل في إجبار القوى المعارضة التي كانت ترفض محاورته، على البحث عن آلية توافق معه، بحكم أن التوافق على رفض فرنجية فقط لا يكفي وأن هناك حاجة إلى توافق على مرشح في وجهه. وأضافت أن باسيل استفاد من الموقف السعودي ونجح في كسر حاجز المعارضة التي كانت تفكر وحدها في مرشح خصم لفرنجية.

وبحسب المصادر، فإن مصدر شكوك القوات أن باسيل بعد تلقّيه مهلة لتسويقه لدى بقية الأطراف، وأضاف المتصلون بقيادة القوات أن رئيس التيار الوطني الحر «لا يريد استخدامها في التفاوض مع حزب الله. إذ إنه لم يكتف بالحصول على الاتفاق بقدر ما يريد صيغة توافق إنه في حال تم التوافق على اسم من بين ثلاثة، سيعرضه على الحزب لنيل موافقته».

وأشار قريبون من القوات إلى أن باسيل عرض اسمي جهاد أزعور وصلاح حنين بحكم أن السير بأحدهما قد يساعد في جذب كتلة اللقاء الديموقراطي برئاسة النائب تيمور جنبلاط. وقال هؤلاء إن «القوات نقلت رسالة إلى التيار عبر نائبها فادي كرم الذي يتولى عملية التفاوض مع النائب جورج عطاالله بأنها مستعدة لأن تسير بهذه الأسماء، بما فيها أزعور».

وعلى ضفة نواب «التغيير»، لا تبدو الصورة لدى هؤلاء واضحة تماماً. وقال بعضهم إن الحراك الرئاسي الخارجي ترافق مع حراك داخلي تُرجِمَ بلقاءات ثنائية وغير ثنائية بين نواب «الكتلة السنية» ونواب «تغييريين» وكتائبيين وسواهم من القوى المعارضة. وأوضح هؤلاء أن «الثابت الوحيد في الاتصالات لا يزال رفض فرنجية. إلا أنّ أيّ خرق لم يحدث»، لافتين إلى أن لائحة الأسماء تشمل أيضاً زياد بارود ونعمت افرام وقائد الجيش جوزيف عون.

(الأخبار)

المشهد السياسي

الجميل يسوّق أزعور لدى معراب والمستقلين
القوات تشكّك بموقف باسيل: يرفع سعره عند الحزب

بات واضحاً لغالبية القوى السياسية أن الضغط الخارجي يدفع إلى عقد جلسة قريبة لانتخاب رئيس للجمهورية. وهو ما يقرّ به خصوم رئيس تيار المردة سليمان فرنجية لتبرير استعجالهم عقد اتفاق بين معارضيه على مرشح في وجهه يحملون اسمه إلى ساحة النجمة. وأكدت مصادر ثلاثة أطراف من حلفاء السعودية أن هؤلاء سمعوا كلاماً مباشراً من السفير السعودي وليد البخاري والسفيرة الأميركية دوروثي شيا بأنه «ممنوع أن يعطّل أحد عملية انتخاب الرئيس، وأن عدم تأمين النصاب سيُعتبر تعطيلاً للديموقراطية، وأن العواصم المعنية بملف لبنان، عربياً وغربياً، ستفرض عقوبات على كل من يفعل ذلك».

وبحسب معنيين بالاتصالات الجارية، تبدو القوات اللبنانية الطرف الأكثر توتراً جراء هذه «التعليمات» لأسباب عدة أهمها:

- تهديد رئيس حزب القوات سمير جعجع علناً، وأكثر من مرة، بتعطيل نصاب جلسة انتخاب الرئيس إذا كانت ستفضي إلى فوز فرنجية.

- أشهر جعجع مراراً عدم جدوى الحوار مع التيار الوطني الحر واتهامه الدائم لرئيسه النائب جبران باسيل بأنه جزء من «الممانعة».

- بذل معراب مساعي لدى معارضي فرنجية، ومن بينهم التيار الوطني الحر والحزب التقدمي الاشتراكي، للتوافق على مرشح يواجه حزب الله.

أما في ما يتعلق بالتيار الوطني الحر، فقد أكّد باسيل في اتصالات

> معراب الأكثر توتراً تتراجع عن لاءاتها وباسيل مصرّ على عدم استفزاز حزب الله

يجريها مع أطراف سياسية أنه لا يجد حرجاً في الاتفاق على مرشّح مع القوات وبقية القوى، مذكّراً بأنه هو من طرح ذلك أساساً واقترح على البطريرك الماروني بشارة الراعي فكرة التوصل إلى هذا الاتفاق. إلا أن باسيل يشدّد على أن أي مرشح يتم التوافق عليه لا ينبغي أن يكون مستفزاً لثنائي أمل - حزب الله أو مرفوضاً منه، وبالأفضل ترشيح شخصية لا يمكن للثنائي رفضها.

وعلمت «الأخبار» أنه في ضوء اضطرار القوات للتراجع عن لاءاتها، وتقدم التيار الوطني خطوة نحو الاتفاق معها، تولى رئيس حزب الكتائب سامي الجميل إدارة جانب أساسي من الاتصالات مع جعجع وباسيل وفريق النائب تيمور جنبلاط، وأن الحصيلة الأولية أثمرت تفاهماً مبدئياً على إسقاط مبدأ مقاطعة التيار الوطني الحر، والاتفاق على حصر المعركة بمنع وصول فرنجية إلى القصر الجمهوري. وقالت مصادر مطلعة إن الجميل نجح في إقناع جعجع بدرس لائحة تضم ثلاثة أسماء يوافق عليها التيار الوطني الحر، تضم زياد بارود وجهاد أزعور وصلاح حنين.

وبحسب المصادر، فإن الجميّل ركّز على تسويق أزعور انطلاقاً من حماسة باسيل له، ولكونه يحظى أساساً بدعم من البطريرك الماروني بشارة الراعي وتأييد رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، مرشح لا يستفزّ حزب الله، بل قال إنه في حال تم التوافق على اسم من بين ثلاثة، سيعرضه على الحزب لنيل موافقته».

وأشار قريبون من القوات إلى أن باسيل عرض اسمي جهاد أزعور وصلاح حنين بحكم أن السير بأحدهما قد يساعد في جذب كتلة اللقاء الديموقراطي برئاسة النائب تيمور جنبلاط. وقال هؤلاء إن «القوات نقلت رسالة إلى التيار عبر نائبها فادي كرم الذي يتولى عملية التفاوض مع النائب جورج عطاالله بأنها مستعدة لأن تسير بهذه الأسماء، بما فيها أزعور».

وعلى ضفة نواب «التغيير»، لا تبدو الصورة لدى هؤلاء واضحة تماماً. وقال بعضهم إن الحراك الرئاسي الخارجي ترافق مع حراك داخلي تُرجِمَ بلقاءات ثنائية وغير ثنائية بين نواب «الكتلة السنية» ونواب «تغييريين» وكتائبيين وسواهم من القوى المعارضة. وأوضح هؤلاء أن «الثابت الوحيد في الاتصالات لا يزال رفض فرنجية. إلا أنّ أيّ خرق لم يحدث»، لافتين إلى أن لائحة الأسماء تشمل أيضاً زياد بارود ونعمت افرام وقائد الجيش جوزيف عون.

(الأخبار)

تقرير

دمشق باب لحل كثير من مشكلات لبنان
نصرالله: تطور ايجابي في الاستحقاق

أعلن الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله عن «تطور إيجابي في ملف الاستحقاق الرئاسي»، مشيراً إلى أنّ رئيس تيار المردة سليمان بداه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لاغتيال قادة سرايا القدس»، ودوافعه في ذلك «استعادة الردع الذي تآكل، الهروب من الانقسام الداخلي، ومعالجة التفكك في ائتلافه الحكومي، تحسين وضعه السياسي والانتخابي». وأضاف: «حسابات

> على حكومة تصريف الأعمال عدم التعدي على الصلاحيات بتعيين حاكم لمصرف لبنان

نتنياهو كانت فاشلة. إذ كان المخطط الاستفراد بحركة الجهاد الإسلامي وتحييد بقية الفصائل الفلسطينية وإحداث الفتنة في بيئة المقاومة، وضرب البنية القيادية لسرايا القدس وتفكيك القيادة المباشرة للقوة الصاروخية. وهو اعتبر أنه بذلك يتم القضاء على القيادة العسكرية ولم تغير موقفها ولا استراتيجيتها».

وفي ما يتعلق بالوضع الفلسطيني، قال نصرالله «إن العدوان على غزة بداه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لاغتيال قادة سرايا القدس»، ودوافعه في ذلك «استعادة الردع الذي تآكل، الهروب من الانقسام الداخلي، ومعالجة التفكك في ائتلافه الحكومي، تحسين وضعه السياسي والانتخابي». وأضاف: «حسابات

> على حكومة تصريف الأعمال عدم التعدي على الصلاحيات بتعيين حاكم لمصرف لبنان

نتنياهو كانت فاشلة. إذ كان المخطط الاستفراد بحركة الجهاد الإسلامي وتحييد بقية الفصائل الفلسطينية وإحداث الفتنة في بيئة المقاومة، وضرب البنية القيادية لسرايا القدس وتفكيك القيادة المباشرة للقوة الصاروخية. وهو اعتبر أنه بذلك يتم القضاء على القيادة العسكرية للجهاد الإسلامي وترميم الردع مع غزة وعودة سياسة الاغتيالات وتوجيه رسائل إلى حزب الله». ولفت إلى «حكمة في إدارة المعركة ما يفوّت على العدو تحقيق أي من أهدافه». إذ «كان هناك تعاط هادئ لقيادة الجهاد الإسلامي التي بادرت بالاتصال بقيادة حماس وبقية الفصائل ليكون الموقف السياسي والعسكري في غزة موحداً في مواجهة المخطط الإسرائيلي. المقاومة في غزة اليوم في موقف قوي ومتماسك وصامد ويرفض الخضوع والاستسلام، وترفض إيقاف العملية إلا ضمن شروط معينة». وأكّد أنّ لدى فصائل المقاومة «قدرة عالية على ترميم أي استهداف لقادتها»، وهي «لم تتراجع ولم تضعف متانتها وإرادتها باغتيال قادتها». ورأى أن «المقاومة في غزة أفشلت هدف العدو في ترميم الردع، ووصول الصواريخ إلى جنوب تل أبيب والقدس أربك الاحتلال»، و«نحن على اتصال دائم مع قيادات الفصائل في غزة، ونراقب الأوضاع وتطوراتها، ونقدم في حدود معيّنة المساعدة الممكنة، وفي أي وقت تفرض المسؤولية علينا القيام بأي خطوة أو خطوات لن نتردد»، مشدداً على أن «أي عملية اغتيال في المستقبل لن تمر وإنما ستؤدي إلى مواجهة واسعة».

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

«كتلة الاعتدال» بعد لقاء البخاري: الميل صوب فرنجية

أعطى لقاء السفير السعودي وليد البخاري بنواب تكتّل «الاعتدال الوطني» هامشاً من الحريّة في ما يتعلّق بإمكانية تصويت أعضائه لمصلحة رئيس تيار المردة سليمان فرنجية، إذ لا يخفي معظمهم وجود «عاطفة شماليّة» تجاهه، إلا أن الامتناع عن إعلان هذا الموقف مردّه إلى «مراعاة» الموقف السعودي. وهو ما تمّت إزالته أول من أمس، بعدما أكّد بخاري على مسامعهم أنّ «لا فيتو على فرنجيّة، والسعوديّة تقف على الحياد ومستعدّة للتعاون معه في حال تم انتخابه، تماماً كما ستتعاون مع أي رئيسٍ آخر في حال اختار الأفرقاء الاتفاق على مرشّح آخر».

البخاري حرص أمام نواب التكتل على إظهار «حياد إيجابي» في الحديث عن فرنجيّة، مشوب بغموض دفع بعضهم إلى سؤال السفير مباشرة: «هل كلامك يعني أن هناك إيعازاً سعودياً بانتخاب رئيس تيار المردة؟»، ليُسارع بخاري إلى نفي الأمر. إلا أنه قال: «انتخبوا من تريدون، ولكن عليكم أن تعلموا أن لا فيتو على فرنجية، وبلادي لا تُعارض انتخابه». ويلفت بعض أعضاء «الاعتدال الوطني» إلى لقاء البخاري بهم بعد ساعاتٍ من استقباله فرنجيّة كان رسالةً باعتبارهم «بيضة القبّان» التي ترجّح كفة رئيس تيار المردة، ويتأثرون بالقرار السعودي. لذلك، حاول النواب التقاط أي إشارة من بين سطور كلامه، وخلص بعضهم إلى أن إشادته بفرنجية ووصفه بـ«الصديق الصدوق» إيحاء منه بانتخابه.

كذلك ركّز السفير السعودي في كلامه على الـ«timing»، فشدّد على ضرورة الإسراع في انتخاب رئيس للجمهوريّة، وقال: «عليكم تحمّل المسؤوليّة لإنهاء الشغور الرئاسي خلال الأسبوعين المقبلين»، مؤكداً «أننا سنكون شركاء في نهضة لبنان». ولفت إلى أنّ «لا خصوم للسعوديّة في لبنان بل هي تُريد التعاون من دولةٍ إلى دولة»، مشيراً إلى أنّ «الاتفاق السعودي - الإيراني سينعكس إيجاباً على كل المنطقة».

ورغم هذه الإيجابيّة، إلا أنّ نواب «التكتّل» يتريّثون في إعلان موقفهم من انتخاب فرنجية، وتؤكد مصادرهم «أننا ننتظر إعلان المعارضة عن اسم مرشحها، قبل أن نجتمع ونتفق. ولكن ما يُريحنا أنه بإمكاننا الاقتراع لصلحة فرنجية بعد تأكيد المملكة أنها تقف على الحياد ولا تُمانع انتخابه».

قضية اليوم

منظمات دولية تطالب بتحقيق مستقل في جريمة اغتيال عز الدين

الإمارات تمعن في الجريمة... وخنوع رسمي لبناني

صمت مطبق خيّم على لبنان أمس، وعلى كل القوى والمسؤولين، حيال الجريمة التي ارتكبتها سلطات دولة الإمارات العربية المتحدة بقتل اللبناني غازي عز الدين تحت التعذيب ودفن جثمانه في مكان غير معلوم.

وعلمت «الأخبار» أن تواصلاً غير معلن جرى بين بعض المسؤولين اللبنانيين، تحت ضغط مقربين من العائلة، وبعد ما نشرته «الأخبار» أمس، وطلب من وزير الخارجية عبدالله بو حبيب الاتصال بالحكومة الإماراتية لاستيضاح الموقف. فيما حاولت السفارة اللبنانية في أبو ظبي جمع معطيات حول الجريمة. ويُفترض أن يجري تواصل اليوم بين بو حبيب ونظيره الإماراتي عبدالله بن زايد، وأن يطلب من الوزير

> طلبت أبو ظبي عدم إقامة مراسم عزاء وأجّلت الردّ على لبنان إلى اليوم وضغوط على الأسرة للالتزام الصمت

الإماراتي تسليم جثة الشهيد لأفراد أسرته الموجودين في الإمارات والسماح لهم بالسفر إلى لبنان والإفراج عن بقية المعتقلين. وبحسب مصادر معنية، بعث المسؤولون الإماراتيون برسائل غير رسمية إلى مرجعيات لبنانية تطالب بوقف الحملة الإعلامية وعدم التداول بالجريمة، على أن تُترك لأبو ظبي فرصة لمعالجة الأمر. ووصلت الوقاحة بالإماراتيين حدّ الطلب من أهل الشهيد عدم إقامة عزاء له في لبنان، فيما مُنع أفراد أسرته في الإمارات من تقبّل التعازي. وبحسب المعلومات، يمارس الأمن الإماراتي ضغوطاً على الأسرة لإصدار بيان ينفي ما ينشر في وسائل الإعلام. فيما رفضت السلطات الإماراتية الرد على مطالبات جمعيات حقوقية ودولية بالحصول على معطيات حول الجريمة، مستفيدة من صمت السلطات الرسمية اللبنانية، وتواطؤ وسائل الإعلام اللبنانية والعربية في التعتيم على الجريمة. وفيما لم تُعرف بعد نتائج جهود يفترض أن يقوم بها الصليب الأحمر الدولي لاستعادة جثمان الشهيد استناداً إلى قوانين دولية تمنع على أي دولة احتجاز جثث غير مواطنيها، طالبت منظمة العفو الدولية أمس السلطات الإماراتية بالتحقيق في وفاة عز الدين الذي كان موقوفاً في الإمارات منذ 22 آذار الماضي مع عشرة لبنانيين آخرين من بينهم شقيقاه، من دون أن توجه لهم أي اتهامات. ونقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن متحدث باسم لجنة

معتقلون سابقون في الإمارات لدى وصولهم إلى مطار بيروت بعد الافراج عنهم في شباط الماضي (هيثم الموسوي)

الموقوفين اللبنانيين في الإمارات تحقيق الأمن الإماراتي معه في مركز لجهاز أمن الدولة بن دبي والشارقة، مشيراً إلى أنّ السلطات الإماراتية شنّت في آذار الماضي حملة اعتقالات طاولت أكثر من عشرة لبنانيين «على خلفيات مجهولة ومن دون إجراءات قانونية مُعلنة وواضحة، وأفرجت في وقت سابق عن عدد منهم، وأبقت نحو خمسة قيد الاحتجاز». وذكّر بأنه «سبق للإمارات التورّط في احتجاز أجانب على نحو غير قانوني، وإخضاعهم للتحقيق، واحتجازهم في ظروف غير إنسانية، وتعريضهم لتعذيب نفسي وجسدي، وترحيلهم تحت ذرائع أمنية فضفاضة وجائرة». وكشف عن توثيقه لإفادة أحد اللبنانيين الذين خضعوا لاستجواب مطوّل، قال فيها إنّه احتجز على نحو تعسفي من دون أي مذكرة قانونية، وتعرّض لتحقيق قاس تخلله اعتداء جسدي، وكان التحقيق يتركز على قضايا سياسية تخص الدولة التي يحمل المحتجز جنسيتها. وخلص إلى أنّ «السجل الحقوقي السيئ للإمارات في ما يتعلق باحتجاز الأشخاص على خلفية الرأي والتعبير أو الخلفيات المرتبطة بالحريات، يثير مخاوف عميقة من احتمال وفاة المحتجز اللبناني غازي عز الدين في ظروف غير طبيعية قد تشمل المعاملة السيئة». كما أنّ «الغموض الذي تتبعه السلطات الإماراتية في ما يتعلق بعمليات الاحتجاز التي تنفذها يزيد الشكوك حول الدوافع الحقيقية لتلك الممارسات، إذ تعمد في معظم الحالات إلى الامتناع عن إصدار أي بيانات علنية بشأن تلك الممارسات، ولا تتعاطى على نحو فاعل مع استفسارات منظمات حقوق الإنسان في القضايا ذات العلاقة». وحث المرصد السلطات الإماراتية على «الإفراج الفوري وغير المشروط عن كل المحتجزين تعسفياً في سجونها، والتوقف عن ملاحقة الأشخاص على نحو غير قانوني، واحترام حقوقهم في حرية الرأي والتعبير، والحركة والتنقل». (الأخبار)

تقرير

القضاء يساند نقابة «المحامين»:

«كم الأفواه» حقّ!

لم يكن غريباً قرار محكمة استئناف بيروت (غرفة القضايا النقابية) بالمصادقة على قرار مجلس نقابة المحامين حول تقييد حرية المحامين بالتواصل مع الإعلام؛ هو سياق متكامل تكمن في نهايته خلاصة واحدة: كمّ الأفواه. هذا السياق الذي بدأ مع إصدار وزير العدل هنري خوري تعميماً إلى القضاة يقضي بالامتناع عن الظهور الإعلامي، قبل أن تتبعه نقابة المحامين بتعميم. وبينهما قرارات قضائيّة بملاحقة مجموعة من المحامين الذين «أبحروا» في فتح ملفّات حاكم مصرف لبنان رياض سلامة وأعوانه، بجرم القدح والذم، والتي كان آخرها أمس حينما وافق مجلس نقابة المحامين على رفع الحصانة عن المحامي وديع عقل وإعطاء الإذن بملاحقته، في الدعوى المقدّمة ضدّه من رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي.

هي إذاً، المنظومة السياسيّة - الماليّة التي تُحاول انتهاك الحريّات وتهديد من يتجرأ على مُحاربتها بأنّ «قوانينها» و«عقوباتها»، التي تصل إلى حد الطرد والحبس، ستكون بالمرصاد. والعقوبات نفسها لا تطاول المشتبه بارتكابهم جرائم نهب الدولة وإفقار شعبها، بل محصورة باسم من يرفع صوته مُجاهراً بارتكابات المنظومة أو من يقوّض سيطرتها على أسس النظام.

هذه «المسطرة» رُفعت سابقاً في وجه النائب العام الاستئنافي غادة عون التي نالت «نصيبها»، والـلافت أن قرار كم أفواه المحامين وصرف عون صادران عن القاضي نفسه؛ أيمن عويدات. وهو ما يشي بأن السياق مستمر بحلقات مُختلفة حتّى تكون سمة الرضوخ هي الثابتة بين كلّ القادرين على فتح الملفّات القضائيّة للفاسدين. وبالتالي، صارت المُعادلة التي تُريدها المنظومة واضحة: السكوت بالرضى أو الإسكات عنوةً بمباركة القانون!

اللافت أنّ القرار الذي اتخذته محكمة الاستئناف كان صادراً عن 5 أعضاء؛ 3 قضاة واثنان من نقابة المحامين الموافقين مُسبقاً على قرار المجلس بتقييد التواصل مع الإعلام، ولتُطبّق المحكمة مقولة «أنا الحُكم والحَكَم»

> محكمة الاستئناف التي أصدرت القرار ضمت اثنين من المحامين الموافقين مُسبقاً على قرار النقابة

بحرفيّتها في وجه 12 محامياً تقدّموا بطعنٍ، بالإضافة إلى طعن ثمان ضُمّ إليه وقدّم من المحامي نزار صاغية الذي تمّ تهديده سابقاً بشطب اسمه من نقابة المحامين من دون أن يصدر القرار بحقّه بعد من قبل مجلس النقابة.

خطورة قرار عويدات في أنّه نهائي والتعديلات التي أقرّها مجلس النقابة أصبحت نافذة، بحسب ما يوضح أحد مقدّمي الطعن المحامي حسن بزي، لافتاً إلى أنّ «المحامين يستطيعون الطعن بقرارات مجلس النقابة أمام محكمة استئناف بيروت التي يُعد قرارها نهائياً وغير قابل للتمييز»، مؤكّداً أنّ «هناك خطوات قانونيّة يُمكن القيام بها، ولكننا لم نتخذ بعد القرار الذي يجب أن يُتخذ بالإجماع بيننا كجهة مدّعية».

في المقابل، يتردّد أن بعض المحامين يتدارسون رفع دعوى ضد الدولة حول مسؤولية القضاة عن أعمالها ممّا يُبطل القرار حينها، فيما يحتدم النقاش بهذه الخطوة خصوصاً أن البعض يُشير إلى أنّه في حال ثبوت الخطأ عند مداعاة الدولة، فيُمكن أن يكون القرار هو التعويض على الجهة المدّعية أو القبول بإبطال القرار الاستئنافي.

أمّا الخطوات الأُخرى، فيُمكن أن يتوجّه بعض المحامين إلى الهيئة العمومية في نقابة المحامين للطلب بالتراجع عن إجراء التعديلات والمصادقة عليه، وإمّا الرضوخ لقرار المحكمة الاستئنافيّة واعتباره بُحكم «الملزم» من دون أن يكون بـ«اليد حيلة» لتغييره.

وتعليقاً على القرار عقد نقيب المحامين في بيروت ناضر كسبار مؤتمراً صحافياً أشاد خلاله بالقرار باعتباره من «القرارات الكُبرى التي أرست مبادئ مهمة في مجال ممارسة الحرية الإعلامية من قبل الزملاء المحامين، مستنداً إلى أحكام ومبادئ معتمدة في بعض الدول الرائدة في مجال حقوق الإنسان». وأضاف: «منذ البدء، لم يكن وارداً في ذهن مجلس النقابة التضييق على الحريات أو كم الأفواه، كما روج له البعض إعلامياً وحاولوا أن يجعلوا من الموضوع قضية رأي عام، بعد أن فشلوا في تسويق الأمور أمام المحامين الذين وقفوا سداً منيعاً في وجههم إلى جانب نقابتهم»، معتبراً أنّ «هدف التعديل كان تنظيمياً رتّبته الظروف الراهنة للظهور الإعلامي المتكرر لقلة من المحامين، خلافاً للقانون والأنظمة».

لينا ف.

(مروان بو حيدر)

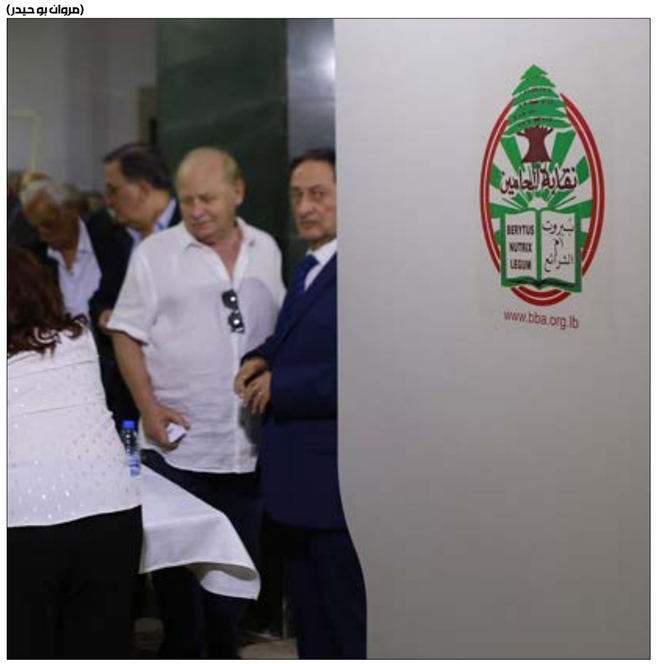

تقرير

«العسكرية» تثبت براءة حسن عطيّة: تواصله مع العدو حصل بعلم المقاومة

لينا فخر الدين

أصدرت هيئة المحكمة العسكريّة الدائمة، أمس، قراراً بإجماع أعضائها العسكريين والمدنيين قضى ببراءة الموقوف حسن عطيّة من تهمة التعامل مع العدو الإسرائيلي، بعدما ثبت لديها أنّ جهاز الأمن في المقاومة الإسلامية كان يدير التواصل الذي كان قائماً بينه وبين العدو.

وكان فرع المعلومات في قوى الأمن الداخلي أوقف عطية على خلفية كشف اتصالات بينه وبين مشغّلين إسرائيليين، ضمن الحملة على شبكات المتعاونين مع العدو، وأحاله مع التحقيقات الأولية إلى القضاء العسكري الذي أمر بتوقيفه على ذمة التحقيق لفترة طالت عدة شهور.

وبعدما أشيع خبر توقيف عطية، حصلت بلبلة في بلدته قانا وبين أفراد عائلته، ما دفع المقاومة إلى التدخل، فأصدرت للمرة الأولى بياناً نشرته «الأخبار» في 26 كانون الثاني الماضي، أعلنت فيه أن عطية مقاوم في صفوفها. وشرحت حيثيات ما حصل معه، مشيرة إلى أنه «خلال بحث عطية عن فرصة عمل عبر الإنترنت، تواصل العدو الإسرائيلي معه تحت ساتر تأمين عمل له. ولمّا استشعر بأن العدو يقف وراء هذه المحاولة، بادر إلى إبلاغ المقاومة بتفاصيل الأمر، ليتبيّن أن الجهة المتصلة هي مخابرات العدو. عندها تولّت المقاومة المتابعة التفصيلية معه والإشراف على كامل التفاصيل، وخلالها أظهر عطية كل الصدق والتجاوب، ولم تسجّل عليه أية ملاحظات. وبالتالي، نؤكد أن حسن عطية ليس عميلاً للعدو».

وفي وقت لاحق، تواصلت المقاومة مع الجهات المعنية في الأجهزة الأمنية والعسكرية لمعالجة الأمر. وعُلم أن قائد الجيش العماد جوزيف عون طلب من مدير المخابرات العميد طوني قهوجي تقديم الشروحات اللازمة للقضاء العسكري وتأكيد أن ما أعلنته المقاومة في بيانها يجب أن يكون المستند الذي تبنّى المحكمة قرارها عليه.

وفي مجريات ما حصل مع عطية أمام المحكمة العسكرية، أعاد رواية اتصال المخابرات الإسرائيلية أثناء بحثه عن عمل. وأنه عندما تأكد من أن من يتصلون به هم من «الموساد» سارع إلى إبلاغ جهاز أمن المقاومة، مؤكداً أن التواصل كان تحت إشراف الجهاز.

> أوضح عطية أمام المحكمة كيف تواصل مع العدو تحت إشراف جهاز أمن المقاومة

وعلى مدى أكثر من نصف ساعة، أجاب عطيّة على أسئلة رئيس المحكمة العقيد خليل جابر والتي تمحورت حول تفاصيل صور المواقع التي أرسلها إلى العدو وعمّا إذا كانت بعلم المقاومة وعن تاريخ إبلاغ المقاومة بالأمر. فتحدّث عطيّة عن تفاصيل تواصله مع أكثر من شخص ادّعوا تأمين وظيفة في شركة لحماية الشخصيّات، من دون أن تثير رئيته الأسئلة التي تم توجيهها له، باعتبارها أسئلة عامة عنه وعن عائلته. ولذلك، سافر إلى تركيا للقاء أحد الأشخاص الذين يتواصلون معه قبل أن يتبيّن له أنّه يعمل لمصلحة «الموساد» فاختصر زيارته وعاد إلى لبنان، وأبلغ مسؤول «حزب الله» في بلدته فرتّب له الأخير لقاء مع مسؤول جهاز أمن المقاومة الذي عيّن بدوره شخصاً لمواكبته. بعدها كان عطيّة يعرض رسائل «الموساد» على هذا الشخص قبل أن يردّ بحسب تعليماته لكشف كيفيّة استلام الأموال وتحرّكات عملائهم في لبنان، قبل أن يقوم عملاء «الموساد» بقطع علاقته معهم تدريجياً.

وعبّر عطيّة عن استيائه من تلفيق تهمة العمالة له، قائلاً: «راجعوا تاريخي وتاريخ عائلتي. أنا أكنّ العداء المطلق لإسرائيل التي ارتكبت مجزرتين في بلدتي، ولكنني حسبتُ أن التواصل مع الموساد بإشراف حزب الله هو خدمة أقدمها لبلدي وللمقاومة»، معبراً عن أسفه لأن «والدته رفضت لقاءه قبل أن تُعلن عائلته التبرؤ منه بالإضافة لوصمه بعار العمالة»، كما ركّز عطيّة في أكثر من مرة على بيان المقاومة الذي «لولاه لكنتُ الآن عميلاً بنظر الجميع، ولكن هذا البيان الذي أكّد إشرافه على عملي هو الذي أنقذني». وبعد المداولة، قررت المحكمة تبرئة عطية، وصدر قرار بالإفراج عنه، وتم تسليمه إلى وكيله القانوني الذي نقله إلى منزله بعد ظهر أمس.

ما هو اتفاق 17 أيّار؟ حتى لا ننسى

أسعد أبو خليك *

كلُّ ما نسمعه عن اتفاق 17 أيّار هو إمّا غير دقيق أو غير صحيح أو هو من مخيّلة من لم يكن متابعاً للمفاوضات التي أدّت إلى الاتفاق الرسمي (ثاني اتفاقية سلام بين إسرائيل ودولة عربيّة). والذاكرة التاريخيّة يُعاد صوغها في زمن التحالف الخليجي مع إسرائيل (النظام القطري يتعاطف مع أوكرانيا في سنة أكثر مما تعاطف مع شعب فلسطين وليس مستبعداً أن تكون أنظمة الخليج تقدّم مساعدات عسكريّة سراً لأوكرانيا. والعيون الزرق والشعر الأشقر يُفتنان حكام الخليج). اتفاق 17 أيّار كان إعادة رسم للميثاق الوطني والدستور اللبناني. كان الاتفاق خروجاً شبه رسمي للبنان من الجامعة العربيّة، وهو ذهبَ أبعد من اتفاق السلام المصري-الإسرائيلي بكثير. من دون مبالغة، لقد اعتنق لبنان الرسمي الصهيونية من خلال الاتفاقيّة وقبول توقيعها. والانخراط اللبناني في الصهيونية كان متعدّد الطوائف. صحيح أن الرئيس اللبناني الماروني كان قبل الطائف حاكماً مستبداً لكن كانت هناك مشاركة من زعماء مسلمين متنوّعين: مثل شفيق الوزّان وكامل الأسعد ورجال دين من كل الطوائف، وخصوصاً المارونية والشيعيّة. اتفاق 17 أيّار دليل على قدرة أي محتل على تغيير الثقافة السياسية والشعبية لبلد ما بسرعة هائلة إذا كان هناك فريق متعاون مع الاحتلال الأجنبي. هذا جرى في أوروبا خلال الحكم النازي وجرى في لبنان. الإعلام اللبناني شارك في مسرحيّة التطبيع يومذاك.

لقد أصدرت الحكومة اللبنانيّة في أيّار 1983 «كتاباً أبيض» بعنوان «وثائق اتفاق جلاء القوات الإسرائيليّة». وفي متن الكتاب تقرأ ما يناقض كل ما يُقال اليوم عن الاتفاق من قبل 14 آذار (يمينيه ويساره وتغييريّيه — أي فريق السعودية والإمارات بينكم). لم يكن الاتفاق هو «اتفاق جلاء» القوات الإسرائيليّة كما يُشاع. لا، كان ببساطة استسلاماً قانونياً من لبنان لإسرائيل وضمّ لبنان إلى صف حلفاء إسرائيل حول العالم. في اتفاق 17 أيّار جاهرَ الحكم في لبنان بما كان مُضمراً من عام 1948 حتى عام 1983: إن لبنان كان معادياً لشعب فلسطين وقضيّته ومناصراً لإسرائيل ومواطنيها من غير العرب. لا نعلم الكثير عن ملابسات التحضير للاتفاق وعن تشكيل الوفد اللبناني في المفاوضات. يقول شهود عيان من تلك الفترة إن الوفد العسكري الذي كان يذهب إلى فلسطين المحتلة كان يضمّ خليطاً طائفياً للصور. لكن عندما كانت تبدأ المفاوضات كان يشارك فيها فقط ضباط من طائفة واحدة لأن نظام أمين الجميّل لم يثق بضباط باقي الطوائف مع أن بعضهم كان معتقلاً الانعزالية.

> لم يكن الاتفاق هو «اتفاق جلاء» القوات الإسرائيليّة كما يُشاع. لا، كان ببساطة استسلاماً قانونياً من لبنان لإسرائيل

> تاريخ تلك المرحلة لم يُكتب بعد لأن 14 آذار نجحت في ضخّ سرديّة حزب الكتائب واعتمادها تاريخاً رسميّاً للبنان

كيف أصبح السفير (المتقاعد) أنطوان فتال رئيساً للوفد اللبناني؟ هل كانت كتاباته بالفرنسيّة في ذمّ الحضارة الإسلاميّة مرتبطة بتعيينه مثلاً؟ لا نعلم بالتأكيد إذا كان مثل إلياس ربابي يمثّل لبنان في عواصم مختلفة ويتواصل مع الدبلوماسيّين الإسرائيليّين فيها. لكنّ خطابه في افتتاح حفلة 17 أيار كاف كي نعلم الكثير عنه. ماذا قال في 1967. الافتتاح يوم 28 كانون الأول 1982؟ قال للإسرائيليّين إن لبنان «محبٌّ للسلام بطبيعته وتقاليده». قال ذلك فيما كانت قوّات الاحتلال الإسرائيلي تطلق الرصاص عشوائياً على أهل الجنوب وكانت تحرق البساتين كي لا يختبئ فيها مقاومون. ويعترف فتّال للمرة الأولى منذ 1948 بأنّ لبنان كان يكذبُ عندما كان يوقّعُ على اتفاقيات الدفاع العربي المشترك، إذ يقول بالحرف: «وقد رفض لبنان باستمرار اتخاذ المواقف التي كان يمكن أن تستدرجه إلى نزاعات مسلّحة أو تهدد سلامة حدوده». هنا اعتراف صريح بعقيدة فؤاد شهاب العسكريّة-السياسيّة: أن لبنان لم يكن يحترم توقيعه منذ 1948 على الاتفاقات العسكريّة العربيّة وأنه كان ينسّق سراً مع إسرائيل لنبذ التزاماته العربيّة كافة. ويذكّر فتال بتوقيع لبنان على اتفاق الهدنة ويقول عنه: «وقّع لبنان من غير تحفظ اتفاق الهدنة مع إسرائيل». ويجب التنويه بأن المراجع العربيّة أوردت في السنوات الماضية تفاصيل عن جلسات اتفاق الهدنة وكيف أن الضابط المسؤول، المقدّم توفيق سالم، فاجأ الضباط الإسرائيليين بالقول: «نحن لسنا عربياً». ويرد في كتاب «المتاهة اللبنانيّة» كيف أن عضوي الوفد اللبناني (الدبلوماسي المدني، محمد علي حمادة والعسكري سالم) بحثا التطبيع مع إسرائيل لكن من خارج أجندة ومحضر الاجتماع وأصرّ أعضاء الوفد على تقديم واجب الضيافة للوفد الإسرائيلي (حتى الساعة يرد في موقع الجيش اللبناني على الإنترنت دراسة عن اتفاقية الهدنة بقلم العميد الركن المتقاعد، رياض شيا، يرد فيها أن التزام إسرائيل باتفاقية الهدنة بين 1949 و1967 كان «مقبولاً بصورة عامة»). كان ذلك يوم كانت قوات الاحتلال تخترق الحدود متى تشاء وتقتل على الحدود من تشاء ويوم أطلقت النار على طائرة مدنية لبنانيّة في 24 تموز من عام 1950). يقول فتّال لأعضاء الوفد الإسرائيلي إن لبنان وقّع اتفاقية الهدنة «من غير تحفّظ» وإن للاتفاق «طابعاً دائماً ونهائياً». كيف يكون اتفاق هدنة دائماً ونهائياً إلا إذا كان فتال يقصد أن لبنان تحلّل من أي التزام عربي بالقضية الفلسطينية منذ أن وقّع الاتفاق وأن أي عدوان إسرائيلي ضده وضد أي بلد عربي لم يكن سيؤثر على التزام لبنان باحترام احتلال إسرائيل لفلسطين.

ويختلف فتّال مُحقاً مع إسرائيل في أن لبنان لم يخرق اتفاق الهدنة في عام 1967. لبنان لم يناصر الدول العربيّة الثلاث في حرب 1967 لا بل إنه أرسل تطمينات سريّة من شارل حلو في أنه ليس في وارد مساندة العرب، وإنه على الأرجح يتضرّع لنصر إسرائيلي مبين. فتّال يذكر أن لبنان «لم يعلن الحرب على إسرائيل في عام 1967 ولا خاضها ولا قام بأيّ أعمال عسكريّة» (وحدث الشيء نفسه في حرب 1973). ويتنصّل فتّال من الوجود الفلسطيني في لبنان ويقول: «الوجود الفلسطيني على أرضنا الذي كان مصدر اضطرابات خطيرة لم يكن لبنان مسؤولاً عنه». لم يذكر فتّال من الذي كان مسؤولاً عن الوجود الفلسطيني على أرضه ولم يذكر أن الاضطرابات الخطيرة التي يتحدث عنها لم تكن إلا مجموعة من أعمال العدوان الإسرائيلي على لبنان، من خارج اتفاق الهدنة.

لكنّ كلام فتّال الترحيبي بالصلح مع إسرائيل لم يعجب المفاوض الإسرائيلي، ديفيد كيمحي، خرّيج «الموساد» (طبعاً، لم تعترض حكومة لبنان المرتهنة لإسرائيل آنذاك على رئاسة موسادي للوفد الإسرائيلي التفاوضي). وهذه عادة المفاوضين الإسرائيليّين مع العرب. عليهم أن يهينوا ويذلّوا المفاوض العربي أمام الإعلام لترسيخ الاستعلاء العرقي والديني والحضاري. أذكر في قمّة الإسماعيليّة بين مناحيم بيغن وأنور السادات كيف ردّ بيغن على السادات عندما قال بتردّد وخنوع (الخنوع المعروف عنه في حضرة الغربيّين والإسرائيليّين وحاملي حقائب المال من الخليج): إن أرض مصر مقدّسة. ما كان من بيغن إلا أن صاح به أمام الإعلام وبلهجة خطابيّة: ونحن أرضنا مقدّسة، وكان يعني بها فلسطين. وفي خرق للبروتوكول الدبلوماسي، استهلّ كيمحي خطابه الافتتاحي بالقول: «أودّ أن أختلف مع سعادة رئيس الوفد اللبناني البروفسور أنطوان فتّال حول قضيّة اتّفاق الهدنة الذي أشار إليه في كلمته الافتتاحية». ذكر كيمحي أن «زعماء لبنان في ذلك الحين (أعلنوا) تضامنهم مع الجيوش العربيّة، ورفضوا مقابلة ممثّلين عنّا». طبعاً، لا نعلم عن ملابسات طلب الاجتماع بين الإسرائيليّين واللبنانيّين في تلك الفترة لأن لبنان لم يكن يُعلن عن التواصل غير المنقطع بين الرئاسة اللبنانيّة وبين حكومة العدوّ (كان الديبلوماسيّون الأميركيّون يذكرون في مذكراتهم الديبلوماسية الرسمية أن لرئيس الجمهوريّة قنوات تواصل سريّة مع إسرائيل، وكان رجال الموارنة هم القناة في الكثير من الأحيان، من خلال تلك الزيارات «الرعوية» التي بتنا نألفها من خلال زيارات المطران موسى الحاج وحقائب المال التي يجلبها من فلسطين). أي أن كيمحي يعترض على الدعم اللفظي، فقط اللفظي، الذي كان لبنان يعبّر عنه نحو الجيوش العربيّة من دون أن يقدّم أي عون لها. وبالرغم من أن الوفد اللبناني أراد أن يزعم (خلافاً للمنطق) أن اتفاق التطبيع مع إسرائيل يعتمد على اتفاقية الهدنة، فإن كيمحي صحّح لفتّال واعتبر أحكام الهدنة «مُلغاة المفعول». وتذكّر كيمحي أن بندَ باتفاق القاهرة «مع المخرّبين» ولم يعترض واحد من الوفد اللبناني ليس في وارد الدفاع عن نفسه. وأضاف فتّال أن الالتزام بالسلام والتطبيع مع إسرائيل ليس من أجل أن «نحرّر أرضنا من الاحتلال». لا، إن تحرير الأرض هو أخر هم الفريق اللبناني المفاوض، والذي تقفسه في ما بعد فريق 14 آذار الذي لا يزال جاثماً في نصرة إسرائيل في لبنان.

وفي مقدّمة «الكتاب الأبيض» (الذي يجب أن يُعاد طبعه كي تطّلع أجيال لبنانيّة جديدة على أثمان عدم مقاومة إسرائيل) تحمّل حكومة لبنان مسؤولية صفيقة منظمة التحرير الفلسطينيّة المسؤولية كاملة عن مجازر إسرائيل في لبنان، إذ تقول المقدّمة إن وجود الشعب الفلسطيني الثائر «أدّى إلى استدراج إسرائيل لنقل الحرب إلى داخل الأراضي اللبنانيّة». أي إن إسرائيل كانت جارة نائمة مسالمة، مثل الحمل الوديع على حدودنا، فأبَ بالضبع الفلسطيني يستفزّ هذا الحمل ويفقده صوابه. لقد عيل صبرُ عدوّنا المسالم.

واتفاقيّة 17 أيّار تناقض وعود الحريات المنصوص عليها في الدستور اللبناني، إذ تقول في المادة 4، القسم ألف: «يمتنع كل من الفريقيْن عن القيام أو الحثّ أو المساعدة أو الاشتراك في تهديدات أو أعمال حربيّة أو هدّامة، أو تحريضيّة أو عدوانيّة أو الحثّ عليها ضد الفريق الآخر، أو ضد ممتلكاته». أي إن الوفد اللبناني التزم بمنع أي تعبير عن تعاطف مع شعب فلسطين وحظّر أي كلام معادٍ للصهيونيّة ولاحتلال وعدوان إسرائيل. والذي عاش في تلك الحقبة يدرك أن حكومة أمين الجميل غير الشرعيّة بدأت بتنفيذ هذا البند من الاتفاق بمجرّد أن نصّبَ جيش الاحتلال بشير الجميّل وأخاه من بعده. ويكرّر إيلي سالم هذا البند في خطابه أمام المجلس النيابي إذ يقول، بوقاحة، «يمتنع كل من الفريقيْن حسب البند الخامس عن القيام بحملات إعلاميّة ضد الآخر. إن التزامنا في هذا البند هو التزام حكومي. ولذلك يُنتظر من الإعلام الرسمي ألا يقوم بحملات إعلاميّة ضد إسرائيل أو يحرض الشعب ضدّها». لنتخيّل أن لبنان التزمَ، وهو واقع تحت الاحتلال، بأنه سيلتزم بمنع أي آراء تصدر ضد الاحتلال.

وفي ملحق الترتيبات الأمنيّة (القسم دال) لحظّ الاتفاقُ دمجَ ميليشيا إسرائيل في جنوب لبنان من ضمن الجيش اللبناني. وحتى فرق الزعران («كما يدمج الحرس المدني المحلّي القائم حالياً في «الأنصار» ويمنح الصفة المناسبة... لتمكينه» من حراسة أمن احتلال إسرائيل). واتفاق السيادة هذا يفرض (القسم حاء) على الحكومة اللبنانيّة إخطار دولة العدوّ «إشعاراً مسبقاً بجميع الرحلات الجويّة من أي نوع كانت فوق المنطقة الأمنيّة» التي ترتئيها إسرائيل في أرض لبنان (كما يفرض الاتفاق في الفقرة 2، زين، حظراً على الملاحة المدنية في منطقة تحدّدها إسرائيل للبنان). وفي هذه المنطقة يُمنع على الجيش اللبناني نشر قوات أو تجهيزات من دون أن تخضع لموافقة من جيش الاحتلال الإسرائيلي. أمّا البحرية اللبنانيّة فإنها ستتدخّل إذا ما اشتبهت إسرائيل بأي سفينة عابرة.

أمّا الوزان، كما كامل الأسعد، فشكّل الغطاء الإسلامي لقرار اتخذه حزب الكتائب منفرداً ومتفرّداً، بالمعنى السياسي والطائفي. لكنّ الوزّان قال إن الاتفاق لا يخلّ «بالدفاع العربي المشترك». يبدو أن الوزان، الذي كان يسير بما يُطلب منه مقابل وسائل غير روحيّة، لم يقرأ الاتفاق الذي يقرّ بأن مضمون الاتفاق يلغي حكماً كل ما يتناقض معه (لكن الوزان عندما سألتُه في منتصف الثمانينيات عن تجربته في الحكم مع أمين الجميّل كان يقول لي بصوت ضعيف: لم يكونوا يُطلعونني على ما يقومون به. طبعاً، لم يستقل احتجاجاً لو أنه اعترض بحقّ).

أمّا إيلي سالم في خطابه أمام المجلس النيابي فينوّه بأن الاتفاق يمنع الاعتداءات من الطرفين، كان لبنان كان يعتدي على إسرائيل عبر السنوات وكان جيش لبنان كان يقوم بعمليّات فدائيّة ضد إسرائيل من عام 1948 حتى عام 1983. ويكرّر إيلي سالم كلام المسؤولين الإسرائيليين عن براءة إسرائيل وأن جرائمها في لبنان لم تكن إلا بسبب «العمل الفدائي الذي أدّى إلى هجمات إسرائيلية عنيفة». كأن على سالم أن يضيف أن وجود الشعب الفلسطيني على أرض أجداده في فلسطين هو الذي تسبّب في جرائم القوات الصهيونية في حرب 1948. ويُطمئن سالم إسرائيل بالقول «إن لبنان... حريص على سلامة جيرانه».

ويقول إيلي سالم إن لا ضيرَ من منع إسرائيل لبنان من اقتناء صواريخ متطورة ضد الجوّيات أو معدات إلكترونية متطورة لأنه «ليس بنية جيشنا أن يعتمدها». هو يقول إن من حقّ إسرائيل اشتراط ما نقتنيه من سلاح لأنه ليس في نيتنا الدفاع عن أرضنا بوجه عدوان إسرائيل. ويتناسى الذين يتغنون باتفاقية 17 أيّار أنها سمحت للقوات الإسرائيليّة بالتنزّه في لبنان ورصد من يزعجها متى أرادت، لكن إيلي سالم يسوّغ ذلك بالقول إن ذلك أفضل من وجود إسرائيل بكثافة، ووعد بألا يكون الوجود الإسرائيلي مستفزّاً. والطريف أن لبنان طلب من باب المعاملة بالمثل السماح لقوات لبنانيّة بالوجود في فلسطين فما كان من الوفد الإسرائيلي إلا أن ضحك بوجه الوفد اللبناني. ويطلب سالم من الشعب اللبناني التعبير عن امتنانه للوفد اللبناني لأن الحكومة اللبنانية رفضت آنذاك عقد المفاوضات في القدس المحتلّة، يا للنصر المبين. ووصف سالم الكرامة الوطنية بـ«الفارغة» وطمأننا أن ليس من حتميّة لنيّة إسرائيل في ضم جنوب لبنان.

كان يجب بعد تحرير لبنان جرّ كل أعضاء الوفد اللبناني في المفاوضات، وكلّ من تبوّأ منصباً رسمياً في 17 أيّار، إلى محاكمة لما الحقوه من ضرر من خلال تفريط فظيع في الحقوق والسيادة والكرامة الوطنيّة. لكن تاريخ تلك المرحلة لم يُكتب بعد لأن 14 آذار نجحت في ضخ سرديّة حزب الكتائب واعتمادها تاريخاً رسميّاً للبنان، وخصوصاً أن قادة الحركة الوطنيّة إمّا ابتعيوا أو هم قبل رفيق الحريري وأنظمة الخليج أو هم نيام يخافون كشف وجوههم أمام الملأ.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

انطوان فتال مخاطباً ديفيد كيمحي بتوسطهما الديبلوماسي الأميركي موريس دريبر

فتى الكتائب... مغامراً!

سعد الله مزرعاني *

ينهمك رئيس حزب الكتائب النائب سامي الجميل، في سباق تصعيدي محموم مع غريمه الأول، الدكتور سمير جعجع. هما يتبارزان حول من هو صاحب الصوت الأعلى في تجريم المقاومة. كلاهما يهدِّد بالويل والثبور إذا تمّ انتخاب رئيس للجمهورية لا يتعهّد، سلفاً، بنزع الشرعية عن سلاح المقاومة. طبعاً، سيكون على الرئيس العتيد، وفق رغباتهما، زجّ شرعية الدولة وأدواتها العسكرية والأمنية في معركة صريحة وحازمة ضد المقاومة وسلاحها!

من جهته، وفي نطاق المنافسة إياها، استغل رئيس «الكتائب» الأزمة العامة التي انفجرت في تشرين 2019، ولمرحلة امتدت لأكثر من سنتين (حتى الانتخابات النيابية في أيار 2022)، من أجل تسجيل نقاط ضد جعجع. ذكّر بأن قائد «القوات» قد لعب دوراً أساسياً في تأمين انتخاب الجنرال ميشال عون (حليف ومرشح «حزب الله» آنذاك) رئيساً للجمهورية في نهاية ت1 عام 2016. وفيما وقف الجميل، شبه وحيد وبشراسة، ضد عون وعهده، كان جعجع يستفيد من صفقة محاصصة عقدها مع الرئيس عون وبات بموجبها شريكاً أساسياً في السلطة، وبالتالي في المسؤولية عن الأزمة. حرص الجميل في السياق على إظهار تمايزه وتنكّره لـ«المنظومة» الحاكمة التي تتداول السلطة منذ ثلاثة عقود، بل، وحتى، منذ الاستقلال إلى الآن! نسي أو تناسى الشيخ سامي بأن «الكتائب» كانت تُسمَّى «حزب الرئيس». أي أن «الكتائب»، أباً عن جد، كانت، بالفعل، حزب السلطة وأداتها ومن ثم هراوتها حين تطلب الأمر، خصوصاً منذ عهد اللواء فؤاد شهاب حتى عام 1988 (تسوية «الطائف»). اختلّت معادلة مشاركة «الكتائب» في السلطة حين خرجت شبه مهزومة من الحرب الأهلية رغم أنها تمكنت من إيصال ابني مؤسسها إلى رئاسة الجمهورية في مرحلة الغزو الإسرائيلي الأكبر للبنان في صيف عام 1982.

إذاً، مع اندلاع الأزمة الاقتصادية المالية النقدية الشاملة ابتداءً من تشرين عام 2019، بادر رئيس «الكتائب» إلى ركوب الموجة وأصبح أحد أبرز «الثوار»: أولاً، لتصوير حزبه بعيداً عن أيّ مسؤولية في حصول الأزمة، وبالتالي، عن تحمل تبعاتها. هو، ثانياً، ركب قطار «الثورة» دون مراجعة، ودون أن يغيِّر، إلا لفظياً (هو لم ينتقد النظام السياسي أبداً)، في جوهر توجهاته ومواقفه الأساسية. ثالثاً، أراد، في الوقت نفسه (كما أشرنا)، أن يُحرج غريمه الخارج من صلب حزب الكتائب وعليه، سمير جعجع. دفعته المزايدة على جعجع إلى درجة إعلان «الثورة» على الجميع وتبني شعار «كلن يعني كلن». ثم ما لبث مع نواب حزبه وآخرين أن أقدم على الاستقالة من المجلس النيابي مطالباً جعجع بنفس الخطوة وإلا سيكون مراوغاً وغير ذي مصداقية في جذرية شعاراته ضد «المنظومة» وحتى ضد الرئيس عون وتياره وحلفائه. تلقّف إعلام موجّه ومجنَّد في المعركة شعارات ومواقف «فتى الكتائب» وروَّج لصورته الجديدة رمزاً من رموز الانفكاك عن «المنظومة السلطوية» وثائراً متقدماً من بين ثوارها!

لا شكَّ أن خطة الجميل قد نجحت جزئياً لدى جزء من الرأي العام. انطلت مناورته (أو مغامرته!) ليس فقط على غير ذوي التجربة من المجموعات «الثورية» الجديدة، بل، أحياناً أيضاً على بعض القوى التقدمية العريقة! كانت تتبلور، في الأثناء، خطة واشنطن من الأزمة، بتغذيتها واستغلالها، وتركيز، بل وحصر، المسؤولية عنها بـ«حزب الله». عنى ذلك، بشكل واضح، إعفاء منظومة النهب والفساد من أي مسؤولية عن الانهيار واللاصوصية والخراب. أملى الموقف الأميركي على رئيس الكتائب فتح صفحة جديدة استعداداً للانتخابات النيابية وحتى يومنا هذا. هنا عاودت «الكتائب» سيرتها «الطبيعية»: سلاح المقاومة هو المسؤول، وحده، عن الأزمة الطاحنة والانهيار المدمِّر. يحاول رئيس «الكتائب» أن يكون الأكثر تشدداً وإلحاحاً. يهدد خصومه بكلمات كبيرة، بما لا ينسجم مع أصواته النيابية ونفوذه الشعبي والمناطقي الذي قضم جميع الجزء الأكبر منه. يهدد، أحياناً، بالثلجوء إلى العنف رداً على عنف من «يخطف لبنان»! أو بالثلجوء إلى «الطلاق» (التقسيم) لمواجهة «احتلال» السلطة والبلد جميعاً من قبل «حزب الله»! في مقابلة رئيس الكتائب الأخيرة (مساء الأربعاء الماضي على LBCI)، بدا مرتبكاً بسبب تفكك المعارضة. ألمح إلى اللجوء إلى العنف بعد أن أكّد رفضه له. أنكر أي تأثير خارجي على موقفه. قلّل من شأن التطورات الأخيرة في الموقف السعودي ومن عودة سوريا إلى الجامعة العربية من البوابة السعودية. جعل متابعه يعتقد أن حزب الكتائب قد بدأ معه، متناسباً، كما محاورته، بالكامل، علاقة «الكتائب» بالعدو الإسرائيلي ومدى تطابق مطالبه الراهنة مع مطالب إسرائيل!

في السياق يتوهّم ويوهم سامي الجميل مشاهديه بأن شرعية سلاح المقاومة، والمقاومة عموماً، إنما ينتهيان بمجرد صدور قرار رسمي بذلك. فضلاً عن محدودية صلاحيات رئيس الجمهورية، ينبغي التذكير بأن قصة المقاومة، منذ البدء إلى الآن، هي ثمرة أمرين: الأول، تقصير وعجز السلطة الرسمية عن حماية شعب وأرض وسيادة ومصالح لبنان في مواجهة العدوانية الصهيونيّة. والثاني قرار شعبي شجاع بمواجهة العدو مهما كان الثمن. إن مصدر شرعية المقاومة، في سياقها اللبناني، هو الشعب لا السلطة. هي، إذاً، شرعية شعبية اقتربت بإنجازات غير مسبوقة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، لم يكن للكتائب شرف المشاركة فيها! إلى ذلك، فإن التهديدات المستمرة التي يمثلها المشروع الصهيوني على لبنان وفلسطين والمنطقة، واستمرار احتلاله لجزء من الأراضي اللبنانية، هما واقعان راهنان طالما بقيت الدولة عاجزة والتهديد والاحتلال مستمرين.

إن نزع الشرعية عن المقاومة ونزع سلاحها هما مطلبان إسرائيليان. ولقد نجم عن شروط تكوُّن المقاومة وإنجازاتها الوطنية الباهرة، من جهة، واستمرار العدوانية الصهيونية من جهة ثانية، نشوء حالة استثنائية لن تعالج إلا وفق المصالح الوطنية، لا وفق مصالح العدو وداعميه الدوليين أو الإقليميين. ذلك ما تمليه المصلحة الوطنية العليا. وهو، لذلك، لا يمكن أن يقرر بشأنه إلا حوار وطني تصبح، بنتيجته، عندما تتوفر الإمكانات الضرورية، مسؤوليةُ وأعباء الدفاع عن سيادة وأرض ومصالح البلاد، مسؤوليةَ السلطة الرسمية وقواها المسلحة دون سواها. بذلك تكون المطالبة بإقرار سياسة وخطة دفاعية مادةَ حوار وطني لا مطالب لهذا الفريق أو ذاك تحكمها الفتْويات أو الارتباطات الخارجية.

يمكن القول، من دون حرج أو تحامل، إن موقف «الكتائب» من سلاح المقاومة يحيل، للأسف، إلى تاريخ سابق وعلاقات مدانة أكثر مما يرتبط بالأزمة الاقتصادية الراهنة ومتطلبات معالجتها وأسباب حصولها. حبّذا لو استمر الجميل «ثائراً» على «المنظومة» ومحرّضاً على معاقبتها، لا أن يقارب مسألة المقاومة ودورها ومستقبلها من زاوية التهويل بـ«الطلاق» و«العنف» و«الاستقواء بالخارج»، قريباً كان أم بعيداً.

* كاتب وسياسي لبناني

على الغلاف

في اليوم الثالث من معركة «ثأر الأحرار»، بدت إسرائيل واقعةً في دائرة حيرة كبرى لا تعرف كيفية الفكاك منها. فهي، من جهة، لا تجد الضغط الميداني الذي تمارسه إلى الآن، بمافيه الاغتيالات ضدّ قادة حركة «الجهاد الإسلامي»، كافياً لدفع الأخيرة إلى التراجع عن شروطها لوقف إطلاق النار الذي تريده تل ابيب متبادلاً ومجانياً. ومن جهة ثانية، لا تستطيع المغامرة برفع مستوى أذيتها للمدنيين في قطاع غزة - والذي يُعدّ بالنسبة إليها أداة الضغط الأنجع على المقاومة - لما قد يستتبعه ذلك من انخراط أكبر لحركة «حماس» في المواجهة. ومن جهة ثالثة، ليس في مقدورها إبقاء الوضع على ما هو عليه من الاستنزاف وتهشيم صورة النصر المفترضة التي انتزعتها بالضربة الأولى، في المقابل. تَظهر المقاومة أكثر ارتياحاً إلى وضعها، وهي ارتقت أمس درجةً جديدة على سلّم الاشتباك، موصلةً، بقرار واحد وقف ما علمته «الأخبار»، رسائلها إلى مدينة القدس، التي ستكون في الأيام المقبلة، في حال استمرار جولة القتال الحالية، عنواناً رئيساً للمواجهة، بالنظر إلى ما يخطّط له الاحتلال ومستوطنوه من فعاليات تهويدية في ذكرى احتلال المدينة المقدسة. وفي انتظار ما ستذهب إليه الأمور في الساعات والأيام المقبلة، يمكن الاكتفاء، إسرائيلياً، بالحقيقة «القاسية والكئيبة» التي باتت تقرّ بها وسائل إعلام العدو. وعنوانها أن هذه الجولة لن تغيّر شيئاً الآن ثمن التغيير «ثقيل ومؤلم»؛ وفلسطينياً، أن المعركة الجارية حالياً ستسهم في تصليب معادلة «وحدة الساحات»، وتعزيز ميزان الردع الذي استطاعت المقاومة إرساءه في وجه العدو في خلال الأشهر الماضية

الصواريخ إلى القدس بقرار مشترك
المقاومة في اليوم الثالث: سقف الشروط ثابت

فشلت مفاوضات التهدئة في التوصّل إلى تفاهمات بين المقاومة والاحتلال (أ ف ب)

عزة - **رجب المدهون**

في اليوم الثالث، واصلت المقاومة الفلسطينية ردّها على الاحتلال ضمن معركة «ثأر الأحرار»، وسط ضغوط تمارس عليها لدفعها إلى القبول بالتهدئة، وهو ما ردّت عليه بتوسيع بقعة الاستهداف، موجهةً ضرباتها للمرة الأولى نحو أهداف داخل مدينة القدس المحتلّة، فيما ضربت إحدى طائراتها المسيّرة جيب قيادة عسكرياً، شرق مدينة غزة. ومع فشل مفاوضات التهدئة في القاهرة، ورفْض المقاومة وقفاً متبادلاً لإطلاق النار لا يشمل تعهّداً إسرائيلياً بعدم مواصلة سياسة الاغتيالات، عاود العدو الضغط على حركة «الجهاد الإسلامي»، باغتيال القيادي الكبير في «سرايا القدس»، إياد الحسني، عضو المجلس العسكري وقائد وحدة العمليات، مجدداً سياسة استهداف منازل المدنيين ومنازل عناصر «الجهاد»، ليبلغ عدد المساكن المستهدَفة بالطيران أكثر من ستة، إضافة إلى استمرار عمليات قصف المواقع العسكرية والأراضي الزراعية للمواطنين.

في المقابل، واصلت «الغرفة المشتركة لعمليات فصائل المقاومة» ردودها على الاحتلال، إذ أعلنت «سرايا القدس»، الجناح العسكري لـ«الجهاد»، أمس، أن المقاومة وجّهت ضربة صاروخية مركّزة، تمّت على مرحلتَين، في اتّجاه القدس المحتلّة وتل أبيب ومستوطنات العدو، ردّاً على الاغتيالات واستمرار العدوان على الشعب الفلسطيني. وعقّبت «السرايا»، عبر تطبيق «تلغرام» بعد توجيه الضربة الصاروخية: «لقد وَعدنا ووفَينا»، مؤكّدةً أنه «لا خطوط حمراء». ومن جهتها، قالت «كتائب القسام»، الجناح العسكري لحركة «حماس»، عبر «تلغرام»، إن معركة «ثأر الأحرار» «صفحة جديدة من صفحات التضحية والبطولة». وفي الإطار ذاته، علمت «الأخبار» من مصادر فلسطينية، أن استهداف القدس جاء بعد مشاورات بين فصائل «الغرفة المشتركة»، ووسط مساعٍ من جانب الأخيرة إلى الارتقاء بالمعركة من قضيّة الردّ على الاغتيالات إلى الدفاع عن مدينة القدس. وتدارست «الغرفة المشتركة»، أيضاً، خيارات استمرار المعركة مع الاحتلال إلى حين «مسيرة الأعلام» المزمع تنظيمها في الـ18 من الجاري في القدس، ممّا يعني أنه في حال استمرار المعركة، فإن المواجهة ذاهبة في اتّجاه التركيز على القدس، وإطلاق المرحلة الثانية من المعركة تحت عنوان «الدفاع عن المدينة» المقدسة. ومن الاتجاه نفسه، قال القيادي في «الجهاد»، داوود شهاب، إن «قصف القدس رسالة بأن عين المقاومة مفتوحة على القدس وتبصر كلّ ما يجري فيها وما يخطّط العدو هناك، والمعركة تقترب من موعد مسيرة الأعلام... هذا يشجّعنا على أن نستمرّ. وبالنسبة إلينا، فإن توقّف المفاوضات أو استمرارها سيّان، ونحن لم نبلّغ بالتوقّف، نحن في معركة مستمرّة ومستعدّون لخيارات كثيرة ومتعدّدة».

في هذا الوقت، فشلت مفاوضات التهدئة في التوصّل إلى تفاهمات بين المقاومة والاحتلال، بعدما رفضت حكومة بنيامين نتنياهو شروط المقاومة، وبخاصّة التعهّد المكتوب أو الشفهي، فيما نقلت مصادر في «الجهاد»، لـ«الأخبار»، أن الحركة ما زالت مصرّة على عدم تكرار سيناريو مفاوضات معركة «وحدة الساحات» عام 2022، وهي معنيّة بعدم تكبيل المقاومة في قطاع غزة، واستمرار معادلات «وحدة الساحات»، وعدم السماح للاحتلال بالتفرّد بالضفة الغربية المحتلّة بعد المعركة الحالية. وكشفت المصادر أن «الجهاد» تريد أن تحصل على اتفاق بضمانة الوسطاء حول الشروط التي وضعتها، بينما ترفض حكومة نتنياهو أيّ اتّفاق معلن بخصوص هذه الشروط، وتريد أن يكون الإعلان فقط عن وقف متبادَل لإطلاق النار. لكن «الجهاد» ظلّت متمسّكة برفض التعهّد الإسرائيلي، في حين غادر رئيس الدائرة السياسية في الحركة، محمد الهندي، أمس، القاهرة، حيث كان يجري مباحثات مع الوسيط المصري، متوجّهاً إلى لبنان بمقترح إلى قيادة «الجهاد» هناك. كذلك، واصل المصريون جهودهم

> **أفادت وزارة الصحة في غزة بأستشهاد 33 فلسطينياً، بينهم 6 أطفال و3 نساء**

وقدّموا مقترحاً جديداً ليلة أمس بخصوص التهدئة، توازياً مع إبلاغ دولة الاحتلال، المصريين، أنها سترسل وفداً إلى القاهرة لاستكمال المباحثات. من جهته، أكد الأمين العام لحركة «الجهاد الإسلامي» في فلسطين، زياد النخالة، في أول تصريح له منذ بدء معركة «ثأر الأحرار»، أن «المقاومة في الميدان بحالة ممتازة، وتواصل التصدّي للعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة حتى تتوقّف الاعتداءات وتُقبل الاحتلال بالشروط الفلسطينية». وجاء ذلك خلال اتصال هاتفي بين النخالة ووزير الخارجية الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان، بحثا خلاله الاعتداء الوحشي الإسرائيلي على القطاع.

ميدانياً، أعلنت «سرايا القدس» استهداف تجمّع عسكري للاحتلال بعدد من «القذائف من العيار الثقيل»، مؤكدةً إيقاع إصابات دقيقة ومباشرة خلال العملية. وتبع ذلك إعلان من قِبَل «السرايا» أيضاً عن أن طائرة «جنين» المسيّرة استهدفت جيب قيادة للعدو في موقع «ناحال عوز» شرق مدينة غزة، ممّا أوقع عدداً من القتلى والجرحى، بحسبها. وقالت «السرايا»: «طائرات جنين المسيّرة التابعة لسرايا القدس في أول دخول للخدمة في هذه المعركة، استهدفت جيب قيادة للعمليات الجنوبية في موقع ناحال العوز، وأوقعت عدداً من القتلى والإصابات في المكان، والعملية موثّقة بالكامل». فيما اعترف الاحتلال بأن طائرة مسيّرة شاركت في الهجوم على الموقع. كذلك، كشفت «سرايا القدس»، أمس، النقاب عن صاروخ «براق 85»، محلي الصنع، موضحةً أن مداه يصل إلى 85 كيلومتراً، وقطره إلى 220 ملم، ووزن رأسه الحربي إلى 40 كيلوغراماً، لافتة إلى أنه دخل الخدمة في عام 2019.

إلى ذلك، أفادت وزارة الصحة في غزة، في آخر إحصائية لها حول نتائج العدوان الإسرائيلي، باستشهاد 33 فلسطينياً، بينهم 6 أطفال و3 نساء، وإصابة 111 آخرين بجروح مختلفة.

صاروخ على «رحوفوت»: «الأمر أشبه بالكذب»

لم تقع أيّ إصابات في سديروت باستثناء بعض حالات الهلع التي عولجت ميدانياً (أ ف ب)

بيروت حمود

تلقّت مستوطنة «رحوفوت» جنوبي تل أبيب، أوّل من أمس، ضربة موجعة، بعدما فشلت منظومة "القبة الحديدية"، «لأسباب تقنية»، كما ادّعى المتحدث باسم جيش الاحتلال، في اعتراض صاروخ أصاب مبنًى فيها إصابة مباشرة، ما ألحق به دماراً كبيراً، وأوقع قتيلاً وعدداً من الجرحى. مشاهد الدمار التي لحقت بالمبنى الواقع في قلب المدينة، أثارت الرعب في نفوس مستوطنيها، وفق ما نقلته صحيفة «معاريف» العبرية عن مستوطن يدعى ميخال، قال إن «الأمر كان مرعباً ومفاجئاً جدّاً»، مضيفاً: «لم أتخيّل للحظة أن صفارات الإنذار التي انطلقت كان سببها سقوط صاروخ، لقد ظننتُ أن صوت الانفجار إنّما هو فلسطينياً، بينهم 6 أطفال و3 نساء، ناجم عن صاروخ القبة الحديدية، لكن المفاجأة كانت أن صاروخاً أصاب المبنى بالفعل، ونتج منه دمار شديد وقتيل، فضلاً عن الإصابات»، أملاً بأن «يردّ الجيش بقوّة شديدة على هذه الضربة». أمّا نيتع، وهي الأخرى مستوطِنة من "رحوفوت" كانت في مبنى قريب من موقع القصف، فقالت إنه «كان هناك انفجار ضخم، تبعه وصول قوات ضخمة من الشرطة وفرق الإنقاذ، أغلقت مفارق الطرق ومداخل المدينة، مظهرةً حزماً مطلقاً في التعامل مع الحدث». وأشار ششي أفودراهم، بدوره، في مقابلة مع موقع «والا»، إلى أنه كان في سيّارته لحظة انطلاق صفارة الإنذار، التي ما إن سمعها حتى خرج راكضاً، وبعد لحظات قليلة فقط سمع صوت انفجار الصاروخ في المبنى الذي كان يقف على بعد عشرات الأمتار منه. وأضاف: «لقد كان الأمر مثل الكذب». وبعد وقوع الضربة بوقت قليل، وصل إلى المكان قائد الجبهة الداخلية، الجنرال رافي ميلوا، الذي أوضح أنه إثر الفحص تبيّن أن «المبنى المدمّر يحتوي ملجأ قديماً، تحوّل مع مرور الوقت إلى مخزن، ولهذا لم يَدخل ساكنو البيت إليه لحظة سماعهم صفارة الإنذار». من جهتهما، أفاد المسعفان، بديدا حكمون، وتومر بشكو، بأنه «عندما وصلنا إلى الشارع، رأينا دماراً ضخماً في المبنى... دخلنا وعلى الفور بدأنا بالبحث داخل الشقق»، مضيفَين أنه «في الطابق الثالث كان هناك مصاب فاقد للوعي تماماً، مع إصابة بجروح حرجة... لم يكن أمامنا سوى إعلان موته. وفي شقّة ثانية، وجدنا مسنّاً (74 عاماً) كانت رجله عالقة تحت الدمار، أسعفناه ونقلناه إلى المستشفى وهو مصاب بإصابة متوسّطة الخطورة. كما قدّمنا الإسعاف لثلاثة آخرين أصيبوا إصابات متوسّطة، ولرابع إصابته طفيفة».

أمّا في «سديروت»، فتضرّرت ثلاثة مبانٍ، أحدها كان فيه بعض العاملين، والآخر شقّة سكنية يقطنها زوجان ومهاجر أوكراني، فيما الثالث مركز جماهيري كانت تزوره وزيرة الاستيطان، أوريت ستروك، لحظة سقوط الصواريخ. غير أنه طبقاً لموقع «والا»، فإنه «لم تقع أيّ إصابات في سديروت باستثناء بعض حالات الهلع التي عولجت ميدانياً». وفي "أشكول"، أصيب عامل أجنبي (30 عاماً) بجروح متوسّطة بعدما طالته شظايا صاروخ سقط في منطقة مفتوحة. كما أصيب مستوطِن وزوجته في مستوطنة "كفار ميمون" بشظايا صاروخ سقط في فناء منزلهما.

توسّع دائرة اللهب: لا خطوط حمراء أمام المقاومة

يوسف فارس

بعد ليلة ساخنة شهدت عشرات الغارات التي طاولت مختلف محافظات قطاع غزة، وفي وقت كانت فيه مفاوضات وقف إطلاق النار تصل إلى لحظاتها الأخيرة، وفيما الحدّ الذي دفع جيش الاحتلال إلى نشر حصيلة أيام القتال الثلاثة تمهيداً - كما العادة - لتوقّف المعركة، وسّعت المقاومة، يوم أمس، دائرة اللهب، على نحو صدم المستوطِنين السياسي والأمني في الكيان. وأطلقت المقاومة، قبل الظهر، رشقة صاروخية كبيرة، طاولت لأوّل مرّة مستوطنات جنوب الضفة الغربية المحتلّة، مثل "بيتار عيليت" غربي بيت لحم، و"إفرات"، فضلاً عن مختلف المستوطنات والمدن المحاذية لقطاع غزة، والأهمّ مدينة القدس، التي شُقّت رشقة مكوّنة من سبعة صواريخ طريقها نحو مستوطنات "غوش عتصون" و"بيت شيمش" غربيها، وهو ما دفع محلّلي وسائل الإعلام العبرية إلى القول: "على ما يبدو، الجهاد الإسلامي عيّنت مسؤولاً جديداً للوحدة الصاروخية أكثر جنوناً من سابقه"، فيما رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، الذي تجاوزت الجولة الحدود الزمانية والميدانية لتقديراته، أعطى تعليماته بتكثيف الردّ على "الجهاد" وإلحاق ضرر جسيم ببنيته التنظيمية.

في المقابل، أكّد الإعلام الحربي لـ"سرايا القدس" مواصلة الهجمات، ناشراً صوراً حملت عبارة "وعدنا ووفينا... لا خطوط حمراء". كذلك، نشر الإعلام العسكري التابع لكتائب القسام، الذراع العسكرية لحركة "حماس"، تصميماً حمل صور شهداء "السرايا"، ممهوراً بمسمّى المعركة الجارية: "ثأر الأحرار". واوضحت مصادر في "الجهاد"، بدورها، في حديث إلى "الأخبار"، أنه "لم يُعَد منوطاً بهذه الجولة، رفع تكلفة اغتيال القادة فحسب، إذ إن نهاية الأسبوع المقبل ستشهد حدث مسيرة الأعلام، التي ترفض قيادة الاحتلال حتى اللحظة تغيير مسارها، لذا، فإن إطلاق الصواريخ على القدس حمل رسالة إلى العدو، ومن خلفه الوسطاء الإقليميين، بأن الخروج من هذه الجولة لا بدّ من أن يحمل منجزاً واضحاً، وهو تعطيل مخطّط مسيرة الأعلام الذي من المتوقّع أن يشعل الموقف مجدّداً". وأشارت المصادر إلى أن "قيادة الاحتلال تستعجل التوصّل إلى وقف لإطلاق النار، بأيّ ثمن كان، لأنها تدرك أن لديها حدثاً مرتقباً بعد أيام، سيضمن لها صناعة مشهد استفزازي في القدس، يحقّق صورة النصر، وعندها، لن تستطيع المقاومة الخارجة لتوّها من جولة صعبة، أن تعيد الكرّة، وعليه، فإن إطالة مدّة الجولة ورقة رابحة بيد المقاومة لا بدّ من استغلالها".

> **ما استُخدم حتى اللحظة، هو فقط جزء ممّا تمتلكه القوّة الصاروخية من إمكانات**

جدل الصواريخ النوعية

كان العنوان الأبرز الذي تصدّر مختلف الصحف العبرية صباح أمس، هو صاروخ مستوطنة "رحفوت"، بعدما استطاع الإفلات من منظومَتَي "القبة الحديدية" و"مقلاع داوود" - على رغم محاولة اعتراضه بنحو 20 صاروخاً -، وتمكّن من خرْق سطحَين قبل أن يَنفذ إلى شقّة سكنية عاث فيها خراباً واسعاً، وتسبّب بإصابة نحو 20 مستوطناً. واستضافت المواقع العبرية، على خلفية هذا الحدث، شهود عيان من المستوطنين، قال أحدهم: "للوهلة الأولى رأيتُ الدخان، والهلع الكبير، والصراخ في كلّ مكان، رأيتُ الركام والدخان في كلّ مكان، لم يكن واضحاً مكان الضربة بالتحديد، لم أكن أعلم ما إذا كان الملقون على الأرض قتلى أو جرحى، أكوام من الناس في الشوارع، لا نعرف من هو حيّ أو ميت". وتابع: "رأيتُ رأس شخص وهو يخترق الجدار، لم أصدّق أن دماراً بمثل هذا الحجم سيصيب مدينتنا". وفي ما بدا محاولة لتمويه الخسائر، ازدحم الإعلام العبري، في الوقت نفسه، بأخبار حوادث الطرق والجرائم، مع الحديث عن وقوع جريمتَي قتل في ليلة واحدة، وإصابة سبعة مستوطنين بجروح متفاوتة في حوادث طرق.

وعن طبيعة الصواريخ التي تطاول العمق الإسرائيلي، ترجّح مصادر عبرية أن يكون بعضها من طراز "m302" السوري، فيما تفترض أخرى أن جزءاً منها هو من منظومة "فجر" الإيرانية. أمّا "الجهاد" فلم تفصح إلّا عن هويّتَي صاروخَي "براق 85" و"بدر 3" اللذَين ضُبطا محلياً، فيما تركت مصادر في "السرايا" تحدّثت معها "الأخبار"، الإجابة شاغرة عن تلك الأسئلة، مؤكّدة في الوقت عينه أن ما استُخدم حتى اللحظة، هو فقط جزء ممّا تمتلكه القوّة الصاروخية من إمكانات.

وشعت المقاومة دائرة اللهب على نحو صدم المستويين السياسي والأمني في الكيان (أ ف ب)

شهداء غزة المنسيّون: يا موتنا!

(أ ف ب)

لن يَعدّ محمد الأيام والساعات بعد اليوم. ليس في رحاب أيام الصيف المنتظَر، ما سيغمض عينيه ليلاً ليتأمّل روعته، بعد أن استحال حلم الزواج ذكرى سيجتهد كثيراً ليستطيع مواصلة حياته الطبيعية على وقعها. على أنقاض غرفة خطيبته دانا (19 عاماً)، سيطيل التأمّل والتحسّر. وحده يحتفظ بكلّ ثانية يحويها شريط اللقاء الأخير، حين زارها قبل ساعات من القصف الإسرائيلي الذي طاول منزل جارها، الشهيد خليل البهتيني، في حيّ الشعف شرقي الشجاعية شرق مدينة غزة، وأودى بحياتها وحياة شقيقتها إيمان. في تلك الليلة، طلبته خطيبته لزيارتها، ليشرح لها شيئاً ممّا صعُب عليها في دراستها، غير أن الساعات الجميلة التي مضت سريعاً، ستكون آخر عهده معها.

عبثاً، يحاول محمد سعد (19 عاماً) إخفاء انكساره، وهو يروي حكاية حلم لم يكتمل. تُقاطع حديثه تمتمات أشبه بالهذيان: كسروا قلبي... ضيّعوا حلمي المجرميّن، ثمّ يردف: "خطبتُ دانا قبل ثلاثة أشهر، تعلّقتُ بها، وأحببتُها كأنّني أعرفها منذ زمن، كانت تدرس في كلّية إدارة الأعمال، وهي متفوّقة في جامعتها، وكنّا قد اتّفقنا على أن أكمل مسيرتي التعليمية التي الهاني عنها انهماكي في عملي الحرّ، تحت إشرافها ومتابعتها بعدما تنتهي هي من الدراسة". ويكمل: "كلّ شيء انتهى قبل أن يبدأ، قتلوا روحي، خطّفنا لكلّ شيء، مراسم الزفاف التي سنقيمها في شالية، حجزتُ فرقة الزفّة، ولم أعرف أنّني سأزفّها شهيدة للسماء".

> **عبثاً، يحاول محمد سعد (19 عاماً) إخفاء انكساره، وهو يروي حكاية حلم لم يكتمل**

يتابع الشاب المكلوم حديثه قائلاً: "كانت الأقدار قد رتّبت لنا لقاءات عفوية أو مدبّرة يسعى مني أو منها بشكل شبه يومي، إلى أن اتّفقنا على أن لا أزورها إلا يومين في الأسبوع، لكن دائماً ما كانت تتدخّل الصدفة أو القدر في تدبير لقاء يومي ولو لدقائق". ويزيد محمد، الذي كان من المقرّر أن تُعقد مراسم زفافه في يوم الـ21 من تموز المقبل، وهو يستذكر تفاصيل الزيارة الأخيرة: "رأيتُها في تلك الليلة أجمل وأكثر بهجة وألقاً من أيّ يوم آخر". لكن لدى مغادرته منزلها، أحسّ بشعور غريب، انقبض له قلبه؛ "لن أنسى تلك اللحظة طوال عمري"، يقول محمد، ويضيف: "ما إن وصلتُ البيت، حتى سمعت صراخ والدي دانا: شو صار؟ وين الإسعاف؟... خرجتُ من المنزل مسرعاً وعدتُ إلى منزلها الذي لا يبعد كثيراً عن بيتنا، وجدتُ المنطقة قُلبت رأساً على عقب، بحثتُ عنها تحت كلّ حجر، كنت أتحسّس الدماء وأُكذّب نفسي بأنها ليست دماءها".

انتهى كلّ شيء: الحلم بالأطفال الذين كانت تستعجل خطيبته مجيئهم، البيت الهانئ، الطموح بالعمل في بنك... إلخ. يختم محمد حديثه بالقول: "أحببتُ كلّ ما تحبّه، لونَيها الأزرق والأحمر اللذَين لا تلبس سواهما، المشي، التصوير، البحر، أحببتُ كلّ ما أحبّته".

على الغلاف

إسرائيل في دائرة الحيرة: لا خيار «جيّداً»

يحيى دبوق

قد يكون من المبكر الحديث عن نتائج المواجهة الحالية بين العدو الإسرائيلي وحركة «الجهاد الإسلامي»، وإن كان جزء منها بات ملموساً. وسواء أعلن وقف إطلاق النار الآن، أو تأجّل أياماً، وهو ما تريده «الجهاد» كي تنتزع إقراراً إسرائيلياً بالفشل، فإن المعطيات المتوافرة حتى الساعة تحمل كثيراً من الدلالات، ربطاً بالمواجهة نفسها، وبميزان القوة والردع بين الجانبين، وبما يتجاوزهما أيضاً. ولعلّ أولى الحقائق التي أثبتتها الجولة الحالية، هي ارتداع إسرائيل عن مواجهة قطاع غزة بكلّ ما فيه من قدرات فعلية، ومن دون تحييد أيّ من مصادر قوّته، أي بتعبير آخر عن مواجهة حركتَي «حماس» و«الجهاد» وبقيّة الفصائل معاً. وهو ارتداعٌ يجيز التساؤل حول دلالات إفراط تل أبيب في حرصها على تحييد «حماس» عن المعركة.

بدأ مسار التحييد هذا قبل أيام من تنفيذ عملية اغتيال القادة الثلاثة في «الجهاد»، وذلك من خلال الحديث الإسرائيلي المفاجئ والخارج من السياق، عن إمكانية تفعيل حقول غاز كامنة في بحر غزة، بما يعود بالفائدة والعطاء من غيرهم، بل إنهم يعيشون كلّ يوم على أساس أنه الأخير في حياتهم، وبالتالي عليهم العمل فيه بأقصى طاقتهم لصالح القضية التي يؤمنون بها. ولعلّ أوضح مثال على ذلك، هو الشهيد القائد عماد مغنية، الذي كان مهدّداً بالاغتيال طيلة 25 عاماً من أكثر من جهاز استخباراتي عالمي، ولكن هذه التهديدات لم تمنعه من العطاء في كلّ لحظة وكأنه ليس ثمّة يوم آخر، وهو ما لا يمكن لغير «ابن الموت» فعله.

في عام 2019، أعادت إسرائيل تفعيل سياسة الاغتيالات في قطاع غزة بعد توقّف دام 7 سنوات، مستهدفةً قيادات حركة «الجهاد الإسلامي»، وذلك بهدف كسر حلقة القيادة المنظّمات أصغر منها، ولا تتوافق مع سياسة «حماس»، والتشديد على وجود «مصالح مشتركة» بين الأخيرة والاحتلال، عنوانها منع «المتطرّفين» من الإمساك بزمام الأمور على ضفّتَي المتراس، منعاً للاشتباك الذي لا يريده الطرفان، وأخيراً التمسّك بسعي إسرائيل الدؤوب لدى الجانب القطري، لزيادة المعونة المالية للقطاع، بما يؤدّي إلى مضاعفتها. أمّا في خلال المواجهة نفسها، فحرصت إسرائيل على البعث برسائل، بعضها علني والآخر منها غير علني، إلى قيادة «حماس» مفادها أنها غير معنيّة بأيّ مواجهة مع الحركة، وأنها تريد فقط «الاقتصاص» من «الجهاد».

جاء هذا الحثّ الإسرائيلي على الانكفاء، متساوقاً مع إرادة الانكفاء نفسها لدى «حماس»، وسواء كانت هذه الإرادة نتيجة اتّفاق مع «الجهاد»، أو أن الاتفاق نفسه جاء في أعقاب الانكفاء وبسببه، فالأكيد أن إسرائيل شديدة الحرص على تجنّب المواجهة، على رغم أن بقاءهم بعيداً عنها ليس مضموناً، وخاصة إنْ وصل الإيذاء الإسرائيلي للقطاع إلى حدود لا يمكن معها لقيادة «حماس» أن تُواصل الوقوف في المربّع نفسه. وفي انتظار ما ستحمله الساعات والأيام القادمة، تحاول «الجهاد» تحويل هذا الواقع من تهديد إلى فرصة، بما يمكّنها من تمتين موقفها، والتجلّد أمام الآذية، إلى حين تحقّق الشروط التي تصرّ على انتزاعها من إسرائيل. بتعبير أوضح، يمكن القول إن «الجهاد» لن تلين إلّا في حال تمادي العدو في آذيّة المدنيين، بينما مطلب تحييد «حماس» يفرض على إسرائيل الابتعاد عن هذا المستوى من الآذية، وهو ما يتيح لـ«الجهاد» التشدّد في موقفها.

> قرار الاعتداء على قطاع غزة مرتبط بشكل رئيس، سواء في أصل اتّخاذه أو توقيته ومدّته أو مستواه وأهدافه، بالمؤسّسة العسكرية

وإذا كان العدو قد آلف، في ما مضى من مواجهات، اتّخاذ العدوان على المدنيين وسيلة لابتزاز المقاومة، وإجبارها على القبول بالنهاية التي يرتئيها هو وفقاً لمصلحته، وفي التوقيت الذي يريده، فهو يجد نفسه اليوم أمام معضلة مركّبة: إذ ليس بالإمكان دفع «الجهاد» إلى وقف لإطلاق النار طبقاً للإرادة الإسرائيلية، بل بأتت الحركة هي التي تشترط شروطاً لإنهاء المواجهة، فيما إطالة مدّة المعركة لا تتوافق مع المصلحة الإسرائيلية، وتقضم كثيراً من الإنجازات الحظوية التي قد تكون تحقّقت مع بدء العدوان. بعبارة أخرى، تريد إسرائيل إقفال الجولة من دون تلبية أيّ من تلك الشروط، وفي المقدّمة منها التعهّد للوسيط المصري بوقف سياسة الاغتيالات، لكن هذا المطلب بات متعذّراً وصعباً جدّاً من دون رافعات ضغط حقيقية، على رأسها، من وجهة نظر العدو، أذيّة الفلسطينيين المدنيين، والتي يبدو الإقدام عليها مجازفة كبرى، بالنظر إلى ما سيستتبعه من توسّع في المواجهة، وارتقاء في مستواها.

إزاء ما تقدّم، يمكن تقرير الآتي:

- قرار الاعتداء على قطاع غزة مرتبط بشكل رئيس، سواء في أصل اتّخاذه أو توقيته ومدّته أو مستواه وأهدافه، بالمؤسّسة العسكرية. صحيح أنه قد يكون للمؤسّسة السياسية رأي في تأجيل أو انتخاب خيار من بين الخيارات التي تُعرض عليها، لكن في الحالة الحاضرة، فإن الكلمة العليا هي للعسكر؛ إذ يُستبعد في ظلّ الاشتباك الداخلي بين الساسة في الكيان، أن يجيّر الطرف الحاكم سلطته لإصدار قرارات تستبطن مخاطر وتهديدات، وذلك لتحسين مكانته السياسية فحسب.

- على هذه الخلفية، بدت سياسة حكومة بنيامين نتنياهو المؤتلفة من اليمين واليمين الفاشي، وبعد أشهر على تشكيلها، غير مختلفة كثيراً عن سياسة الحكومة التي سبقتها، والتي يسمّيها اليمين بـ«اليسارية الخائعة المدعومة من الإخوان المسلمين» (ائتلاف «القائمة العربية الموحدة» بزعامة منصور عباس مع معسكر يائير لابيد). وحتى في تعاملها مع قطاع غزة، حافظت على سياسة امتصاص الضربات المنطلقة من القطاع، من دون الانجرار إلى ردّ فعل يؤدّي إلى مواجهة. لكن عندما قرّرت المؤسّسة الأمنية أن الوقت حان لتوجيه ضربة، كان على الحكومة أن تصادق على قرارها، تماماً كما كانت تفعل الحكومة السابقة.

- الحكومات الإسرائيلية، إلّا في ما ندر، هي نوع من «الختم المطّاطي» لإرادة المؤسّستَين العسكرية والأمنية وتوجّهاتهما. وطابع «الختم المطّاطي» هذا، يتأكّد أكثر في مراحل التأزّم السياسي الداخلي، أو في حالات «المعضلات الشخصية» لمن يرأس المؤسّسة السياسية. قد يتاح لرأس الهرم في الحكومة أن ينتخب التوقيت الذي يفيده في حال تقرّر توجيه عمليات أمنية أو عسكرية، وبما يتوافق مع مصلحته الخاصة، لكن لا يمكنه أن يفرض فرضاً أيّاً من خياراته، ما لم يستحصل على مصادقة عملية من المؤسّسة الأمنية. وفي ذلك قلب للواقع النظري، المنصوص عليه في القوانين الإسرائيلية.

- أخيراً، وبالعودة إلى سياسة تحييد «حماس»، من المفيد الإشارة إلى ما يعاب على نتنياهو في الإعلام العبري (القناة الـ 12، 2023/05/11): «... تجدر الإشارة إلى أن السياسة الأمنية التي يتّبعها نتنياهو هي السياسة نفسها التي يجري اتّباعها في إسرائيل منذ أكثر من عشر سنوات. بدأها هو، وواصل العمل بها رئيس الحكومة السابق، نفتالي بينت (وكذلك يائير لابيد). وها هي حكومة نتنياهو الحالية تبذل قصارى جهدها لمنع حماس من الانجرار إلى المواجهة في غزة، وهو القرار الذي عملت المؤسّسة الأمنية على إيضاحه وشرحه لوزراء المجلس الوزاري المصغّر في الجولة السابقة (في زمن الحكومة السابقة)، أنهم نتنياهو وأبواقه بينت بالكسل تجاه حماس، لكنه الآن حذر وبضبط نفسه وينسّق بشكل كامل مع المؤسّسة الأمنية. هذا عندما يكون ممسكاً بزمام القيادة في إسرائيل، أمّا ما يقوله عندما يكون في المعارضة، فلا بأس به، لأنه يعرف من التجربة أنه لا ضرورة لأن يصمد على أرض الواقع».

بدت سياسة حكومة بنيامين نتنياهو غير مختلفة كثيراً عن سياسة الحكومة التي سبقتها (أ ف ب)

«أبناء الموت»: نسلٌ لا ينقطع

قاسم س. قاسم

«أبناء الموت»؛ وصفٌ تطلقه إسرائيل على الأشخاص الموضوعين على لائحة الاغتيال لديها، والذين يُعتبرون بالنسبة إليها أمواتاً، ولكنهم الآن أحياء لأن يدها لم تصل إليهم بعد. تستهدف دولة الاحتلال، من وراء هذه السياسة، إشغال المهدَدين بالاغتيال بالحرص على أمنهم الذاتي، معتقدةً أن ذلك يكبّلهم ويضعف حركتهم، وينعكس بالتالي على أدائهم المقاوم. وهي تعتقد، تالياً، أنها تسعى إسرائيل، من خلال تكثيف عمليات الاغتيال ضدّ أعضاء المجلس العسكري لـ«الجهاد» إلى شلّ القيادة العسكرية لـ«السرايا»

أن تنفيذ الاغتيالات وتكثيفها، من شأنهما إحباط المخططات التي يعمل عليها أعداؤها، وتصعيب مهمّة إيجاد بُدلاء من الراحلين، عليهم. في الشقّ الأول، أي التهديد بالاغتيال، لم توقف إسرائيل، منذ معركة «سيف القدس»، التلويح بهذه السياسة ضدّ حركة «حماس»، مُهدِّدةً بأستهداف رئيس المكتب السياسي للحركة في غزة، يحيى السنوار، والقائد العام لـ«كتائب القسام»، الذراع العسكرية لـ«حماس»، محمد الضيف، وأخيراً، نائب رئيس المكتب السياسي للحركة، صالح العاروري. وهي تظنّ أنها بهذه التهديدات المباشرة وغير المباشرة، من مِثل تلك التي وجّهها وزير الطاقة الإسرائيلي، يسرائيل كاتس، إلى «حماس»، خلال مقابلة صحافية مع قناة «كان» أخيراً، ستؤثّر على قادة المقاومة سلباً.

لكن ما يفوت دولة الاحتلال، في الواقع، هو أن الموت فعل يومي مرافق للعمل المقاوم، واحتماليته موجودة دائماً. قد يبدو هذا الكلام شاعرياً، لكن الموت هو بالفعل أقصى ما يتمنّاه أيّ مقاوم. ولذا، تجد المهدَدين بالاغتيال أكثر استعداداً للبذل والعطاء من غيرهم، بل إنهم يعيشون كلّ يوم على أساس أنه الأخير في حياتهم، وبالتالي عليهم العمل فيه بأقصى طاقتهم لصالح القضية التي يؤمنون بها. ولعلّ أوضح مثال على ذلك، هو الشهيد القائد عماد مغنية، الذي كان مهدّداً بالاغتيال طيلة 25 عاماً من أكثر من جهاز استخباراتي عالمي، ولكن هذه التهديدات لم تمنعه من العطاء في كلّ لحظة وكأنه ليس ثمّة يوم آخر، وهو ما لا يمكن لغير «ابن الموت» فعله.

في عام 2019، أعادت إسرائيل تفعيل سياسة الاغتيالات في قطاع غزة بعد توقّف دام 7 سنوات، مستهدفةً قيادات حركة «الجهاد الإسلامي»، وذلك بهدف كسر حلقة القيادة لدى التنظيم، إذ اغتالت في العام المذكور، قائد لواء الشمال في «سرايا القدس»، الذراع العسكرية للحركة، بهاء أبو العطا، توازياً مع محاولتها تصفية القائد العام لـ«السرايا»، أكرم العجوري، في العاصمة السورية دمشق، من دون أن تنجح في تحقيق هدفها. وفي أعقاب استشهاد أبو العطا، عُيّن مكانه الشهيد تيسير الجعبري الذي اغتاله العدو في آب من العام الماضي، ليَخلفه الشهيد خالد البهتيني قائداً للمنطقة الشمالية في غزة، قبل أن تغتاله إسرائيل هو الآخر في التاسع من الشهر الجاري. السيناريو نفسه تكرّر أيضاً في المنطقة الجنوبية لقطاع غزة، حيث اغتال العدو، القيادي في «السرايا» الشهيد خالد منصور، في آب الماضي، ليحلّ بدلاً منه الشهيد جهاد غنّام الذي جرت تصفيته في التاسع من الجاري.

تسعى إسرائيل، من خلال تكثيف عمليات الاغتيال ضدّ أعضاء المجلس العسكري لـ«الجهاد» إلى شلّ القيادة العسكرية لـ«السرايا»، إذ منذ العام الماضي، وتحديداً بعد اغتيال أبو العطا في عام 2019، وحتى الآن، اغتال العدو، بشكل متتال، 6 شخصيات من بين قوام هذا المجلس، وهم: الجعبري، منصور، البهتيني، غنّام، الشهيد علي أبو غالي الذي اغتيل غرب مدينة خان يونس في الـ11 من الشهر الجاري، وأخرهم إياد الحسني، قائد وحدة العمليات، والذي استشهد مساء أمس في قصف إسرائيلي لمنزله في حيّ النصر في القطاع. تعتقد دولة الاحتلال أنها بهذه الوتيرة من التصفية، ستوصل «الجهاد» إلى حالة تجد معها الأخيرة صعوبة كبرى في إيجاد البديل، ما يؤدّي بالتالي إلى كسر حلقة القيادة، وهو ما صرّح به رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، في العاشر من الجاري.

قد تبدو هذه الاستراتيجية ناجعة نظرياً، كونها كفيلة بتعطيل منظومة القيادة - لساعات أو لأيام -، لكن كما أظهر الميدان، فإن اغتيال قيادات «الجهاد» لم يؤثّر على عمليات إطلاق الصواريخ أو على زخمها. فبعد اغتيال الشهيد غنام ونائبه، استمرّ الإطلاق على تل أبيب، بل وصلت الصواريخ إلى القدس المحتلّة. ولعلّ مردّ ذلك إلى أن المقاومة، سواء في لبنان أو فلسطين، شكّلت نفسها على أساس أن قادتها معرّضون للموت في أيّ لحظة، وأن تصفية فرد أو مجموعة أفراد لا يجوز أن تؤثّر طويلاً على عمل المنظومة ككلّ. لا بل ثبت أن مَن يُخلفون الراحلين قد يكونون أكثر قوّة وحضوراً وتأثيراً وفاعلية من أسلافهم، وهو ما عبّر عنه المحلّل السياسي الإسرائيلي، روغل الفر، في مقال له في الـ11 من الجاري في صحيفة «هآرتس»، توجّه فيه إلى رئيس أركان الجيش، هرتسي هاليفي، بالقول: «هل سيخاف قادة التنظيم من القيام بمهامّهم خوفاً على حياتهم؟ أنت تعلم جيّداً أن هذا ليس صحيحاً. القادة الذين اغتلتوا سيحلّ محلّهم آخرون. ومَن سيحلّ محلّهم ستكون لهم الأهداف وأساليب العمل عينها. والحال هذه، من أجل ماذا فعلت ذلك؟».

مع ذلك، لا يَخفى أن الضربات التي تلقّتها «الجهاد» في الأشهر الماضية موجعة، وأن بعض مَن قضوا فيها لا يمكن تعويضهم، وهو ما يستوجب إجراء مراجعة داخلية حول الأسباب والثغرات وربّما الخروقات الأمنية التي أدّت إلى تصفيتهم تباعاً. لكن أيّاً يكن، فالأكيد أن الموت لن يوقف الفعل المقاوم، وأن اعتقاد العدو بأن اغتيال قيادات من المقاومة سيعطّل مشروع تحرير فلسطين إنّما هو وهم، وفق ما أثبتته التجربة مراراً وتكراراً. فبعد اغتيال الشهيد فتحي الشقاقي جاء الدكتور رمضان شلح، وبعد اغتيال الشيخ أحمد ياسين جاء الشهيد عبد العزيز الرنتيسي، وبعد الرنتيسي جاء خالد مشعل، وبعد اغتيال الأمين العام لـ«حزب الله» الشهيد عباس الموسوي جاء السيد حسن نصرالله. وبالنتيجة، فإن الدم لن يوقف تقدّمه، فيما سيبقى «أبناء الموت» يطاردون إسرائيل، أحياء كانوا أم أمواتاً.

الموت فعل يومي مرافق للعمل المقاوم، واحتماليته موجودة دائماً (أ ف ب)

ساحة المقاومة واحدة

يوسف فارس

لم يتوقّف الاستثمار الإسرائيلي في محاولة عزل حركة "الجهاد الإسلامي" عن فصائل المقاومة الأخرى أوّلاً، ثمّ تعريتها جماهيرياً ثانياً، صباح أمس، أفردت قناة "مكان" الإسرائيلية الناطقة بالعربية، مساحة واسعة، رصدت فيها تعليقات نشطاء في حركتَي "حماس" و"الجهاد الإسلامي" عبر مواقع التواصل، مسلّطةً الضوء على كون كلّ طرف منهما يتّهم الآخر إمّا بالتخاذل أو بالمغامرة وعدم المسؤولية. غير أن ظهر اليوم ذاته، شهد دخولاً مباشراً للإعلام العسكري التابع لـ"القسام" على خطّ الجولة، توازياً مع مواصلة "غرفة العمليات المشتركة" التابعة لفصائل المقاومة، تأكيدها أنها تمكّنت من إدارة الجولة بشكل موحّد، وإفشال مخطّط الاستفراد بـ"سرايا القدس".

مع ذلك، واصل المستويان السياسي والأمني في إسرائيل، العزف على وتر تحييد "حماس"، وعزّزا في تسريباتهما رواية عزوف الأخيرة عن المشاركة في جولة التصعيد، بل ذهب الإعلام العبري الموجّه إلى ما هو أبعد، بتلويحه ببدء الضغط على "حماس" لتتولّى هي وقف الاستنزاف الذي تمارسه "الجهاد" لـ"الطرفين". في المقابل، تبدي الجبهة الداخلية الفلسطينية تماسكاً ووحدة، استطاعت من خلالهما تجاوز الخلاف الذي صنعته "وحدة الساحات" في آب 2022، فيما بدا واضحاً أن "الجهاد" لم تحاول الاستئثار بالمشهد، وإنّما ظلّت تستخدم مسمّى "الغرفة المشتركة" أو "سرايا القدس وفصائل المقاومة"، في إحاطاتها الإعلامية. أيضاً، سعى الاحتلال، كما فعل إبّان "وحدة الساحات"، إلى صناعة مزاج من النقمة على صواريخ المقاومة، وفق ما تؤكّده مصادر أمنية لـ"الأخبار"، موضحةً أن العدو تعمّد إطلاق قذائف صاروخية تجاه الأحياء المدنية، بالتزامن مع رشقات المقاومة، لكن شاء القدر أن تسقط إحدى هذه القذائف وسط تجمّع للمواطنين من دون أن تنفجر.

وفي مقابل كلّ ذلك الضغط، وفي محاولة لتعزيز حالة الردع الشعبي لخيار المقاومة، دعا نشطاء في مواقع التواصل، المواطنين، إلى الصعود إلى أسطح المنازل، في تمام "تاسعة البهاء"، ليصدحوا بالهتاف والتكبير، بيعةً ومساندة للمقاومين. وقبل أن يحلّ المساء، كانت المقاومة قد نفّذت ضربة صاروخية كبيرة تجاه مدن العمق، جاءت صورها لتشفي الغليل وتثلج الصدور. على أن التفاعل الكبير، حملته الساعة التاسعة مساءً؛ إذ قبل هذا الموعد بساعة كاملة، كان الآلاف من المواطنين، على طول مساحة القطاع، قد صعدوا إلى أسطح المنازل، ونصبوا مكبّرات الصوت التي صدحت بأناشيد المقاومة، وأخرى بثّت خطابات قديمة لقادتها، وعلى رأسهم، خالد الحدوح، ومحمد الضيف، وخليل البهتيني. وحينما دقّت التاسعة، بدأت صيحات التكبير، توازياً مع انطلاق رشقات صاروخية كبيرة من محافظات قطاع غزة الشمالية والجنوبية. أمّا في مخيم الشاطئ غربي مدينة غزة، فاحتشد العشرات من المواطنين في الشوارع ومفترقات الطرق، وقدّموا وصلات غناء وفلكلور على إيقاع الطبل والتهليل، أشادوا فيها بقصف المقاومة لمدن العمق.

إعلانات رسمية

إعلان
صادر عن محكمة زغرتا المدنية الناظرة بالقضايا العقارية غرفة الرئيس طانيوس الحايك رقم 351/2019
إلى كل من ورثة المُحامي جوزيف محسن فرنجية زوجته هاني قلبديان وأولاده ميرا وتراز وريتا فرنجية والمُهندس طوني محسن فرنجية من زغرتا العبي أصلاً ومجهولي محل الإقامة حالياً.
تدعوكم هذه المحكمة لاستلام الإستحضار ومُرفقاته بالدعوى المُقامة عليكم من غصن إبراهيم غصن بموضوع تسجيل المبيع بالعقار /2974/ زغرتا على اسم المدعي حالياً من كل قيد أو إشارة بمُهلة 15 يوم مُهلة الاستحضار وعشرون يوماً مُهلة اللصق والنشر ليُصار بعدها إلى متابعة إجراءات الدعوى وفقاً للأصول.
الكاتب طنوس بو عيسى

استراحة

كلمات متقاطعة 4307

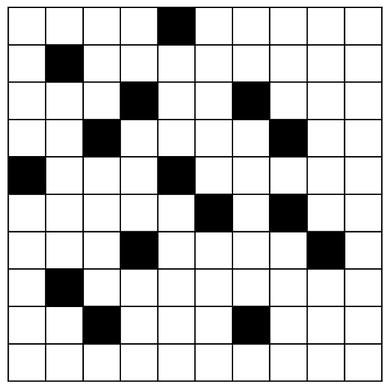

أفقيا

1- دولة في أميركا الجنوبية – أمبراطور بيزنطي – 2- دور المختار في الماضي – 3- رفس – فاس – وسم بالإبهام – 4- للنداء – خلاف يُغلق – للتاوه – 5- ألحان من السلم الموسيقي – لب – 6- حرف عطف – اللباس – 7- إسم حمله عدد من ملوك فرنسا – وقتي وعابر – 8- المتناسب بإنسجام وتوافق – 9- خاف – نباتات عشبية تؤكل – بواسطتي – 10- أديب ألماني راحل

عمودياً

1- شهر ميلادي – 2- مدينة أميركية في ولاية إلينوي – خاصتها – 3- لم ينفذ الوعد – جَمَع الأوراق المبعثرة – 4- نوتة موسيقية – من الأحداث الكريمة – 5- يدير وجهه نحو المكان – ينمو الزرع – 6- سكوت – رجال دين – 7- للإستفهام – أرض للزراعة – مبالغة – 8- مكان واسع – نقاب – 9- مادة منظفة – والد بالعامية – 10- عاصمة أفريقية – لاعب كرة قدم برازيلي راحل

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- جابر بن حيّان – 2- وسن – سويسرا – 3- رب – صك – إجاص – 4- جام – نجد – ني – 5- خنعات – يضيف – 6- بيكمان – 7-11- طبيبي – 8- جُزر – كريت – 9- كاوبوي – رو – 10- الكنعانيون

عمودياً

1- جورج خباز – 2- اسبانيا – كلّ – 3- بن – معك – جال – 4- امازون – 5- بسكنتا – ربْع – 6- نو – نطّ – وا – 7- حيادي – بكين – 8- يسجّ – ضرير – 9- ارانى – ببرو – 10- ناصيف زيتون

4307 sudoku

5					1			2
	4		9				6	
	2			5			1	
				8				
	5	4		9		1	7	
	9		3		7		4	
9					4		5	
2			1			7		4
	7	8	5	6	2			1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4306

6	4	9	3	7	8	2	1	5
3	8	7	1	2	5	4	9	6
5	2	1	6	9	4	7	8	3
9	7	5	8	4	3	6	2	1
4	3	2	7	6	1	9	5	8
8	1	6	2	5	9	3	7	4
7	6	8	5	3	2	1	4	9
2	5	4	9	1	6	8	3	7
1	9	3	4	8	7	5	6	2

مشاهير 4307

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

كاتب فرنسي (1840-1897) ارتبط بالمدرسة الطبيعية. من مؤلّفاته «رسائل من طاحونتي»

1+6+3+2 = خلاف أعلى ■ 4+9+8+7 = لطيف ومحبّ ■ 11+10+5 = سهل ويسير

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: شوقي الماجري

البلاد

ملف

75 عاماً على النكبة
فلسطين أمامنا

«أريد منك التوجه فوراً إلى حيفا والتأكد من أنه تتم معاملة العرب الذين بقوا في حيفا بصورة جيدة. أريد منك أيضاً أن تحاولي إقناع العرب المتواجدين على الشاطئ بالعودة إلى منازلهم. عليك إفهامهم أنه لا يوجد هناك ما يخشونه، وهكذا، ذهبت على الفور. جلست على الشاطئ هناك وتوسلت إليهم بالعودة إلى منازلهم... توسلت إليهم حتى استنفدت قواي، ولكن ذلك لم ينجح». هذا الكلام كتبته غولدا مائير في مذكراتها، وقالت إن بن غوريون، طلب منها فعل ذلك. لكن بن غوريون كتب رسالة في 2 حزيران 1948 وجهها إلى آبا حوشي، أمين عام مجلس عمال حيفا في ذلك الوقت، والذي شغل بعد ذلك منصب رئيس بلدية حيفا بين 1952 و1969، قال لها من ضمن ما قاله: «وصل إلى مسامعي أن السيد ماريوت [يشير بن غوريون هنا إلى سيريل ماريوت، القنصل العام البريطاني في حيفا في ذلك الوقت] يعمل على إعادة العرب إلى حيفا. لا أعرف ما يعنيه السيد ماريوت بهذا العمل – ولكننا غير معنيين بعودة العدو حتى نهاية الحرب، وعلى كل المؤسسات العمل وفقاً لهذه السياسة».

بن غوريون صادق في رسالته، فهذا ما مارسته عصاباته، في قتلها وتجزيرها وتهجيرها للشعب الفلسطيني من حيفا ومن بقية فلسطين. وهذا ما تفعله حتى اليوم، بممارسة القتل اليومي في أنحاء فلسطين، فبينما تكتب هذه المادة، ترمي إسرائيل الموت على قطاع غزة، كما رمته على لبنان في حرب تموز 2006، وفي «عناقيد الغضب» 1996، وفي «بحر البقر» في مصر 1970، وفي الجولان السوري المحتل، وفي وفي... وبن غوريون كاذب كبير، فقد قال بعد حرب حزيران 1967، من مستعمرة «سدي بوكر» في النقب، التي سكنها حتى موته: «لو كان يمكنني الاختيار بين السلام وبين جميع الأراضي التي سيطرنا عليها في العام الماضي، لكنت أخترت السلام»، لكن كان لديه استثناء، ان: «القدس ومرتفعات الجولان».

هذا السلام الذي تحدث عنه، كان يريده بن غوريون، ليمرر خديعة جديدة، يعلم أن العالم على استعداد لقبولها والسير في ركبها، بأن إسرائيل داعية للسلام.

تلك الخديعة مستمرة، من أول صهيوني، حتى نتنياهو ومن سيأتي بعده، وما بينهم وعلى رأسهم إسحاق رابين، الذي وقع اتفاق «السلام» المسمى «أوسلو». ولعل ما يجعلها أضحوكة، أن مشروع إسرائيل الإبادي، لم ينجح، والشعب الفلسطيني على قيد وجوده يواجه بكل شيء، لديه، وبعض مما لديه رصاص وصواريخ، وبعض مما لديه أطفال تولد فلسطينية، وشعوب حول العالم تؤمن بأن فلسطين فلسطين، وليست إسرائيل.

شهادات شفوية من كبار السنّ
الحكاية لا تشيخ

نعيم إبراهيم

إنها حكاية الموت والحياة بين جنبات الوطن الفلسطيني وفي الشتات السوري. الجراح لا تزال غائرة، لكن إرادة الفلسطينيين تزداد صلابة، وتمسكهم بالعودة بات أكثر قوة رغم مرور 75 عاماً على نكبتهم الأليمة. وفي المفتاح تكمن الحكاية.

تجوّلت «الأخبار» في عدد من المخيمات الفلسطينية في سوريا، والتقت شهوداً على النكبة، حين هجّر نحو 700 ألف فلسطيني من مدنهم وقراهم، هؤلاء تسكنهم قصص التهجير ولم تغادر، تعاودهم في كل يوم، فالمسافة البعيدة بين المخيم وفلسطين، قصيرة في قلوبهم.

لم ولن نبيع ارضنا وبلدنا

لم يفرّطوا بأرضهم، ولم يبيعوا وطنهم كما يجرّب أن يشيع بعض المغرضين، فبمراجعة التاريخ الدقيق، يتبيّن أن ذلك لم يحدث من فلسطينيين، ومن باعوا على قلّة مساحة الأراضي التي بيعت كانوا من بلدان عربية مجاورة، ومن عائلات معروفة حتى اليوم، وحتى من سوّلت له نفسه التفكير بمثل هذا الأمر حينها، كان يتعرّض للعقاب والإعدام أحياناً، هذا ما اكده الحاج موسى إبراهيم (أبو علي)، 90 عاماً، المهجّر من مدينة القدس، لجأ إلى سوريا، ويقطن في منطقة ركن الدين بدمشق. يقول لـ«الأخبار»: «أيّ واحد كان يبيع أرضو لليهود كانوا الأهالي يقتلوه امام بنك بارك للصرافة، وياخدوا منّو الفلوس، ويعطوها لمدرسة الأيتام في القدس». «كان الناس يبيعوا الطحين ويشتروا سلاح ويتصدّوا لليهود، ويلّي بقول إنو الفلسطينيين باعوا بلدهم، بقلّهم هذا مش صحيح، وأنا أبو علي من القدس، بحلم باليوم يلّي رح أرجع فيه ع فلسطين. العدو طردنا، وأخد بلدنا بالقوة، وما راح يرجع إلا بالقوة. وفلسطين وطنا وغالية علينا، وبتعنى إلنا الكرامة والحرية والمستقبل، وعشان هيك بوصي أولادي واحفادي وكل يلي بعدهم رح يرجعوا ويضمّوا التراب من جديد، والشاهد رب العباد». هذا ما قاله الحاج رمضان، 90 عاماً، المهجّر من قرية دير ياسين، بصعوبة، بسبب المرض. لجأ الحاج إلى مخيم اليرموك جنوب العاصمة السورية دمشق، لكنه وبعد ما حلّ في اليرموك، انتقل مع أسرته للعيش في منطقة الضمير بريف دمشق.

صورة اخرى: ولادة فموت، ولكن...

تروي الحاجة فاطمة حسين (أم العبد)، 87 عاماً، من مدينة عكا، وتسكن الآن في مخيم العائدين في مدينة حمص، معاناتها وعائلتها خلال النكبة؛ فقد خرجت برفقة زوجها إلى لبنان، وكانت خلالها حبلى في شهرها السابع، فانجبت طفلها ميتاً، نتيجة الظروف القاسية أثناء مسير اللجوء القسري وتقطّع السبل بأهلها وأقربائها الذين هُجّروا إلى الأردن وسوريا.

تقول الحاجة أم العبد لـ«الاخبار»: «أنا تزوجت بفلسطين، وحبلت بأول ولد، كانت لحظات الولادة صعبة كتير، وشفت الموت بعيني لما كنا في بلدة الصرفند بجنوب لبنان، وما كان بجنبي غير زوجي، وهو كان يشجعني ويحضني لما كنت أصرخ أثناء المخاض وبعد الولادة، وبعدين حفر قبر صغير ودفن فيو الطفل، وأنا عم إبكي بسبب فقدانه وهو أكيد رح يكون أحد طيور الجنة إن شاء الله».

ومثل باقي من التقيناهم، تؤكد أم العبد أنها لن تنسى ما جرى معها ومع زوجها، وهي تعزّ بأولادها وأحفادها التمسك بالعودة إلى عكا وفلسطين كلها، وتحذّثهم عن ذكريات الأرض وتريهم وتضع بين أيديهم مفتاح البيت القديم هناك في فلسطين، وأوراق الملكية التي لا تزال محفوظة لديها. تقول في الختام: «سنبقى نقول لأولادنا وأحفادنا إن عكا الجميلة هي بلدكم الأصلي، وستعودون إليها يوماً ما ولا تقنطوا من رحمة الله وهو مع شعبنا وراح ينصرنا على عدوّنا».

محكوم بحلم العودة

«أنا فلسطيني لاجئ، بس أنا محكوم بحلم العودة، وبالتمسك بأرضي وبيتي وبلدي، وإذا ما رجعت أنا، فالأكيد إنو أولادي وأحفادي والأجيال يلي بعدهم رح يرجعوا ويضمّوا التراب من جديد، والشاهد رب العباد». هذا ما قاله الحاج رمضان، 90 عاماً، المهجّر من قرية دير ياسين، بصعوبة، بسبب المرض. لجأ الحاج إلى مخيم اليرموك جنوب العاصمة السورية دمشق، لكنه وبعد ما حلّ في اليرموك، انتقل مع أسرته للعيش في منطقة الضمير بريف دمشق.

صورة اخرى: ولادة فموت، ولكن...

تروي الحاجة فاطمة حسين (أم العبد)، 87 عاماً، من مدينة عكا، وتسكن الآن في مخيم العائدين في مخيم خان دنون بريف دمشق، تتحدث «من القلب» عن مسيرة أهلها في فلسطين، وعن مرارة رحلة اللجوء منّ قريتها من خلال ما سمعته من والدها ووالدتها، وكانت هي في ذلك الوقت طفلة بعمر خمس سنوات: «حمل أبوي وأمي وكل أهل القرية أغراض خفيفة وطلّعوا من بيوتهم، وتركوا كل أشي بعد ما طلب منهم جيش الإنقاذ، يلّي قال إلهم راح ترجعوا بعد 24 ساعة، لكن تبيّن إلهم بعدين إنهم تعرّضوا للكذب والخداع، وهاي إحنا اليوم بقالنا 75 سنة مشردين، وما رجعنا ويا ريت متنا وما خرجنا من بلادنا».

تتابع الحاجة أم يحيى سرد الحكاية ومن حسن الحظ ذاكرتها تسعفها على ذلك: «يا عيني على البرتقال اليافاوي الطيب يلّي كان خالي يجيبو من يافا، وناكل وتعصر إمي منّو إلنا ونشرب وإحنا مبسوطين كتير في بيتنا يلّي عمرو والدي من اللبن، وكان الجميع يرزعوا ويربّوا الجواميس أكثر شي، وفي كل الأوقات يساعدوا بعض بكل إشي، ويجتمعوا في بيت مختار القرية علي مصطفى حلاوة، ويحكوا عن أوضاعهم ومشاكلهم يلّي بحلّوها وهُما متفاهمين على كل إشي، ويا ريت نرجع نجتمع هناك من جديد، لأني وحياة مين خلق الكون بحنّ لبيت أهلي وللبيارة ولكل إشي هناك، وربنا ينصر شبابنا وأهلنا الصامدين، ويلّي عم بقاوموا ويضحّوا، وإن شاء الله راح ينتصروا ويرجعوا كل اللاجئين مهما طالت السنين، وترجع الأيام الحلوة لقريتنا الصالحية وكل بلادنا».

أم خالد
«شوف صور يافا عالإنترنت يا تيتة، أخدوا أحلى البلاد»

واصل حميدة

خوف كبير وضياع، وأصوات أحاديث كثيرة، خطط وتحليلات، وأطفال باكية، عائلات ترحل على عجالة، هكذا كانت الحال في 28 نيسان عام 1948، اليوم الذي خرجت فيه الطفلة رحمة بامية، ذات الـ 10 أعوام، من مدينتها يافا. نزحت، تحت القصف، هي وأفراد عائلتها، عن المدينة، بالتزامن مع بدء دخول العصابات الصهيونية. ما خطر على بالها يومها أبداً، أنها ستودع الحياة الجميلة كما عهدتها للأبد، حتى الغابها تركتها بسلام بلا وداع، فهي عائدة لتلك الدار بعد يومين أو ثلاثة أيام كما أخبرها الجميع. اليوم، وبعد 75 عاماً، رحمة، التي أصبحت جدة، في الـ85 من العمر، تعيش في دمشق، ولا تزال تتذكر مدينتها يافا بعين وقلب الطفلة: «أنا من مدينة بيقولولها عروس البحر الأبيض المتوسط، مدينة قمة بالجمال، شوف صورها عالإنترنت يا تيتة، أخدوا أحلى البلاد».

سفر الخروج

كانت يافا من أشرس المدن التي قاتلت في وجه العصابات الصهيونية، رغم قلة الإمكانيات مقارنة بالعصابات الصهيونية التي زودها الانتداب البريطاني بالعربات المدرعة والطائرات والأسلحة الرشاشة، بوجه بنادق قديمة اشتراها المتطوعون الفلسطينيون من أموالهم لحماية مدينتهم. يذكر التاريخ أن امرأة فلسطينية، تدعى مهيبة خورشيد، قادت المتطوعين والمتطوعات، خلال معارك التصدي للزحف الصهيوني باتجاه يافا، وخلال الأسبوع الأخير من نيسان 1948 اشتد القصف على المدينة وتمكنت العصابات الصهيونية من دخولها بعد استشهاد عدد كبير من المدافعين عنها، ومقتل العشرات من نساء وأطفال جراء القصف العنيف، وطرد الأهالي بحراً إلى لبنان، وبراً باتجاه شرق وجنوب فلسطين.

تصف أم خالد حالة الضياع والفوضى يوم الخروج بلهجتها اليافاوية: «الله ياخد اللي طلعونا وينتقم منن. يومينا طلعنا بسيارة التاكسي وبالزور وسعتنا وأبوي شلح القشاط وربط الباب لأنو ما قدرنا نسكرو وطلعنا من يافا». تفرقت العائلة التي عاشت على مدى عشرات السنين في بيت واحد؛ زوجة والدها لجأت مع عائلتها وأولادها إلى البحر، أمّا رحمة وإخوتها ووالدهم فاستقلوا السيارة المتوجهة إلى مدينة غزة. لم تشأ العائلة الفلسطينية أن تغادر وطنها فتمسكت بأمل العودة إلى يافا، بخاصة مع وصول أنباء عن قدوم الجيوش العربية (جيش الإنقاذ). ظنّت العائلة أنها مسألة أيام، لم يخطر في بال رحمة، الطفلة آنذاك، أن الأمر سيطول لتبلغ من العمر عتياً: «لجأنا في بداية الأمر إلى مدينة غزة، واستأجر والدي منزلاً على الشاطئ. مكثنا فيه شهرين على أمل العودة إلى منزلنا في يافا، ويوماً بعد يوم كان الأمل يتضاءل، بخاصة أننا لم نكن نسلم من القصف، كان الطيران الصهيوني يغير بشكل شبه يومي على غزة. كنّا نهرب من المنزل ونختبئ أنا وإخوتي بين قوارب الصيد على الشاطئ ونبقى هناك إلى حين انتهاء الغارة».

بعد 75 عاماً، رحمة، التي اصبحت جدة، في الـ85 من العمر، تعيش في دمشق، ولا تزال تتذكر مدينتها يافا بعين وقلب الطفلة

رحلة التيه اربعين يوماً

بعد شهرين وأكثر قضتها عائلة بامية في قطاع غزة، وبعد تفرق أفراد العائلة، فمنهم من ذهب عبر البحر إلى لبنان ومن ثم دمشق، كان لا بد أن يلتم شملها مجدداً. وضبت العائلة أغراضها على عجل، وقطعت الطريق إلى رفح جنوب غزة، ومنها إلى العريش، ومن ثم إلى منطقة القنطرة على الحدود مع مصر. هناك، منع حرس الحدود المصري، بأوامر من الملك فاروق، دخول الفلسطينيين، فاضطرت العائلة، برفقة عدد من العائلات القادمة من المدن الفلسطينية الكبرى التي احتلتها العصابات الصهيونية، إلى افتراش الصحراء تحت الشمس الحارقة، بجانب الطريق المؤدية إلى الأراضي المصرية. تقول أم خالد: «كان عابرو الطريق يجلبون لنا ما تيسر لهم من الخبز والطحين والماء، نسد فيه رمقنا، حيث نصبنا خياماً من ملابسنا تلجأ إليها هرباً من الشمس الحادة وغبار الصحراء، وكان الشباب يقضون نهارهم باحثين عن بقايا الأشجار والأغصان تحت الرمال، لنشعلها ليلاً لنحصل على بعض الدفء، وكي تبعد النار عنّا خطر وحوش الصحراء، وعلى هذه الحالة قضينا أربعين يوماً».

بعد تلك الأيام العصيبة في الصحراء، عادت العائلة إلى غزة ولجأت إلى أحد البيوت، أمّا الوالد عبد القادر بامية (أبو زياد) فاضطر إلى الذهاب للبحث عن زوجته وبقية أولاده الذين خرجوا عبر البحر من يافا متجهين إلى لبنان، وبعد رحلة بحث طويلة تجاوزت الشهر، وصلت رسالة من أبو زياد إلى أولاده في غزة يخبرهم بأنه وجد زوجته وأطفالها في دمشق، وطلب منهم المجيء إلى هناك: «عملنا على الحصول على جوازات سفر أنا وإخوتي من حكومة عموم فلسطين بمساعدة بعض أقاربنا الذين كانوا موجودين في غزة، ثم استقلينا إحدى الطائرات التي كانت تنقل الفلسطينيين الذين هجروا عن مدنهم إلى لبنان، ومن هناك التقينا بأحد أصدقاء والدي الذي أوصلنا من بيروت إلى دمشق، فالتم شمل العائلة من جديد، بعد أشهر طويلة، لكن هذه المرة مع صفة جديدة سترافقنا على مدى أعوام طويلة وهي صفة اللاجئ، وما يترتب عليها من فصول المعاناة».

«جواز السفر لسا بالخزانة»

تعيش رحمة (أم خالد) اليوم بأحد أحياء دمشق القديمة (حارة اليهود، او حي الأمين) وهو الحي ذاته الذي سكنته مع عائلتها قبل زواجها: «اجيت من يافا على حي الأمين، وما بطلع منو إلا على يافا، وهياتو جواز السفر لسا محتفظة فيه بالخزانة»، في إشارة إلى وثيقة الجواز الصادرة عن حكومة عموم فلسطين، والتي غادرت بها مدينة غزة قبل 75 عاماً، شأنها شأن ملايين الفلسطينيين المنتشرين في الشتات حول العالم، ومنذ ذلك الحين وهي تنتظر استخدام جوازها مرة أخرى خلال رحلة العودة إلى بيتها في يافا القديمة.

إلى الأبد وإلى الأبد

العالم أحد، هذه كذبة جديدة أطلقها من هنا، كل ما هو خارج فلسطين ليس موجوداً، ووهم. العالم يدور حول فلسطين، من أحب أن يكون فلياتي ليتأكد، أن فلسطين هي الموجودة والباقي خيالات.

من المسلي ترويج كذبتي الصغيرة، فقد تبنى لنا حلماً، وقد تبنى لنا وطناً، كما بنى لليهود في فلسطين وطن من كذب، من خرافة الدين.

ومن المسلي أكثر، أن أجرّب وصف حكايتنا الفلسطينية بواقعها الحالي. فإسرائيل التي أقاموها فوق فلسطين، ظلت تحتها وفوقها فلسطين، ففلسطين تحاصرها، ومن حولها فلسطين الشتات، وفلسطين هذه، بفعل إسرائيل، حولت الفلسطينيين إلى «يهود جدد» مشتتين في كل العالم، ويسكن أغلبهم في مخيمات، تشبه في بعض البلدان العربية «الغيتوات»، وأولادها ينتشرون في كل العالم، يحملون جنسيات مختلفة، ومع ذلك أصولهم من فلسطين، وهنا يفرقون عن الإسرائيليين الذين تعود أصولهم إلى العديد من الدول التي حصل الفلسطينيون على جنسياتها. وهؤلاء يتطورون في كل شيء، علمياً ومعرفياً وثقافياً ومالياً، ويتحضرون جميعاً للعودة إلى ديارهم.

التسلية التي ذكرتها، ليست تسلية، إنها نكد، ومن نكد الدهر علينا، أن نفسر الكذب بكذب، على بعض صدقه، لكن من حسن حظ تسليتي أن فيها من الحقيقة حقيقة، وإن كان منا من يرى بأن إسرائيل ستزول من داخلها، فهذا لأن فينا من يهزم إسرائيل من الداخل، ليس بالسلاح فقط، بل بالوجود الحتمي لفلسطينيين إلى الأبد وإلى الأبد.

كان يمكن لهذه الكتابة أن لا تبتسم، هذا صحيح، وبعض الأجداد، عاهدوا أنفسهم أن لا يضحكوا حتى تتحرر فلسطين، فبكت قبورهم، لكن نحن أحفادهم، أمامنا فرصة لنبتسم، ففلسطين أمامنا، لا خلفنا.

مطر عدوان

كان يمكن لهذه الكتابة الآن أن تبتسم قليلاً وأنت تقرأها عزيزي القارئ، لكن لكارثية الأوضاع، لا أعدك بشيء، سوى مزيد من التعب. حين أقعد لأكتب عادة، أشعر أن الأفكار تنساب، بعد بحث قليل عن الفكرة التي أكتب عنها، لكن هذه المرة الفكرة واضحة، النكبة، وأنا أحد نتائجها، فلا أجد فكرة تنساب، ولا حتى كلمات تسعفني على الخلاص من هذا الهم الذي ولدت معه. الكتابة والحذف، مهمة سهلة، حين أقرر الاستغناء عن نص كتبته أو مضيت في كتابته، لكن حذف إسرائيل بكبسة «ديليت» غير ممكنة، ومن كتبوها لم يفعلوا ذلك بعد، فلماذا عليهم القيام بذلك، طالما إسرائيل تقدم خدماتها لهم. فمثلاً، يقول تيودور هرتزل إن الدولة اليهودية «ستكون جزءاً من جدار دفاعي عن أوروبا في آسيا، قلعة أمامية من الحضارة ضد البربرية».

ما يجعل الكتابة صعبة، أو مملة، أن هناك في العالم من صدق الدعايات الصهيونية، عن عدم وجود شعب في فلسطين، والأنكى من ذلك، أن أتنقل كفلسطيني في مكان ما من موقع الدفاع عن فلسطين، للدفاع عن وجودي كإنسان، إن لم يكن هناك أحد، فمن أكون، ومن تكون جدتي وجدي، ومن يكون كل هؤلاء الذين هجروا من قراهم ومدنهم،

ليس في العالم أحد، هذه كذبة جديدة أطلقها من هنا، كل ما هو خارج فلسطين ليس موجوداً، ووهم

ومن هؤلاء الذين تبقوا في فلسطين، ومن هؤلاء الـ 14 مليون فلسطيني في فلسطين والعالم، من نحن أيها العالم. هذا الأمر الذي اشتغل عليه العالم «المتحضر» يدعو لرثاء كل شيء، يدعو إلى الإنصات لنشيد موت العالم بهدوء عند حدود فلسطين مع العالم أجمع. ليس في

البلاد

ملف

في هذه الصفحة الماخوذ محتواها من كتب صدرت بعد النكبة مباشرة، او بعد أعوام، «شهادات» ليس على ما حصل، بل شهادات على ما يستمر بالحصول، ولاهميتها، ولاهمية الكتب، آثرنا ان ننشر هذه المقتطفات المختارة، لعلنا ننتبه، ولئلا نبقى نتذكر النكبة ونحن في مكاننا تقريباً

الأمس الحاضر: مختارات من دراسة النكبة

قسطنطين زريق: «معنى النكبة»

ليست هزيمة العرب في فلسطين بالنكسة البسيطة، أو بالشر الهيّن العابر، وإنما هي نكبة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، ومحنة من أشد ما ابتلي به العرب في تاريخهم الطويل، على ما فيه من محن ومآس. سبع دول عربية تعلن الحرب على الصهيونية في فلسطين، فتقف أمامها عاجزة ثم تنكص على أعقابها. خطب نارية يلقيها ممثلو العرب في أعلى الهيئات الدولية منذرة بما ستفعله الدول والشعوب العربية إن صدر هذا القرار أو ذاك. وتصريحات تقذف كالقنابل من أفواه الرجال الرسميين لدى اجتماعات الجامعة العربية. ثم يجد الجد فإذا النار خافتة باهتة، وإذا الصلب والحديد صدئ ملتو سريع العطب والتفتت، وإذا القنابل جوفاء فارغة لا تحدث أذى ولا تصيب مقتلاً.

سبع دول تتصدى لأبطال التقسيم، وقمع الصهيونية، فإذا بها تخرج من هذه المعركة وقد خسرت قسماً لا يستهان به من أرض فلسطين، بل من الجزء «المعطى» للعرب في التقسيم، وإذا بها تُقهر قهراً على قبول هدنة لا مصلحة لها فيها ولا غناء.

قضية لم يعرف التاريخ أعدل منها وأقرب إلى الحق: بلد يُغتصب من أهله ليُجعل وطناً لشراذم من الخلق ينزلونه من شتى أقطار العالم ويقيمون فيه دولة رغم أنوف أصحابه والملايين من إخوانهم في الأقطار المجاورة. ومع ما في يد العرب من حق صراح، وما في بلادهم من إمكانيات، وما للدول فيها من مصالح يساوم عليها - مع هذا كله، يقفون فرادى في الميدان الدولي، تعاديهم الدول العظمى ويناوئهم الرأي العام العالمي، وليس لهم حليف قوي قد أعدوه ليسندهم في مثل هذا الظرف وينصرهم في صراعهم.

أربعمئة ألف عربي أو أكثر يشردون من بيوتهم، وتنتزع منهم أموالهم وأملاكهم، ويهيمون على وجوههم في ما تبقى من فلسطين وفي البلدان العربية الأخرى، لا يدرون ما يخبئه لهم القدر أو أي مورد من موارد العيش يرتادون، ويتساءلون عما إذا كان سيحكم عليهم بالعودة إلى بلادهم ليعيشوا تحت ظل الصهيونيين، ويتحملوا ما يفرضونه عليهم من أذى وإهانة، وإذابة وإفناء.

بل شر من هذا! فقد تحول التشتت والتشرد من اليهود إلى العرب. فبعد أن كان العرب لا يعترفون للمشردين اليهود بحق، وبعد أن كانت الهيئات اليهودية تسعى لدى المنظمات الدولية لحل معضلتهم بإقامة الوطن الصهيوني في فلسطين، إذا بالدول العربية الآن تستعطف هذه المنظمات لإعادة مشردي العرب إلى بلادهم الواقعة تحت الحكم الصهيوني، وتجعل ذلك شرطاً لتحويل «وقف القتال» إلى «هدنة». وعلى الإجمال: لم يكن الوطن الصهيوني في فلسطين أقرب يوماً إلى التحقيق منه في هذه الأيام. وبالعكس لم يُصب الكيان العربي بعدُ ما أصيب في هذه المعركة من تصدع وانهيار. وفوق الانهيار المادي انهيار معنوي يتمثل في شك العرب بحكوماتهم، واتهاماتهم لقادتهم وزعمائهم، بل شك الكثيرين منهم في أنفسهم وفي قابلياتهم كأمة، وتسرب اليأس إلى صدورهم، وتهربهم من مجابهة الخطر، وتضاؤلهم أمام عظم المصيبة. ولعمري! إن هذا الانتكاس المعنوي الروحي لأهمّ من الخسارة المادية مهما عظمت، لأن الشعب إذا تفتت عزمه وخسر ثقته بنفسه، فقد أضاع خير ما يملك وعجز عن أن ينهض بعد كبوة، أو أن ينفض عن نفسه غبار الذل والخذلان.

هي ذي بعض وجوه النكبة التي لحقت بالعرب في هذه المعركة من حرب فلسطين. وكفى بها وبأمثالها ما يدور على الألسن ويختلج في القلوب وما يشاهده ويسمع به كل منا في هذه الأيام العصيبة، دليلاً على خطورة المحنة، وشدة المأساة.

■■■

[مؤرخ سوري، ولد في دمشق (1909-2000). وهو الذي اجترح مصطلح «النكبة». نال درجة الدكتوراه في الفلسفة من الولايات المتحدة عام 1930، وتولى رئاسة جامعة دمشق. ورئاسة الجامعة الأميركية بالوكالة، ورئاسة مجلس أمناء مؤسسة الدراسات الفلسطينية - النص المختار من كتابه «معنى النكبة» الصادر في آب من عام 1948]

موسى العلمي: «عبرة فلسطين»

مرت معركة فلسطين في دورين: ففي الدور الأول كان عبء الدفاع ملقى على عاتق الفلسطينيين. وفي الدور الثاني تناولته الجيوش العربية.

لكن العرب لم يحسنوا الدفاع عن فلسطين في كلا الدورين.

في الدور الأول، كانت مواطن الضعف الأساسية في الدفاع العربي، أنّا كنا على غير أهبة، وإنْ لم نؤخذ على غرة. وكان اليهود على أهبة كاملة. وأنّا سرنا في المعركة على مقياس الثورات السابقة. وسار اليهود فيها على مقياس الحرب الشاملة. وأنّا أدرناها على طريقة موضعية، من دون وحدة، ومن دون شمول، ومن دون قيادة عامة. فكان دفاعنا مفككاً، وأمرنا فوضى. كل بلد يحارب وحده. ولم يدخل المعركة إلا أبناء المناطق المجاورة لليهود. وأدارها اليهود بنظام موحد، وقيادة موحدة، وتجنيد عام. وأنّ سلاحنا كان رديئاً وناقصاً. وكان سلاح اليهود حسناً قوياً. وأن إهدافنا في المعركة كانت مضطربة متباينة. وكان هدف اليهود كسب المعركة.

هذه الثغرات نفسها كانت مواطن الضعف في دفاعنا، في الدور الثاني، دور الجيوش العربية: التفكك، وفقدان القيادة الموحدة، والارتجال، وتباين الأهداف. وزاد عليها التخاذل، وعدم الجد في الحرب.

وكما أنّنا لم نحسن العمل في الميدان العسكري، كذلك لم نحسنه في الميدان السياسي. كانت أعمالنا مرتجلة. وكانت تصرفاتنا سلسلة من الأخطاء الكبيرة. ولم يكن لنا هدف واضح، ولا خطة معينة.

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا وذاك، أن حلت بنا الكارثة، وأضعنا فلسطين.

وإنما كانت هذه الثغرات انعكاساً لحالة الأمة العربية والنظم القائمة فيها. فهي في نظامها السياسي مفككة. يقوم نظامها على التجزئة. وقد انعكس ذلك على صفوفها في المعركة، فكان هذا التفكك والتخاذل. ثم إن زعاماتها في أبدي حكومات عاجزة، تنقصها الكفاية، والأمة نفسها لا تزال ضعيفة الوعي والنمو. إن ضياع فلسطين كارثة شديدة بعيدة الأثر في كيان الأمة العربية. لكن الخطب لا يقتصر على ضياعها. لقد انفتحت بضياعها أخطار جديدة أشد هولاً وأبعد أثراً. وبات الكيان العربي كله مهدداً. فإن أسرع العرب لتلافي الخطر قبل استفحاله، فلذلك مجال. والوقت لم يفت. وإلا، فإن هذه المقدمات تؤدي إلى نتائجها الطبيعية.

ونحن إنما ذُهِنا وأُتينا، أولاً، من قبل التجزئة التي أورثتنا التفكك والتخاذل. فعلاجنا الأول في الوحدة. لنعود عصبة قوية متماسكة، وصفاً واحداً كالبنيان المرصوص.

■■■

[محام فلسطيني، ولد في القدس (1897-1984). مثّل فلسطين في المؤتمر التحضيري لإنشاء جامعة الدول العربية، وهو صاحب الحكمة القائلة «إننا لن ننتصر على إسرائيل النصر النهائي حتى ننتصر على أنفسنا» - النص المختار من فقرة «إجمال» المقدمة لكتاب «عبرة فلسطين» الصادر عام 1949]

وليد الخالدي: «قبل الشتات»

غالباً ما ينغمس أطراف النزاع في تاريخ نزاعهم، ويستحوذ تاريخ الظلم وخلفيته على المظلوم أكثر مما يفعل على الظالم.

وتتأثر شدة هذا الاستحواذ وطوله على المظلوم بعدة عوامل: فهناك طبيعة الحيف الذي حل في المقام الأول؛ ثم موقف الأطراف الأخرى من هذا الحيف؛ وأخيراً لا آخراً، مسلك الطرف المستبدّ الظالم بعد ما اقترفت يداه ما اقترفت.

وفي حالة الفلسطينيين، وهم الطرف المظلوم في صراعهم مع الصهيونية، فإننا نجد أن هذه العوامل قد تضافرت معاً لتطيل وتشدد من وطأة استحواذ التاريخ عليهم. ففي غضون سبعين سنة تقريباً، بين مطلع الثمانينيات من القرن الماضي وعام 1948، كان الفلسطينيون هم الطرف المتلقي للضربات المتعاقبة على يد الصهيونية وحماتها. أما الصهيونية، وهي حركة سياسية استيطانية يهودية أوروبية المنشأ، فقد جابهتهم بأشد التهديدات فتكاً، ألا وهو إنكار حقهم الأصيل الثابت في ديار آبائهم وأجدادهم: فلسطين. ولم يبق هذا التهديد في حدود الافتراض؛ إذ إن عام 1948، وهي سنة الكارثة كما يدعوها العرب، شهدت ذروة الاستعمار الصهيوني المحتومة، التي أخذت عناصرها تتجمع منذ ثمانينيات القرن الماضي، والتي اتخذت شكل الظاهرة المزدوجة، من حيث أنها أدت إلى إنشاء دولة إسرائيل بقوة السلاح في الجزء الأكبر من أراضي فلسطين، وإلى اقتلاع الأهالي الفلسطينيين من نحو عشرين مدينة وأربعمئة قرية، غدت بأملاكها ومزارعها جزءاً من الدولة اليهودية الجديدة. وخلال عام 1948 ذاتها، لقي عشرة آلاف فلسطيني، على الأقل، مصرعهم، في حين أصيب ثلاثة أضعاف ذلك الرقم بجروح، وبات نحو 60% من السكان الفلسطينيين آنذاك (أي 700,000 شخص تقريباً) مشردين بلا مأوى.

ولقد أبدى الرأي العام العالمي تعاطفاً مع الفلسطينيين. وانحازت دول العالم الثالث (ومنها الهند) بغريزتها إلى قضيتهم، وهي التي كانت قبل وقت قريب ضحية الاستعمار الأوروبي. كما أن الدول الشيوعية (ومنها الاتحاد السوفياتي والصين)، على الرغم من اعترافها بوجود إسرائيل، قد أعربت عن تأييدها للفلسطينيين، لأنها نظرت إلى نضالهم في سياق المعارضة للاستعمار الغربي من جهة، وبسبب اعتبارات استراتيجية من جهة أخرى. كذلك أظهرت قطاعات مهمة من الرأي العام في أوروبا الغربية تفهماً لمحنة الفلسطينيين، وهو ما يعكس مؤثرات قرون عدة من ارتباط أوروبا بالشرق الأوسط وحساسيتها له. وعلى الرغم من رضا الفلسطينيين عن تعاطف الرأي العام العالمي معهم، فإن هذا التعاطف بات عديم الأثر تحت وطأة الدعم الهائل الذي حظيت به الصهيونية من جانب الولايات المتحدة، قبل عام 1948 وبعدها. فالولايات المتحدة تتحمل العبء الأكبر من المسؤولية عن أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة - عن تحريك الأحداث في اتجاه تجاه عواقبها الرهيبة عام 1948. كما تصاعد الدعم الأميركي لإسرائيل باطراد منذ ذاك، على الرغم من أن إسرائيل قد واصلت حينها إنكارها على الفلسطينيين حقوقهم القومية والإنسانية. ولقد كان الدعم الأميركي هو الذي مكن إسرائيل - قبل كل شيء آخر - من الإمعان في هذا الإنكار. ولعل ما يلهب مشاعر الفلسطينيين بوجه خاص أن موافقة الولايات المتحدة على اقتلاعهم من بلادهم قد تمت تحت شعار تأييد القيم الديموقراطية التي يتغنى بها المجتمع السياسي الأميركي. ومن دواعي السخرية في كل ذلك، أن هناك من الدلائل ما يفيد بأن غالبية الشعب الأميركي تؤيد فكرة التوصل إلى حل متوازن للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، يضمن وجود إسرائيل من ناحية، كما يضمن من ناحية أخرى حقوق الفلسطينيين القومية، وعلى رأسها حقهم في تقرير المصير.

[مؤرخ فلسطيني، ولد في القدس (1925)، كتب بغزارة عن اللجوء الفلسطيني وحرب 1948. وأحد مؤسسي مؤسسة الدراسات الفلسطينية، تخرج من جامعة أكسفورد عام 1951. وعمل محاضراً في الدراسات السياسية في الجامعة الأميركية في بيروت حتى عام 1982، وعدة جامعات أخرى - النص المختار من تمهيد كتاب «قبل الشتات» الصادر عام 1987]

(أ ف ب)

لحظة فلسطينية

زاهر ابو حمدة

قال الزعيم الصيني ماو تسي تونغ للقائد خليل الوزير، وهو يصف له تعقيدات المشهد الفلسطيني عشية انطلاق الثورة الفلسطينية، وقد التقاه الوزير للاستئناس برأي الثائر المخضرم: «تتداخل في قضيتكم العوامل المحلية والدولية كتداخل أسنان القرش، ما إن تنطلقوا بالثورة حتى تجدوا أنفسكم وسط غابة أعداء، بما في ذلك من أبناء جلدتكم، انتم في بؤرة تقاطع حساسة جداً لمصالح دولية وإقليمية كبرى».

من كتاب «رحلة لم تكتمل... محطات على طريق المقاومة» للمناضل محمد يوسف (أبو علاء منصور) من إصدار «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» (2018).

■■■

وقف الجنرال إدموند النبي، متفاخراً فرحاً، معلناً بيانه الأول: القدس سقطت. كان ذلك في كانون الأول عام 1917. فرض الاحتلال البريطاني الأحكام العرفية، وأصبحت المدينة المقدسة تحت السلطة الغربية بعدما كانت لمدة 400 عام (1517-1917) تحت سلطة الباب العالي في الأستانة. حينها يمكن القول إن اتفاق «سايكس بيكو» يمكن تنفيذه وكذلك «وعد بلفور». أمّا الأهم، فيمكن اعتبار هذا التاريخ هو بدء الاستعمار الغربي للمنطقة وبدء ضياع فلسطين.

اللافت في تلك المرحلة، ما كتبه رئيس الوزراء البريطاني دافيد لويد جورج في مذكراته «War Memoirs of David Lloyd George:1914-1915» الصادرة عام 1933، أنه فرح كثيراً بسقوط القدس واعتبرها هدية عيد الميلاد «وأنه استطاع تحرير أقدس مدينة في العالم، وبتحريرها تمكن العالم المسيحي من استرداد أماكنه المقدسة». وبعيداً من المنحى الديني لما حصل واستحضار الحروب الصليبية، إلا أن هزيمة العثمانيين في معركة قرية شلتا، مكّنت البريطانيين من السيطرة العسكرية على القدس. وحول أسباب الهزيمة أو تسليم القدس من دون قتال يُذكر، فكان الجوع في صفوف الجيش العثماني وعدم وجود خطة دفاعية في جنوب فلسطين. ولعل ما قاله المتصرف التركي عزت بك، حين اجتمع بمفتي القدس كامل أفندي الحسيني ورئيس البلدية حسين سليم أفندي الحسيني، إن «المدينة ستسقط لا محالة» وأبلغ الحاضرين بضرورة الاستسلام حفاظاً على الأماكن المقدسة، ومنع تدميرها، ولا سيما المسجد الأقصى. المؤسف بما حصل أن عرباً قاتلوا حينها مع الإنكليز ضد الدولة العثمانية، فالجنرال النبي استعان بالقبائل العربية الرافضة للحكم العثماني بقيادة الشريف حسين ونجله الأمير فيصل. وبعيداً من دوافع الشريف حسين وأنصاره وقيادة الضابط البريطاني توماس إدوارد لورنس (لورنس العرب)، ما كانت القدس لتكون بيد البريطانيين أي بيد العصابات الصهيونية لاحقاً. فلولا تعاون «الثوار العرب» ما استطاع البريطانيون السيطرة على ميناء العقبة، ومن ثم تمكن أسطولهم من أن يرسو فيه ليكون منطلقاً لاحتلال فلسطين وسوريا.

■■■

يكتنز التاريخ الفلسطيني لحظات كانت فيها الخيارات صفرية أو كثيرة. تبدأ من الحرب العالمية الثانية، ومع أي صف يجب أن تكون، وعلى حصان من تراهن لتضمن أهدافنا. فانقسم الفلسطينيون: «الحسينيون» مع دول المحور، و«النشاشيبيون» مع قوات الحلفاء. وفي مراحل متعددة كان يجب اتخاذ موقف مع طرف لأسباب يطول شرحها من الناحية الأخلاقية المبدئية أو المصلحية. ولأن الشعب الفلسطيني متنوع الأيديولوجيات، تعددت التوجهات بالنسبة لقطب الاتحاد السوفياتي (حلف وارسو) أو القطب الغربي (حلف شمال الأطلسي)، حتى داخل التوجه الاشتراكي انقسمت التيارات بين بكين وموسكو. أما على الصعيد الإقليمي، تعددت الآراء في الصراع مع الأنظمة، وفي الحرب الإيرانية-العراقية وكذلك حرب العراق على الكويت، كانت المواقف الفلسطينية غير ضامنة للمصالح الفلسطينية وفقاً لنتائج الحروب. ولذلك التأثير الدولي والإقليمي في القضية الفلسطينية كان أكبر من تأثير الفلسطينيين في سياقات الأحداث. وفي غالبية الأحيان دفعوا الثمن في السياسة والتحالفات والدم أيضاً. ولعل ما أشار إليه المؤرخ الفلسطيني

> **إذا كانت إسرائيل في المعسكر الغربي، فحتماً على الفلسطيني ان يكون في المعسكر المضاد**

الأميركي رشيد الخالدي، في كتابه «حرب المئة عام على فلسطين؛ قصة الاستعمار الاستيطاني والمقاومة 1917 - 2017» (الدار العربية للعلوم ناشرون 2021) أن 6 أحداث أو حروب، بحسب قول الخالدي، تمثّل تحوّلاً في الصراع على فلسطين. وبنظره تبدأ الأحداث الستة بإعلان الحرب الأول (1917-1939) أي وعد بلفور وما تلاه، وإعلان الحرب الثاني (1947-1948) أي قرار التقسم والنكبة، وإعلان الحرب الثالث (1967) أي هزيمة حزيران، وإعلان الحرب الرابع (1982) أي اجتياح لبنان وحصار بيروت وخروج المقاومة الفلسطينية من لبنان، وإعلان الحرب الخامس (1987-1995) أي الانتفاضة الأولى وصولاً إلى اتفاق أوسلو، وإعلان الحرب السادس (2000-2014) أي الانتفاضة الثانية وصولاً إلى حصار قطاع غزة من قبل إسرائيل والحروب المتكررة عليه. هذه المراحل المفصلية اقترنت بتطورات دولية وإقليمية، ولم تكن لمصلحة الفلسطينيين. وربما أهم مثال على ذلك، ما حصل أثناء الانتفاضة الثانية، فهجمات 11 أيلول التي نفذتها القاعدة في أميركا، حينها تحول ياسر عرفات إلى «حليف أسامة بن لادن» بنظر كل أعدائه أو هكذا أرادوه ليقتلوه وينهوا الانتفاضة.

■■■

منذ ما قبل النكبة، لم يحصل أن تكون التحولات الدولية والإقليمية لمصلحة القضية الفلسطينية كما هي الآن. هي لحظة فلسطينية يجب استثمارها بدل أن يستغلها الاحتلال لمصلحته. هذه التحولات تبدأ باوكرانيا، ولا تنتهي بالحضور الصيني إلى منطقة غرب آسيا، مروراً بالمصالحة الإيرانية - الخليجية. ولكن على صانع القرار الفلسطيني أن يحدد أولوياته، ويضع خياراته بالنسبة للمعسكرات الدولية. وإذا كانت إسرائيل في المعسكر الغربي، فحتماً على الفلسطيني أن يكون في المعسكر المضاد، ولا سيما أن الأميركيين لن يتخلوا عن إسرائيل كدولة وظيفية وحليف استراتيجي، ولن تهمهم المصالح الفلسطينية. في المقابل، يمكن توظيف المصالحات الإقليمية خدمة للأهداف الفلسطينية. وهنا وجب تحديد هذه الأهداف وأساليب تحقيقها. أمّا بالبقاء في خانة المراهنة على حلول «الرباعية الدولية» ستكون الخسارة أفدح مما سبقها. هي لحظة فلسطينية لن تتكرر يمكن في خلالها بناء مشروع فلسطيني متكامل يمكن فرضه وسط كل التحولات. وبدل من أن يكون الفلسطيني لاحقاً بالتغيرات يجب أن يشارك فيها.

حق العودة والخريطة المشرقية للفصل العنصري

فخري الصرداوي

في جو من التوجس من شيوع توصيف الفصل العنصري وتوظيفه من قبل المنظمات غير الحكومية الدولية، ظهرت عدة أصوات معارضة للتوصيف ظناً أنه تصفوي الطابع بالنسبة إلى مسألة حق اللاجئين بالعودة إلى فلسطين.

محمد مجدلاني، كتب في مجلة «حبر» أن توصيف الفصل العنصري يستثني من خريطته الإدراكية تماماً تجمعات الوجود الفلسطيني في قطاع غزة ومخيمات الشتات. أمّا كريم قرط، فيكتب في منصة «متراس» أن أنصار هذا التوصيف وإن كانوا يدّعون أنه يتيح المطالبة بعودة اللاجئين، إلا أنه يساوي بين المهجر الفلسطيني في الشتات والمستوطن اليهودي الذي يحق له الهجرة بموجب قانون العودة الصهيوني.

هذا التوجس مفهوم، فقد تم تسخيف مصطلح الفصل العنصري وإفراغه من مضمونه تماماً كما تم توسيع مصطلح الفاشية -مثلاً- من دون الأخذ في الاعتبار مئابته التاريخية المادية في ألمانيا وإيطاليا كما يقول متخصص الشؤون الدولية دانيال بسّور. على سبيل المثال، تتمرس بيئة الإعلام والمراكز البحثية والمعارضة الإيرانية في واشنطن في استخدام المصطلح غير العلمي والدعائي «أبارتهايد الجندر» ضد طهران. وفي مثال آخر، كتب أحد صحافيي مجلة «ذي إنترسبت» (التي استقال منها غلين غرينوولد قبل فترة) مقالاً خلص فيه إلى وجود «أبارتهايد الماريجوانا»، وأن فلسطينيي الطبقة الوسطى -يا حرام- يلاقون صعوبة أكبر من أقرانهم الإسرائيليين في الولوج إلى الحشيش.

هنالك سوء فهم كبير للمعنى السياسي والاستراتيجي لوجود نظام فصل عنصري في أي بيئة إقليمية ودولية، من أولئك الذين يقومون بتصفية تاريخية للمعنى الاستعماري بالفصل العنصري ويلطخونه بلطخة نيوليبرالية ومن أولئك الذين يشعرون بالنفور من هذه اللطخة فيرفضون حتى قراءة التاريخ المادي الاستعماري للفصل العنصري والمقاومة ضده.

أحد أسباب سوء الفهم هذا يتأتى من الخلط بين الفصل العنصري، كنظام شمولي استعماري، وبين التمييز العنصري كمسألة حقوقية ليبرالية يتم تداولها في بيئة المنظمات غير الحكومية. بالنسبة إلى محمد مجدلاوي، فإن توصيف الفصل العنصري باطل في مخيمات الشتات وفي قطاع غزة ذات الغالبية اللاجئة، ذلك لأن تصميم السياسات الإسرائيلية وتنفيذها في هذين السياقين ليس هدفها التمييز ضد الفلسطيني، بل هدفها تحقيق الإزالة المادية للوجود الفلسطيني. هذا غير دقيق، ليس الهدف من إقامة نظام فصل عنصري إحداث تمييز في الحقوق المدنية والاقتصادية بين مجموعتين عرقيتين، فتحصل واحدة على تمثيل أفضل في البرلمان ووظائف ومساكن أفضل (وحشيش أفضل بالنسبة إلى عباقرة الصحافة في «ذي إنترسبت»).

على العكس من ذلك، مفهوم الفصل العنصري لا يتناقض مع، بل يتضمن، مفهوم الاضطهاد الجماعي والتهجير والإبادة، بل إن جريمة الفصل العنصري، بموجب القانون الجنائي الدولي، هي ثاني أكبر الجرائم الدولية جسامة بعد الإبادة الجماعية. وميثاق روما التأسيسي للمحكمة الجنائية الدولية يؤكد أن نظام الفصل العنصري لا يستديم ذاته فقط عن طريق التمييز بمعناه الحقوقي الضيق بل عن طريق الإبادة والاضطهاد والتهجير القسري للسكان. في عام 2017، قامت مجموعة عمل من الباحثين ذات توجهات عروبية وعالم ثالثية في لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا في لبنان بصياغة تقرير شامل عن نظام الفصل العنصري، وأكد التقرير أن منع اللاجئين من العودة يقع في صلب سياسة الهندسة الديموغرافية التي يقوم عليها نظام الفصل العنصري الإسرائيلي. حيث نص التقرير على أن السمة المميّزة للفصل العنصري الإسرائيلي هي استدامة الهيمنة على الفلسطينيين بغرض تعزيز دولة يهودية من خلال تجزئة الشعب الفلسطيني إلى أربعة فضاءات منفصلة خاضعة للسيطرة التمييزية والإخضاع. تم تكييف هذه الفضاءات لمنع الفلسطينيين من أبناء الأراضي المحتلة عام 1948، والضفة الغربية وغزة، والقدس، واللاجئين الذين يعيشون خارج فلسطين الانتدابية، من تحدي الطابع القانوني لإسرائيل كدولة يهودية.

والنظام الإسرائيلي صريح في عنصريته في الربط بين أيديولوجية الفصل العنصري لديه ومنع اللاجئين من العودة. حيث نشر الموقع الإلكتروني لوزارة الخارجية الإسرائيلية مقالاً نص فيه على أنه إذا كانت «إسرائيل» ستسمح للاجئين بالعودة سيكون ذلك انتحاراً من جانبها، ولا يمكن أن نتوقع من أي دولة أن تدمر نفسها. هذا الإعلان تناص مطابق مع ما قاله دانييل فرنسوا مالان، رئيس وزراء نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، والذي قال إن التوجهات الهادفة إلى منح كامل الحقوق لغير الأوروبيين، ستؤدي في حال نجاحها إلى «الانتحار النهائي السياسي والاقتصادي للمجتمع الأوروبي» في جنوب أفريقيا، وهذا احتمال لن ترحب به أي حكومة. كذلك، فإن النظرة الضيقة لنظام الفصل العنصري بوصفه علاقة بين نظام سياسي يميز ضد أفراد فئات عرقية يعيشون تحت هذا النظام، لا يمكن أن تفهم النظام بعمق من ناحية علاقته مع الدول والجماعات المغايرة له المشابهة إثنياً لمقموعيه والمحيطة به في الإقليم والتي هي أيضاً علاقة تقوم على الهيمنة الجزئية أو الكلية الاستراتيجية والعسكرية والأمنية والحضارية.

منذ نشوء أيديولوجية «القومية الأفريكانز» في جنوب أفريقيا وهي قائمة على كونها أداة «نجاة عرقية والدرع الحامي للفوقية البيضاء في قارة تحوي مئات الملايين من السود». وقد أكد على ذلك رئيس وزراء النظام الجنوب أفريقي بيتير وليم بوتا، المسؤول عن تأسيس البرنامج النووي العدائي للنظام، حيث قال إن «السلاح النووي هو سلاح سياسي وليس سلاحاً عسكرياً» حيث سيتيح للنظام إدارة صراعه الاستعماري من قاعدة الاستراتيجية النووية وذلك لردع لسياسات القوة السوداء. وفي عام 1973 تنبهت الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث إلى الفصل العنصري كمشكلة أمنية إقليمية عندما تبنت في الأمم المتحدة الاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها (بينما رفضت الدول الغربية تبنيها والانضمام إليها) والتي أكدت في ديباجتها أن «الفصل العنصري ومواصلة تعميقه وتوسيع مجالاته أمور خطيرة تعكر وتهدد السلم والأمن الدوليين».

لهذا لا يمكن لنظام الفصل العنصري الإسرائيلي أن تكون له علاقة مع معظم دول الإقليم إلا من خلال منظور الهيمنة. فإذا كانت الأهداف الاستراتيجية الثلاث للنظام هو منع عودة اللاجئين، ورفض الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، والتفوق العسكري الاستراتيجي لبناء درع يضمن استمرارية الهدفين الأوليين، فهذا يعني أن جهود الهيمنة ستكون مضاعفة على دول اللجوء الفلسطيني العربية في الأردن وسوريا ولبنان.

وهذا يعني أن التطبيع الفردي والجماعي ليس فقط محض سذاجة أو تخاذل أو مصلحة واقعية، بل هو قبول بشروط الهرمية الحضارية في العلاقة بين نظام الفصل العنصري ومحيطه من قبل البرجوازيات المدينية القطرية، من ناحية، والبرجوازيات الطائفية اليمينية من ناحية أخرى والتي ترغب في استنساخ التجربة الإسرائيلية وتحقيق حلم دويلتها الطائفية النقية.

خلال مراجعتها الدورية للوضع في الكيان الإسرائيلي كانت لجنة الأمم المتحدة للقضاء على التمييز العنصري في جنيف دائماً ما تصرح بمنع اللاجئين الفلسطينيين من العودة كإحدى أهم زوايا الإقصاء العنصري الذي يقوم به النظام، وذلك في جلساتها في الأعوام 1987، 1992، 1998، 2007. لكن مع مجيء جلسة اللجنة في عام 2012 لدى بدايات حقبة الانهيار في دول المشرق، لم تعد اللجنة تذكر حق العودة الفلسطيني. ذاك كان قبولاً ضمنياً وتطبيعاً من قبل المجتمع الدولي لخريطة الفصل العنصري في المشرق العربي.

مواد اخرى على الموقع

الأخبار
al-akhbar
السبت 13 أيار 2023 العدد 4912

المفكرة

فراس والفرقة: سلطنة وفرفشة

■ يعود فراس عنداري (الصورة)، اليوم السبت إلى «برزخ» (الحمرا) حيث يحيي برفقة الفرقة حفلة بعنوان «تحت الشبّاك». العرض الحيّ الذي يواصل الفنان اللبناني إحياءه منذ خمس سنوات في لبنان وخارجه، مخصّص للموسيقى المصرية الشعبية، وتتخلّله جرعات كبيرة من «الفرفشة والرقص والسلطنة»، وفق النص التعريفي الوارد على صفحته على فايسبوك. إلى جانب عنداري الذي سيتولّى الغناء، يشارك في الموعد المرتقب الموسيقيون: سماح أبو المنى (أكورديون وكورس)، خالد حوحو (كيبورد شرقي)، بهاء ضو (إيقاع وكورس)، مجدي زين الدين (إيقاع وكورس)، مازن ملاعب (إيقاع وكورس)، خضر رجب (كمنجة) وخالد عمران (باص).

يستمدّ العرض اسمه من عنوان الأغنية (كلمات بديع خيري وألحان محمود الشريف) التي رسّخت اسم صاحبها عزيز عثمان بعدما أدّاها من خلال شخصية «بلاليكا» في فيلم «لعبة الستّ» (1946 ـ إخراج ولي الدين سامح)، وتحديداً في مشهد تظهر فيه تحية كاريوكا وهي ترقص بلا رغبة أمام عائلتها التي أجبرتها على الطلاق من نجيب الريحاني والزواج من ثري شامي.

حفلة «تحت الشبّاك»: اليوم السبت ـ الساعة العاشرة مساءً ـ «برزخ» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 78/909472

«سهار بعد» مع عبد الوهاب

■ كما جرت العادة، يستمرّ الفنان اللبناني زياد سحّاب في إقامة حفلات بيروتية يوجّه من خلالها تحيّة إلى أسماء طبعت الذاكرة والفنّ العربيَّيْن. هكذا، يطلّ الفنان اللبناني، غداً الأحد على جمهور NOW Beirut في سهرة خاصّة بمحمد عبد الوهاب (1902 ـ 1991/ الصورة). ومن ريبيرتوار «موسيقار الأجيال»، وقع الاختيار على: «من غير ليه»، «يا مسافر وحدك»، «إيمتى الزمان»، «لا مش أنا اللي أبكي»، «أنا والعذاب»، «كان أجمل يوم»، «حسدوني»، «لما انت ناوي»، «سهار بعد سهار»، «لولا الملامة»، «حمّال الأسية»، «توبة» و«أنا لك على طول». أما الفرقة الموسيقية المرافقة لزياد الذي سيغنّي ويعزف على عوده، فتتألّف من: رمزي قندلفت (كيبورد)، خليل البابا (كمنجة)، تشارلي فاضل (درامز) وإيلي الحلو (إيقاع).

تحية إلى محمد عبد الوهاب: غداً الأحد ـ الساعة التاسعة مساءً ـ NOW Beirut (شارع سليم بسترس ـ الأشرفية ـ بيروت). للاستعلام: 01/211122

بين طارق وفرح... حبّ وسادية

■ بعد «مسرح مونو» (الأشرفية)، تنتقل مسرحية «حبيبة قلبي إنتِ» (كتابة وإخراج لوسيان بورجيلي) إلى «مسرح المدينة» (الحمرا) بين 18 و28 أيار (مايو) الحالي. كوميديا سوداء موجّهة إلى من تزيد أعمارهم على الـ 18، تتمحور حول رجل يستيقظ على سرير ليجد نفسه مقيّداً ومعصوب العينين من قبل امرأة ترفض إطلاق سراحه. فهل هذه هي ذروة التعبير عن الحب والرغبة السادية؟ أو هناك سبب آخر؟ العمل من بطولة طارق أنّيش وفرح الشاعر (الصورة).

مسرحية «حبيبة قلبي إنتِ»: من الخميس 18 حتى الأحد 28 أيار 2023 ـ الساعة الثامنة والنصف مساءً ـ «مسرح المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 01/753010

«عامل»... تجربة ريادية

■ تفقّدت السفيرة الفرنسية في لبنان، آن غريو، «مركز العرقوب الصحي التنموي» في كفرحمام (جنوب لبنان)، الذي بدأت «مؤسسة عامل الدولية» العمل فيه بالتعاون مع «صندوق الزكاة» وبإشراف وزارة الصحة، وهو يخدم 17 بلدة محيطة، في مجال الصحة والتنمية استجابة للحاجة المتزايدة في المناطق التي تعاني التهميش وعدم القدرة على الوصول إلى الحقوق الإنسانية. تحدّث فريق المؤسسة عن الأنشطة والبرامج الصحية والتنموية التي تقام في المنطقة والمحيط، بهدف توفير حقوق أهالي منطقة العرقوب والنازحين على حدّ سواء، وخصوصاً في مجال الرعاية الصحية الأولية، والدعم النفسي ـ الاجتماعي. وأبدت السفيرة إعجابها بالتجهيزات المتقدّمة والمعايير الصحية التي يتبعها المركز، مشيرة إلى أن ما تقوم به «عامل» هو «تجربة ريادية يجب تعميمها في لبنان والعالم».

پوپ فيكشن

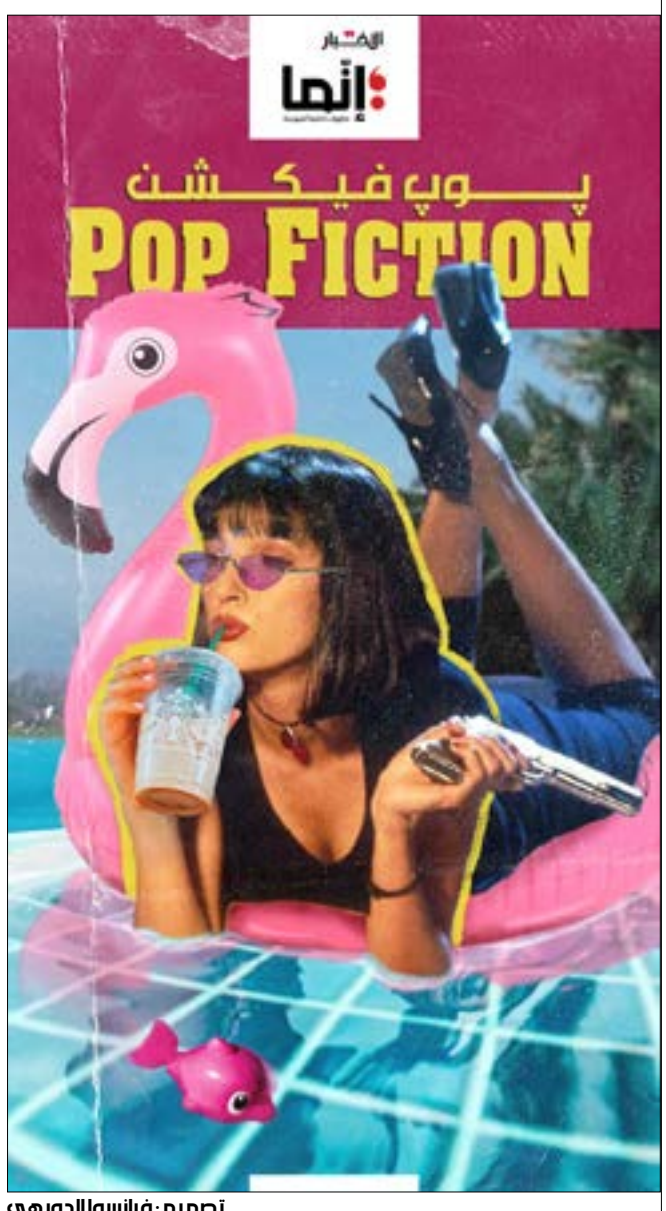

تصميم: فرانسوا الدويهي

تحرير «إنما»

المسألة برمتها قائمة على سوء فهم. لا أقصد أنها تنضوي على سوء تفاهم. ما أعنيه أنه فهمٌ رديء. لربما أسيء فهم المسألة برمتها وبات الكلام أشبه بمماطلة بطيئة يسوقها هذر مزعج. عندما يتصاعد الهذر ترتخي عضلات الفك، ويصبح النطق صعباً. اللسان يفلت من عقاله ويغدو التمييز بين الظلّ والحقيقة مهنة محرجة. غالباً ما يقود الفهم الرديء إلى هذر ساخط يفتك بصاحبه ويدفعه نحو الهلوسة. لا ريب عندها أن يتحوّل العالم إلى مدينة ملاهٍ تغزوه الألوان المبهرجة، مذاقه حلوٌ مثل طعم السكاكر، ويسكنه إنسان على هيئة بطّة. جوهر المسألة أن العصر الحالي قائم على سوء فهم سقيم وقد تحوّل إلى مدينة ملاهٍ مملّة. من يرتدي لباساً على شاكلة بطّة بات يصدّق أنه بطّة ولا يتوانى عن أخذ «سيلفي» أينما يحطّ.

العقول متهالكة جرّاء عجزها عن اللحاق بكل ما تبثّه وسائط الترفيه. وبالرغم من هذا، فالأجساد محدودبة تقوّضها عمليات التجميل، والهويات مفككة تغلّفها فقاقيع من صابون تأخذ نصائح عيشها من الـ«لايف كوتش»، والوجوه متورّمة، منفوخة، تتغذى على البلاستيك. هكذا هي ملامح الإنسان إذا ما أراد أحد رسمها لتخليد ذكراه. الخيالات مصقولة بصور مثيرة ومتورّطة بسردياتٍ مشوّقة غير آبهة بسوء الفهم الذي ينخر أدمغتها. الخيالات جامحة تترجم جميعها الإشارة التي تتلقاها، لذلك وجب التعريف بأنها ليست خيالاتٍ وأنها برمّتها خيالٌ (واحد) رديء. الخيال الرديء يقتل «الحقيقي» المكروه ويبني على أنقاضه أبراجه الافتراضية، وصنّاع المشهد يريدونك أن تصدّق أن الواحد زائد واحد يساوي خمسة كما غنّت فرقة «راديوهيد».

مدينة الملاهي استعارة العصر والعالم غارق في الفهم الرديء. «كوميديُّ» كان عنوان معرض الفنان الإيطالي ماوريزيو كاتيلان الذي أقامه في قاعة «سييول ليوم» في كوريا الجنوبية. عمله التجهيزي مينيمالي الطابع، يقتصر على تلزيق موزة على حائط كبير. قصدَ كاتيلان من قطعته الفنية الاستهزاء من مآل الفن الحديث والتهكم على النماذج الساذجة التي أنجزت تحت عنوان الفن الحديث، إلى حدّ إلصاق وصمة الكوميديا عليه. ماوريزيو كاتيلان لم يكن يعلم أنه سيقع ضحية نفسه، لكنّ شاباً كان من ضمن زوار المعرض أوقعه بهذا المأزق بعدما قرر أن يأكل قطعته الفنية؛ التهم موزة كاتيلان بحجة أنه جائع. قد يعتقد الإيطالي أن هذا التأويل نابع من فهم رديء، لكن العبرة التي يمكن استنتاجها أن عنوان المعرض «كوميديُّ» ينطلي على الفنان أكثر مما هو تعريفٌ بفنّه. الرداءة هنا ستسمح لنا بفهم فكرة بودريارد عن تقليد التقليد، أو النسخة عن النسخة، كعملية لا تفسر سوى أنها تكرار ركيك يُفقد بريق الأصل ويبعثر المعاني. ما علينا سوى إسقاط هذا التفسير على أحوال اليوم لنفهم لماذا تبدو الخيالات رديئة.

ستصيب لوثة الرداءة أعضاء جائزة نوبل عندما قرروا منح الجائزة لكاتبة يوميات وسيَر ذاتية تصيغ جملها بأسلوب شفهيّ يشبه كتابة التقارير الإخبارية. ستصيب كذلك الأمر تلك الكاتبة التي جاء إهداء كتابها خليطاً من الاعتراف المباشر والبوح المضمر: «إنك رجل عظيم، لكنني متزوجة. لذلك أعتقد أن علينا أن نبقى أصدقاء فقط». فمهما تراوحت الاستجابة على هذه الجملة، أي في حال فهمها المتلقي على أنها غمزٌ مغوٍ ليأخذ المبادرة بوصفها في المقام الأول إهداء، أو بحال اعتبرها رسالة وداعٍ قاسية، ففي الحالتين سيكون فهمه رديئاً. في فيلم pulp fiction حرصت ميا والاس (إيما ثورمان) على أن لا توقع فينسنت فيغا (جون ترافولتا) بهذا الالتباس. ولهذا السبب تحديداً، فقد تأخرت عن إفصاحها له بنكتتها التي سبَق أن حذّرته بأنها نكتة بائخة. «ثلاث ثمرات طماطم تسير في الشارع. الثمرة الأب والثمرة الأم والثمرة الابن. الأخير بدأ يتخلّف وراءهما في السير فانزعج الأب للغاية. فعاد إليه وسحقه وقال كاتشب». إن الكلمة المفتاح هنا هي كاتشب كونها تنطوي على معنى مزدوج عقب السمع. فرنين ketchup يوازي catch up والتي تعني «الحق بي» (أو «نلتقي» في استعمالها الدارج) كما أنها ketchup، وهي مفردة القرن، أي صلصة البندورة المنقوعة في السكر. الثمرة الأب دهس الثمرة الابن فحوّلها إلى صلصلة كاتشب، أي أنه قتله ثم قال لابنه الحق بي. يبقى حسّ الفكاهة عقيماً مهما تكثفت المفارقة أو بلغ شأنها، لأن الضحك على أب دهس ابنه الذي يتبختر وراءه ببطء يفقد النكتة غرضها ويفضي بالوجه كئيباً. أما القول بأنها نكتة يندرج إما كسوء فهم غليظ وإما في معجم الرداءة. لم يضحك فينسنت فيغا ولم يكن السبب لأنه كان مرتاباً يشعر بأنه على شفير ذبحة قلبية كما قد زعم وليس لأنها نكتة عبثية، بل لأنه تلقى النكتة، التي أُسيء توصيفها، على أنها مغازلة: إحالة رومانسية ليقرر على إثرها الغوص في حبٍ رديء. كلمة المفتاح موجودة لكن الأبواب مغلقة، والخيال الذي نحاط به يجعل الأقفال موصودة بشدّة حتى يكاد الخروج من سوء الفهم يكون مستحيلاً. بدلاً من أن يكون الكاتشب نكتة مضحكة وصلصة رثّة، نراه يحتلّ الشاشات، ويكسو الأطباق، ولو كان الأمر بيد الأطفال لكانوا دهسوا أهاليهم لكي يحصلوا على نتفٍ من لزاجته. في القطار المجنون داخل مدينة الملاهي هذه، لا بدّ من وجود صرخة فهم صارخها خطورة اللعبة على نحوٍ جيدٍ بعدما غاص في سرعتها الرهيبة واكتشف رداءتها عن تجربة. صرخة من شأنها أن تشير إلى الرديء، أن تدلّ عليه، برغبة آسرة بأن يكون لديها صدى قادرٌ على اقتلاعه، لأنه مثلما أخبرنا pulp fiction، دائماً ما يمكننا تصحيح المسار.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 666314 / 01 ـ 828381 / 03
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 13 أيار 2023
العدد 4912 السنة السابعة عشرة
Samedi 4 Mai 2022 nº 4912 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

غلاف كتاب «قبل الهيمنة الأوروبيّة: النظام العالمي بين 1250-1350» (1989)

جانيت أبو لغد

«الاستبداد الشرقيّ» كذبة أوروبيّة

في «روح الشرائع» (1748)، نقد البارون الفرنسي مونتسكيو النظام الفرنسي القائم في زمانه، داعياً إلى تخليصه مما أسماه ملامح «الاستبداد الشرقي» الذي اعتبره شكلاً شرقيّاً حصرياً لنظام ثقافيّ سياسيّ منحطّ ينطوي على عبوديّة مجتمع ذليل ومصاب بالجمود لحاكم فرد متعسّف وشرير، يدير حكومة متخلّفة وفاسدة، تقوم على أساس أوامر شفهيّة أو رسائل تمليها المرجعيات الأعلى. ما لبث هذا المفهوم أن أصبح عند مثقفي التنوير الأوروبي بمثابة حكم تاريخيّ نهائيّ على طبيعة المجتمعات (الشرقيّة) تبعتهم فيه أجيال من المؤلفين والرحّالة والجواسيس الذين كتبوا عن بلادنا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. لم يعد مستهجناً للغربيين اللاحقين ـ وأتباعهم من منظّري الربيع العربي ـ تمرير جميع تجاربهم وملاحظاتهم وأفكارهم عن الشرق من خلال مصفاة النظريات والتجريدات المستوحاة من مونتسكيو، فيما أُهملت أو أُدينت كل محاولة لتقديم صورة أكثر واقعيّة أو تفهماً...

إلى أن جاءت جانيت أبو لغد (1928 ـ 2013) التي مرّ عقد على رحيلها.

عالمة الاجتماع الحضري الأميركيّة من أصل فلسطينيّ أخذتها الأقدار إلى القاهرة حيث وضعت دراستها المفصليّة «القاهرة: 1001 عام على المدينة المنصورة» (1971)، حيث خلصت إلى أن «النظرة الأورو-مركزية للعصور الوسطى المظلمة غير مدروسة، فإن كانت الأنوار قد انطفأت وقتها في أوروبا، من المؤكد أنها كانت لا تزال مضيئة في الشرق الأوسط»، مشيرة إلى أن العاصمة المصريّة لم تكن سوى «عقدة واحدة فقط في شبكة نظام حضريّ متطور للغاية ضمّ مدناً عدة عبر عالم الإسلام». تجربتها القاهريّة، منحتها البصيرة لإعادة النظر في التاريخ الحضريّ لمدن العصور الوسطى برمّته، ورفض طروحات هنري بيرين، وماكس ويبر وغيرهما من سوسيولوجيي الأكاديميا الغربيّة القائمة على أساس مفاضلة مدن الغرب (الأعلى، الأرقى) مقابل مدن الشرق (الأدنى، المتخلف). لم ترتح أبو لغد أيضاً لمعالجة ماركس لأصول الرأسماليّة. خرجت بانطباع سلبيّ من قراءة دراسة والرشتاين عن «نظام العالم الحديث» (بجزءيه 1974، 1979) لأنه «ينحو إلى التعامل مع النظام العالمي في عصر الحداثة - الذي تشكل في القرن السادس عشر (المديد) - كما لو كان بدأ في الغرب، ومن صفحة بيضاء».

تكاملت نظريّة أبو لغد في كتابها الأشهر «قبل الهيمنة الأوروبيّة: النظام العالمي بين 1250-1350» (1989) الذي جادلت فيه بأن نظام ما قبل الحداثة كان يقوم على روابط بين ثلاثة أنظمة فرعيّة: الصين (الأكثر تقدماً)، وعالم الإسلام (مصر والشرق الأدنى) الذي لعب دور صلة الوصل بين الصين والنظام الفرعيّ الثالث في أوروبا الغربيّة، مضيفةً أنّ ظروفاً موضوعيّة، لا ضرورة ثقافيّة تاريخيّة متأصّلة، حوّلت النظام العالمي تالياً إلى صالح الغرب دون الشرق. وعلى الرغم من أن تحليلها لم يستفد من الطرح الماركسيّ المتقدّم في تفسير العلاقات الطبقيّة التي أنتجت جذور الرأسماليّة الحديثة، إلا أنّه كان كافياً لنقض التفسيرات الإقطاعيّة التقليديّة لتاريخ اقتصاد العصور الوسطى في الشرق.

مع ذلك، ورغم جهود عديدين آخرين بمن فيهم إدوارد سعيد (الاستشراق ـ 1976)، فإن هذه الرؤية الغرب-مركزيّة المتخيّلة عن الشرق، التي وظّفت بصفاقة لإضفاء الشرعية بشكل أو آخر على التوسّع الإمبريالي الغربي وتبرير جرائمه من حملة نابليون على مصر (1799) إلى إسقاط ليبيا (2011) وما بينهما، بقيت سائدة ومتداولة بزعم أنّ دول الشرق الأوسط في العصور الوسطى لم تترك وراءها أيّ وثائق يُعتدّ بها نظراً إلى طبيعة الحكم الشرقي المستبدّ القائم على الأحكام الفرديّة اللحظيّة التعسفيّة والسريعة الزوال، مقارنة بديمومة النتاج البيروقراطي لمؤسسات الحكم في الدول الأوروبيّة الناشئة.

انتصار أبو لغد النهائي والحاسم على تجار مفهوم «الاستبداد الشرقي» تحقّق بعد عقد تقريباً على غيابها، عندما قدّمت البروفيسورة مارينا راستو في كتابها «الأرشيف المفقود: آثار دولة الخلافة في كنيس القاهرة» (2019) أدلّة ماديّة ملموسة على امتلاك دولة الخلافة الفاطمية في مصر ـ كنموذج وإن أقل تقدماً من نظيره العبّاسي في بغداد ـ نظاماً حكوميّاً بيروقراطيّ الطابع، وسجلّات مؤسسيّة مفصّلة، وأرشيفات مُحكمة، تنفي كل التصور الأوروبي المسبق حول غياب التوثيق في عالم الإسلام قبل عام 1500 بسبب ثقافة «استبداد» مزعومة.

إننا مدينون اليوم لجانيت أبو لغد بتحرّرنا من توهمات مونتسكيو، وفذلكات مروّجي ما يُسمّى «الاستبداد الشرقيّ»، وبفهم أكثر عقلانيّة للنظام العالمي الذي يقترب للعودة إلى عالم متعدد الأقطاب، تماماً كما كانت الحال قبل صعود الغرب المؤقّت، والمغمّس بالدماء، في آخر خمسمئة عام.

حوار

روايتها الجديدة «افرح يا قلبي» عن ديناميكيّات الصراع والوئام في المجتمعات

علوية صبح: صراع الهُويات... مأزق لبنانيّ بامتياز

منذ باكورة اعمالها الروائية «مريم الحكايا» (2002) التي شرّحت المجتمع اللبناني في عيشه وخبراته ومفاهيمه والسلطة الذكورية والبطركية التي تسيطر على ثقافته وممارساته، فرضت علوية صبح نفسها رقماً صعباً على خارطة الرواية اللبنانية والعربية: صبح المفتونة بالحكايات بارعة في تطعيم السرد المحكم في اعمالها ذاكرة اجيال باسرها، وتحميل شخصياتها القلق الوجودي والإبداعي والإنساني الذي تفرضه القضايا الإشكالية من الهيمنة الذكورية وقمع المرأة في انوثتها وامومتها وعلاقتها بجسدها ومجتمعها وسعيها المرير لنيل ابسط حقوق كرامتها في شرق تصحّ فيه مقولة ادونيس: «الولد في الشرق يولد أباً»: في رواياتها اللاحقة، «دنيا» و«اسمه الغرام» و«ان تعشق الحياة»، تابعت علوية صبح الحفر في البنية التحتية المولّدة للحرب والعنف على كل اشكاله، ومواجهة منظومات القهر وتعريتها وفضحها من دون مجاملة او تجميل: «حينما يكون للادب علاقة بالحياة، دائماً ما احاول ان اكون حقيقيّة، ولم اكتب يوماً بداعي تجميل مجتمعاتنا، فالكتابة عندي مواجهة وكشف واسئلة... لئن اراد الادب ان يوجّه رسالةً معيّنة، فعليه ان يترك اثرا لدى القارئ حين يتماهى مع الشخصيّات، ونكتشف امراضنا ومآزقنا وعللنا واسئلتنا، وبهذا المعنى يحفر الادب عميقاً في الوعي الفنّي والإنساني».

بعد سنوات ثلاث على «ان تعشق الحياة»، تطل علوية صبح على القراء برواية تحمل عنوان «افرح يا قلبي» (دار الآداب ــ 2023) تضيف فيها لبنة جديدة إلى عمارتها الروائية الشاهقة، حيث تقدم حمولة دسمة تطرح فيها الإشكاليات الثقافية وديناميكيات الصراع والوئام في المجتمعات ضمن قالب لا يخلو من متعة السرد والشغب على كل ما هو جامد ومتحجّر. لذلك كان هذا الحوار مع «كلمات»

تقديم وحوار محمد ناصر الدين

■ دعينا نستهلّ هذه المقابلة بعنوان الرواية «افرح يا قلبي». تلاحظُ أنّ الرواية ليست بمجملها عن الفرح، ما السبب الذي دفعك لاختيار هذا العنوان؟

ــ باستطاعتي القول إنّـه، منذ اللحظة الأولى التي بدأت فيها أهجسُ بالرواية وسكنت فكرتها مخيّلتي، لم أجد عنواناً آخر يناسبها، فأمّ كلثوم حاضرة في الرواية كرمز لفنّ الغناء العربي، أو لنقُل الهويّة الشرقيّة الطربيّة للغناء، ومجمل أغانيها التقليديّة مليئة بالشجن والعذابات، فيما أغنيتها الخالدة «افرح يا قلبي» هي الوحيدة المرتبطة بالفرح الذي ينتجُ عن الحب وليس بتعاسته أو عذاباته. إنّ البطل الرئيس في الرواية غسّان، حين أحبّ رفيقة الدراسة «نور» في طفولته، وجد نفسه يغنّي هذه الأغنية. وعندما وقع في حبّ كيرستين في الولايات المتّحدة، وجد نفسه أيضاً يغنّيها. وقبل أن يهاجر للمرّة الأخيرة، سمع ابنته تغنّيها في الحديقة، فأدرك أنّ شيئاً منها فيه. وبالتالي، فإنّ الأغنية بمثابة نافذة أمل في الرواية، ومن ثمّ كلّنا نعلم أنّ ثمّة جدلية بين الظاهر والباطن في النص، وهذا يجوز في الأدب.

> انطلقتْ من بلدة متخيّلة في الشمال كي أعبّر عن تاريخ لبنان منذ الخمسينيّات حتّى الآن مروراً بظاهرة «حركة التوحيد» في طرابلس

■ ابتعدتِ في هذه الرواية عن البيئة الجنوبيّة، كما في «مريم الحكايا»، ونراك قد اتّجهت نحو الشمال اللبناني. ما السرّ وراء هذه النقلة في الجغرافيا السردية؟

ـ لم أعبّر في أعمالي عن الجنوب فحسب، في «أن تعشق الحياة» وكذلك في «اسمه الغرام» تناولتُ بيروت، وفي «دنيا» تحديداً أذكرُ أنّني تناولتُ تاريخ منطقة الحمرا وتبدّلاتها. هناك دوماً شخصيّاتُ متعدّدة الانتماءات الدينيّة، وإن كان منطلقي في «مريم الحكايا» هو البيئة الجنوبيّة، فقد قال عنها صنع الله إبراهيم بأنّها «تعكسُ حياة وواقع الأمّة العربيّة على امتداد خمسين عاماً». بلدة «دار العزّ» الشمالية بالنسبة إليّ هي لبنان ربّما، هي بلدةٌ متخيّلةٌ انطلقت منها لكي أعبّر عن تاريخ لبنان منذ الخمسينيّات حتّى الآن مروراً بظاهرة «حركة التوحيد» في طرابلس في ثمانينيات القرن الماضي، حتّى هذه اللحظة التي يمرّ فيها البلد وما يصاحبها من انهيار كامل، حتّى إنّني طرحتُ مسألة الهويّة منذ تأسيس هذه البلدة، فآلاب ناصري يحنّ إلى زمن الأحلام العربية، وجاره الأرثوذكسي انتسب إلى الحزب الشيوعي فقط لأنّه أرثوذكسي، لكنّه لا يزال يحنّ إلى زمن الفرنسيّين. وبالتالي، فإنّ مأزق الهويّة في لبنان هو ما تجسّد في هذه العائلة، وهي بكاملها من الذكور، وقد حاولتُ من خلالها أن أطرح من خلالها هذه المسألة الإشكالية.

■ ثمة أجيال ثلاثة في الرواية يتوزع هواها السياسي بين الناصرية والشيوعية والمدّ الإسلامي. هل ثمّة رسالةٌ سياسيّة يحملها هذا العمل؟

ـ لم أفكّر يوماً أن أكتب روايةً تحملُ هدفاً سياسيّاً، أو أن أكتبها كعالمة نفس أو اجتماع، أو حتّى أن أطالب بتحرّر المرأة عبر الشعارات، فأنا ضدّ الإيديولوجيا المباشرة. هاجسي الأساسيّ فنّي وإنساني، لكنّه لا يصادرُ لغة الأبطال، فقد رأيت في عائلتي وفي أكثر العائلات اللبنانيّة مختلف الإيديولوجيّات، بدءاً من الناصريّة، مروراً باليسار والعروبة، ومن ثمّ الحركات الإسلاميّة الأصوليّة... هكذا رأيتُ الرواية ولم أستطع رؤيتها بمنظور آخر. نحنُ دائماً في تحوّل وصراع مستمرّين حول هويّتنا، وهذا مأزقٌ لبنانيّ وليس مأزق بلدة أو عائلة على سبيل الحصر، غير أنّني حاولتُ أن أدخل إلى نمط حياة هذه العائلة، إلى داخل كلّ شخصيّة فيها وأزماتها، إلى حوارها الداخلي مع نفسها وعلاقتها مع الأب والأم، إلى صراعات الإخوة التي وصلت إلى حدّ القتل، إلى المأزق الوطنيّ الكبير الذي يتسبّب دائماً بالهجرة والشتات والمآسي.

■ هذه المرّة كان البطل رجلاً. لماذا؟

ــ صحيحٌ أنّ النساء كنّ بطلات السرد في جميع رواياتي السابقة، وأنّ هاجسي الأساسيّ كان واقع المرأة بوجوهه المختلفة (الأمّ، الزوجة، الحبيبة، العشيقة) والمهملة في الأدب العربي الحديث، لكن لم تخلُ روايةٌ من رواياتي من وجود الصوت الذكوريّ بقوالب مختلفة أيضاً (الأب، العاشق، الزوج، الأخ): منذ «مريم الحكايا»، أبرزتُ مأزق الرجل اللبناني والعربي وتصدّعاته، ودور الطائفيّة في العلاقات الاجتماعيّة ونظرة النساء إلى أجسادهنّ. هذه المرّة، شعرتُ برغبةٍ أن يكون الراوي رجلاً، وموسيقيّاً تحديداً، وأعتقد أنّ فهمي للرجل ليس منفصلاً عن فهمي للمرأة وعن العلاقات الإنسانيّة في مجتمعاتنا. مثلاً، تجدني تناولتُ علاقة هذا الذكر بجسده قبل البلوغ ولحظتها، كما أردت التعبير بشكل حقيقيّ عن صراعات الإخوة الذكور في عائلة متصارعة ومتنازعة بفعل الهويّات، وفي أعماق كلّ شخصيّة. استطعتُ أن أعبّر بدقّة عن التفاصيل الصغيرة من خلال المونولوغات التي لم أرغب بأن تتجلى على شكل الريبورتاجات أو التاريخ لحقبة ما. حتّى في روايتي السابقة، قيل لي إنّك عزيت الرجل، وإنّني حين أنظرُ إليه يشعرُ كأنّني أنظر إلى داخله. كما أنّها المرّة الأولى التي أكتبُ فيها بصيغة الغائب، فجلّ رواياتي السابقة تجد فيها البطلة تتكلّم بصيغة الأنا، وبالتالي فإنّ انتقالي إلى صيغة الغائب هنا نستطيع ردّه إلى كون السارد رجلاً. إنّ فهمي للآخر يتضمّنُ اعترافاً بالرجل وقدرة على الكتابة عنه، في حين أنّ العديد من الكتّاب الذكور لا يستطيعون التعبير عن المرأة لأنّهم لا يعرفونها أو يفهمونها خارج منظومات الملكيّة أو كجسدٍ للغزو الجنسي ليس أكثر.

■ الشخصيّة الرئيسيّة غسّان، موسيقيّ يرى العالم بأذنه، وحين يضع أذنه مثلاً على رمل البحر ليسمع الموسيقى الكونية، نحن أقرب إلى صورة شعريّة. هل لكِ أن تشرحي أكثر حول المسألة؟

ـ حينما كتبت «أن تعشق الحياة»، أردتُ أن أعبّر عن شخصيّة البطل الرسّام ورؤيته للعالم من خلال علاقته بالألوان، وكذلك البطلة من خلال علاقتها بالرقص. أمّا في هذه الرواية، فلم يكن من السهل عليّ التعبير عن حساسيّة الموسيقي من خلال أذنيه: علاقته بالطبيعة، بالرمل والشجر، وبالأصوات. لقد ظلّ هذا الهاجس يسكنني لسنوات طويلة، إذ إنني أشتغلُ على ثيمة هذا العمل منذ نحو خمسة عشر عاماً، وصولاً إلى الدرجة التي تقمّصت فيها شخصيّته وبدأت أشعر أثناء مسيري بأنّ أذني تتلقّى الأشياء، فتنصتُ إلى صوت الأزهار والطيور، وكلّ عنصر في الطبيعة، واستمعتُ إلى الكثير من الموسيقى وقرأت عن الموسيقيّين، وبات إحساسي الشخصيّ ككاتبةٍ أنّني تقمّصتُ حساسيّة غسّان عبر أذنيه. لذلك، عندما نقرأ في بداية الرواية عن موهبته وهو الذي تعلّم موسيقى العود عن جدّه وكان مرهف الأذنين، أي أنّه جمع ما بين الموهبة والعلم، وجدتُ نفسي أخلقُ علاقة بين الأذنين ومختلف موجودات الطبيعة وأغرق فيها من خلال إحساسه الذي يدلّه على الأشياء، وبالتالي فإنّ أذنيه ليستا منفصلتين عن إحساسه ككل.

■ يهاجرُ البطل إلى الغرب بعد مقتل أخيه الشيوعي على يد الآخ المتطرف دينياً، ونراه يكتشف هذا الغرب من خلال الموسيقى. هل أردت تظهير الموسيقى كمادة للصراع بين الشرق والغرب؟

ـ الموسيقى عنصرٌ ورمزٌ طرحتُ من خلالهما إشكاليّة الهويّة، لأنّه ليس باستطاعتك أن تفهم شعباً ما إن لم تفهم موسيقاه، فهي تعبّر عن هويّة مجتمع وإيقاع حياته. يهاجرُ غسّان وهو كارهٌ للعود وكلّ الآلات الموسيقيّة الشرقيّة التي تربّى عليها، وكان قد تخصّص في الموسيقى في ألمانيا، وأحبّ بعض الآلات الموسيقيّة الغربيّة لأنّه لم يسمع بها من قبل. بقي غسان يعزف على العود لأنّه الطريق إلى الإحساس كما علّمه جدّه. وعند مقتل أخيه بسبب أهوال الحرب الأهليّة، هاجر إلى نيويورك باحثاً عن هويّة أخرى، وقرّر ألّا يعزف على الآلات الشرقيّة، وإنّما على الآلات الغربيّة فحسب، كردّ فعل على هويّته. غير أنّه بعدما وقع في الغيبوبة، وجد أن أوّل كلمةٍ يكتبها هي «العود»، فاستعدى الآلات الغربيّة ودخل في ردّة أصوليّة، وخاض صراعاً مع نفسه يتجلّى في نهاية الرواية حين تطنّ في أذنيه الموسيقى التي لطالما حلم بها، والمعزوفة من مزيج من الآلات الشرقيّة والغربية، وأسماها «عزيزي الإنسان». هذا التآلف، أو التناغم الإنساني على الأرض لم يتحقّق إلى الآن، فالصراع بين الشرق والغرب لا يزال مفتوحاً. غير أنّ هذه الموسيقى التي طالما حلّم بتأليفها تحقّقت في لحظة خطر وقوع الطائرة.

■ الأب في الرواية رجلٌ قاسٍ، شرقيّ يضرب زوجته بالحزام، ولا شيء يليّنه سوى الموسيقى، تحديداً عند سماعه أمّ كلثوم. هل تعمّدتِ إظهار الأب الشرقيّ بهذه الصورة؟

ـ لا لم أتعمّد ذلك، بل هي صورةٌ عموميّة حول شخصيّة الأب المستبدّ الذي كان منتمياً إلى الناصريّة فقط من خلال الأغاني، من خلال الثقافة آنذاك والموسيقى، وشخصيّة عبد الناصر وما إلى ذلك، وهو ينتمي إلى هذا الجيل، لكنّه مستبدٌّ داخل البيت، يضرب زوجته خوفاً من أن تخونه، في الوقت الذي يأتي فيه برفقة عشيقته إلى البيت. هذا الأب، أو «السي السيّد» يختلفُ عن ذاك الذي نعثر عليه نجيب محفوظ في تناقض سلوكه داخل البيت وخارجه. الأب هنا ينتهك حرمة البيت، ناهيك بعبثيته، تحديداً في المشهد الذي ذهب فيه ليخطب لابنه عشيقته هو، وهو ما رفضه أهل البلدة لأنّه لا يجوز في الإسلام أن يتزوّج الابن من عشيقة الأب. كما أنّه أطلق النار على الحلواني سمير ظنّاً منه بأنّ زوجته تخونه معه.

■ كيف صوّرت الأنوثة المنقوصة للأم المعنّفة في الرواية؟

ـ لم تخن الأم زوجها البتّة، بل كانت تدخل بيت الجار من أجل الحلوى، رغم إيمانها التام بأنّه لا يجوزُ لها دخول بيت أرملٍ يسكنُ وحده: تفعل ذلك فقط لتتذكّر أنّها أنثى، ومن ثمّ تخرج من دون أن ينتبه أحدٌ لذلك. هذه هي الأنوثة التي محاها زوجها منها ومن ثمّ محتها الأمومة، فهي تصف أمومتها حين يطلبُ منها أبناؤها الذكور المعقّة والشوكة، فتتحدّث عن شعورها بأنّها شوكة، غشالة، أي أنّها تشيّأت ولم تشعر يوماً بأنّها أنثى. هنا تكمن أهميّة إعلائي لصوت هذه المرأة المعنّفة التي، في أدب الذكور، لا نعرف الظلم عليه دائماً من الرجل؟ ما الذي فعله داعش سوى انتهاك أجساد النساء؟ هذا المفهوم القائم على انتهاك جسد المرأة، شرقيّةً كانت أم غربيّة، أنبذه على الدوام. غير أنّ هاجس الفحولة الجنسيّة التي ظنّ البطل أنّها تخلّص منها باكراً وكرهها في أبيه، عاد وارتكبها مع رولا، زوجته اللبنانيّة، فقد قهرها وشعر بالفحولة معها حين عاملته كأنّه هارون الرشيد وتلذّذ بذلك، غير أنّ كلّ هذا لم ياسره. صحيحٌ أنّه خاض هذه التجربة لكنّه بقي يعيش مع كيرستين لأنّه يحبّها، وزواجه من رولا كان ـ غسّان، شأنه شأن العديد من الذكور، نهل من ثقافة الفصل بين الحبّ الروحانيّ والحب الجسدي، وهي باتت ثقافة اجتماعيّة في مجتمعاتنا الذكوريّة، وقد حاولتُ التعبير عن كيفيّة اكتشافه لأجساد النساء خلال صباه وتلصّصه على أجسادهن، وكذلك تصوّراته الدائرة حول كلّ واحدةٍ منهن. كانت صديقته في المدرسة حبّه «الروحانيّ»، فرغم سفره، ورغم عشقه للأميركية كيرستين التي تكبره بخمسة عشر عاماً، بقيت الصورة المتخيّلة لنور تراوده ولم يعمل على تغييرها، كما أنّه تعلّم معنى جسد المرأة من خلال حبيبته السابقة في ألمانيا. لم يحدث أن أقام غسّان علاقةً مع امرأة عربيّة، وهذا ما بقي غامضاً ومثيراً لأسئلته كأنّه لغزٌ يريد اكتشافه. لذلك حينما تحدّث كثيرون من الكتّاب العرب حول المرأة الغربيّة، حاولوا إمّا إخضاعها في الفراش كردّة فعل على الاستعمار وعقدة التفوّق الثقافي، وإمّا استحضار جسدها الثقافي، وإمّا استحضار جسدها وثقافتها من هذا تعوّدت جعل كيرستين أكبر منه سنّاً ولم أدخل في تفاصيل حول شكلها وجسدها، وركّزت على إنسانيتها في تمثيلها للآخر. إنّ مأزق علاقته بكيرستين يتجسّد في إخفائه عنها زواجه من امرأة لبنانية، كما أنّ كريستين تمثّل الهويّة الأميركيّة، ولكن إيماناً منّي بالتكامل الإنساني في العالم، جعلتها تهوى الشرق، فيما هو هاربٌ من الشرق، وعاشقةٌ للتصوّف ومدرّسةً له في إحدى الجامعات الأميركيّة. حين عانى غسّان الضعف الجنسي مع كيرستين في الفراش للمرة الأولى، حاول أن يشعر بأنّه بطل رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» لمصطفى سعيد، لكنّه بعد ذلك كره نفسه وقال إنّ علاقته بها علاقة إنسانيّة، ومع ذلك بقي يشعرُ بالضعف أمامها لأنّها تمثّل الثقافة المنتصرة بالنسبة إليه، وكثيرون يشعرون بالضعف أمام الثقافة المنتصرة.

■ هل يبدو غسان أكثر انسجاماً مع نفسه في علاقته مع المرأة العربية؟ أم أن العلاقة إشكالية هي الأخرى؟

ـ لماذا يجب على جسد المرأة، في حال كانت شرقيّة أو غربية، أن يقع الظلم عليه دائماً من الرجل؟ ما الذي فعله داعش سوى انتهاك أجساد النساء؟ هذا المفهوم القائم على انتهاك جسد المرأة، شرقيّةً كانت أم غربيّة، أنبذه على الدوام. غير أنّ هاجس الفحولة الجنسيّة التي ظنّ البطل أنّها تخلّص منها باكراً وكرهها في أبيه، عاد وارتكبها مع رولا، زوجته اللبنانيّة، فقد قهرها وشعر بالفحولة معها حين عاملته كأنّه هارون الرشيد وتلذّذ بذلك، غير أنّ كلّ هذا لم ياسره. صحيحٌ أنّه خاض هذه التجربة لكنّه بقي يعيش مع كيرستين لأنّه يحبّها، وزواجه من رولا كان لحظة ضعف أمام ذكرياته وأرضه وبلده وشبابها، لحظة ضعفٍ بحثاً عن تاريخه وذاكرته. ثمّ عبر الصراع بين حبّه لكيرستين وحبّه لرولا، حاولت أن أعبّر عن اختلاف هذه العلاقة تبعاً لثقافة المجتمع والدين والقوانين وغيرها. ليس هناك علاقة بين امرأة ورجل لا تتحكّم فيها المفاهيم الاجتماعيّة، على اختلاف الخصوصيّات بين المجتمعات. كانت رولا على دراية بزواجه من كيرستين، فيما الأخيرة تجهل زواجه برولا، ومع ذلك قبلت به: في لحظةٍ من اللحظات، يتساءل لماذا لم تقل له إنّه قد كذب عليها بشأن رولا، ولماذا لم تنتزع حرّيتها منه، وهنا نجده يحمّل المرأة العربيّة بعض المسؤوليّة حيال ما يفرض عليها من القبول والإنصياع.

■ ثمّة شخصيّةٌ ملتبسةٌ في جندريّتها وهي شخصيّة سليم شقيق غسّان، ما الذي أردت قوله عبر هذا الالتباس؟

ـ من منطلق طرحي لمشكلة الهويّة عموماً، وجدتُ نفسي منقادةً بشكلٍ لا إراديّ نحو الهويّة الجندريّة، بحيث إنّ الرواية طاولت أيضاً مأزق هويّة الجسد، إذ لم يكن سليم يعرف طوال الوقت هويته الجندرية، ما سبّب له هاجساً مستمراً، وبالتالي هذا جزء من إشكاليّة الهويّة التي طرحتها. غير أنّ سليم، ولأنه بات مرفوضاً اجتماعياً حين أدرك مثليّته، ردّ على هذا الرفض برفضٍ مماثل.

■ في الرواية تصويرٌ للفسيفساء المُضعضعة للبيئة اللبنانيّة، كما في قصة الحب التي جمعت الجدّة بالجار المسيحي من دون أن تتمكّن من الزواج منه، وكذلك رفض عفيف لجيرانه المسيحيّين. هل السياسة والديانة مجالان لا يمكن تجنيهما في الرواية اللبنانية خاصة؟

ـ سبق أن أكدتُ أنّه لم يسبق لي أن قمت بتوجيه رسالةٍ مباشرة بحكم اشتغالي في حقل الأدب والفن، حيث تتزاوج قضايا كثيرة. حين تكون للأدب علاقة بالحياة، دائماً ما أحاول أن أكون حقيقيّة، ولم أكتب يوماً بداعي تجميل مجتمعاتنا، فالكتابة عندي مواجهة وكشف وأسئلة، ولا شكّ في أنّ كثيرين في مجتمعنا تتحكّم بهم النزعات العنصريّة والمفاهيم المغلوطة حول الدين، بحيث إنّنا نتّبع الأساطير أكثر ممّا نتّبع الأديان. لذلك، لم تكن هذه المسألة مطروحةً قبل الحرب أو مكشوفة، بحيث كان المجتمع مستقرّاً ولم نكن ننظرُ إلى علاقاتنا نظرةً طائفيّة. لكن خلال الحرب، ومع تفجّر الأصوليّات، تجلّت هذه الهويّات الضيّقة المريضة، وأنا أجاهرُ بما يجبُ أن يُحكى. لئن أراد الأدب أن يوجّه رسالةً معيّنة، فعليه أن يترك أثراً لدى القارئ حين يتماهى بالشخصيّات، ونكتشف أمراضنا ومآزقنا وعللنا وأسئلتنا، وبهذا المعنى يحفر الأدب عميقاً في الوعي الفنّي والإنساني.

علوية صبح: منطلقي في «مريم الحكايا» كان البيئة الجنوبيّة، لكنّ صنع الله إبراهيم قال بأنها «تعكس حياة وواقع الأمة العربية على امتداد خمسين عاما» (مروان طحطح ـ أرشيف)

نص

خمسة وسبعون عاماً على النكبة

خالد عيسى *

صباح الخير يا عدوي!
وأنت تشرب قهوتك هذا الصباح في بيت جدّي في يافا، وتبكي على جدّك في وارسو في ذكرى المحرقة، هل تصدّق أنني أبكي عليه أنا أيضاً، وأنا أشرب قهوتي بعيداً عن يافا في مدينة اسكندنافية جنوب السويد!
أبكي مثلك على المحرقة، التي نحن أول من اكتوى بنارها وما نزال نُحرق كل يوم من أجل محرقتك!
بعد قليل سيطلق زامور الحداد في بلادي التي اغتصبها أولاد جدّك، وستقف على شرفة بيت جدي وتذرف الدموع على جدّك!
وأنا سأقف على شباك غرفتي، وأذرف الدموع على جدّك المحروق الذي أحرق قلب جدي الذي مات في مخيم للاجئين حنيناً ليافا!
هل أعجبك بيت جدّي يا عدوي؟! ما رأيك بذوق جدّي الذي بنى بيته على الطراز العثماني! هل تعرف جدّي يا عدوي؟
والدك يعرفه، هو من قلع صورته عن جدار الصالون الفسيح الذي تجلس فيه الآن، وعلّق صورة جدّك ضحية المحرقة في وارسو!
دعنا يا عدوي نبكي على جدّك وجدّي في ذكرى المحرقة!

عن موقع «المتحف الفلسطيني»

تريد أن تبكي على جدّك فقط! أنت حر...
جدّي لم يحرق جدّك، لماذا أحرقت جدّي يا عدوي؟!
هل تعرف دير ياسين يا عدوي؟ لم تكن قد ولدت بعد، والدك الهارب من بطش النازية من بولونيا يعرفها، هو من أضرم النار في بيوتها، وأحرق سكانها العزّل! وفي اليوم التالي بكى أمام كاميرات وسائل الإعلام على الهولوكوست!
لا تغضب يا عدوي، لن أزيد أحزانك اليوم، وأنت تقف حداداً على ضحايا المحرقة! وزمورك يقرع في بلادي وأنت تشرب قهوتك في بيت جدّي وتبكي على جدّك!
هل تحب يافا أم تل أبيب يا عدوي؟
هل تعرف سعيد أبو العافية يا عدوي؟!
هل تغضب إن قلت لك إن سعيد أبو العافية موجود قبل أن توجد تل أبيب!
لا تشتم يا عدوي! لا يليق بمتحضّر مثلك شتم «الغوييم».
وأنت ضحية عنصرية النازية!
بماذا تختلف يا عدوي عن نازية هتلر، وأنت تصف غير اليهود بالغوييم؟!
لا تتحسّس سلاحك يا عدوي، ولا تستدع جنود الاحتياط إن لم تعترف شتلة مريمية في الجليل بيهودية الدولة!
بماذا تختلف يهودية الدولة عن العرق الآري في نازية هتلر يا عدوي؟!
لا تطلق النار عليّ يا عدوي، أنت ضحية، والضحية لا تقتل!
أنا لم أحرق جدّك في «أوشفيتز» لتحرق أطفالي في غزة!
قل لي يا عدوي بماذا يختلف أدولف إيخمان النازي عن أرييل شارون؟!
لا تشتمني يا عدوي في ذكرى المحرقة التي ما نزال نحن نكتوي بنارها، وأنت تأكل البوظة في «فيكتوري» في يافا وتضرم النار في محرقتنا التي لا تنتهي منذ 70 عاماً!

* يافا/ السويد

مقتطفات

تعالوا نشتري مَقبرة (*)

محمود خيرالله

1- تعالوا نشتري مقبرةً واسعة

لكي ندفنَ فيها هزائمَنا
الثوراتِ التي تركناها مُعلقة
على الجدران مع الأموات
فجفّفها الحنينُ إلى الثمار،
القبلاتِ التي اشتهيناها
لكننا لم نتذوّق طعمها أبداً،
الغاباتِ التي حلمنا بها لكننا لم نزرْها.

تعالوا نشتري مقبرةً
لندفنَ فيها البيوتَ الثمينةَ
التي لم نستأجرها،
والقطاراتِ السريعة التي لم نستقلّها،
السفنَ التي لم نعبرْ . على متنِها . أيّ مُحيط،
والغرفَ الفاخرةَ التي لن نسكن فيها،
والبالكوناتِ
خصوصاً تلك التي لم نعرف طلّتها أبداً
البالكوناتِ الواسعة جداً
من طول بقائها أمام البحر.

تعالوا نشتري مقبرة
للأطفال الذين لم نُنجبهم،
ولن نمدّ أذرعَنا يوماً لنُنقذهم،
للابتساماتِ التي جمّدت وجوهَنا،
ولم تعُد إلينا ودا وحنانا،
إلى اليوم،
للطائراتِ التي عبرت سماواتنا دوماً
. وربما أيقظنا هديرُها من النوم.
الطائراتِ التي لم نتمكّن
. مرةً واحدةً
من العبورِ بها
إلى بلدانٍ بَعيدةٍ وسَعيدة.

تعالوا نشتري مقبرة واسعةً جداً
ربما تتّسعُ لكلِ ما فقدناه في الطريق
مقبرةً لا تتمدد في نهاياتِ المدن
مثل تلويحةٍ أبديةٍ للوداع،
بل منامةً أحزانٍ هائلة،
تتسع لكل الفرص الثمينة
التي أفلتت من بين أيدينا،
ولن نستطيعَ تعويضَها أبداً بعد ذلك
تتسعُ لكل هذه المهنَ التي لم نعملْ فيها
والنقاباتِ التي لم يكن لنا فيها
أيّ تاريخٍ من النّضال.

2- بعدما اموتُ

لا أريدُ
بعد أن أموتَ
أن أتحوّلَ إلى «مانيكانٍ عجوز»
يقفُ وحيداً وراء الزجاج
كشبحٍ محشوّ بالقطن
خرج لتوّه من الخدمة،
ليُمثّل دورَه الأخير
في ذلك الفراغ الملوّن
الذي تملأه البالونات.

لا أريدُ
بعد أن أموتَ
أن أصبحَ «ساعةَ حائط»،
تنامُ في مكانها عُمُراً كاملاً
من أجل أن تُحصي النّدم،
مع كل تكّة تمرّ من العُمر،
لدرجةٍ أنها
قد ترى اللصوصَ يدخلون خائفين،
ولا تستطيع
. حتّى.
أن تهشّمهم.

لا أريدُ أن أكونَ
نافذةً واسعة
وسط المقابر،
حين أشرب ارتوي من دموع الحزانى
وحين أجوع
لا أكل إلا من خُبز «الأرواح».
...
إن كان ولا بد
أن أكون شيئاً
بعد أن أموت،
أتمنى أن أصبحَ عصفوراً نيلياً
صغيراً،
يبني بيتاً هشّاً
فوق الشجرة العتيقة،
التي تُلقي برأسها في النهر،
لأرى
. حتى وأنا أموت.
آخرَ قطرةِ ماء
أرسلتها العنايةُ الإلهية
وهي تذوبُ
عائدةً
إلى أمّها الأرض.

3- مثل حفنةٍ من الغبار

قريباً
سوف يحملنا الهواء
. مثل حفنة من الغبار
إلى بعيد.

أخشى ما أخشاه
أن يزدادَ طولاً
ذلك الصف
. الطويل جداً
من الدموع
التي
لم
أذرفها
بَعد.

لا أحب أن أكون من هؤلاء
الذين يملكون البيوت،
بينما تلمع المفاتيح
. كالكلاب الوفيّة
في أياديهم.

أنا
. والحمد لله
من هذه الطيور الشقية،
التي تحملُ أعشاشَها
. بين فكّيها
وتمضي.

العمرُ الطويلُ لك،
هكذا يقولُ الناس،
لكن لا أحد يستطيع أن يفهم
كيف ابيضّ شاربك من هول الكذب،
ومنذ متى وهو هكذا..
سحابةٌ بيضاء لا تُمطر إلا في فَمك.

هذه ليستْ نجمةً
عالقةً في سماء الله المظلمة،
هذه دمعةٌ فضية
علّقها الحنينُ
في ذيلِ القمر.

أحياناً
أخبّئُ الأيامَ في الكتب،
ثم أدفنها تماماً في الأحلام،
كجملةٍ فعليّة مرّت
. بالخطأ
أمام حادثٍ عظيم.

***

طويلٌ
وصدئ.
مثل مفاتيح البيوت القديمة،
هذا الغمر الذي أحمله على ظهري.

* مختارات من ديوان الشاعر المصري «بَشَرٌ بأحجام دقيقة يكبرون في تجاعيدي» (منشورات المتوسط)

روبي دواي انطونو ــ «جنّاز» (قلم رصاص وزيت على كرتون ــ 22.9 × 38.1 سنتم ــ 2020)

قصائد

أمام هذا السِّيرك الكبير

كازوهيرو هوري ــ «انتحار» (اكريليك على كانفاس ــ 30 × 30 سنتم ــ 2022)

رامة وهبة *

(1)

ما الذي تريد قوله أيُّها الشّتاء
بكل تلك الأبخرة التي ترتفع من
أسفلت الشّوارع
من جدران سئمت الوقوف الطّويل
وضجيج الهباء من عوادم السّيارات
المسرعة؟
قرات مرّة أنّ لغتك تتقصّف على
أطراف الغابات السّوداء
أنّ عريك ذاكرة النّوافير والحجر
وأنّ زمنك يبدأ من قفزة البجع عن
دوائر الموسيقى
ويُخيّل إليّ أنّني رأيت أحلامك
مطويّة بعمق
على سطوح القرميد المبلّلة

■■■

فكّرت مرّة
أنّك لا تجيء إلا عبر النّار
التي تكون في فقد يد لأخرى
ويراكمها الصّمت الذي يحوّل كلّ
جناح ميّت إلى أغنية

■■■

مهمل
في الزّوايا حيث يبول المشرّدون
بكسور متفحّمة
مهمل
في الزّبد الذي لا شكل له سوى
النّهايات
مهمل
كما يغيب الصّوت في تربة حمراء
مهمل
من الحبّ والموت والحقيقة والأشجار
والقلب الذي لا يعرف متى وأين
مهمل
وعيناك غائرتان في الجوع إلى
طيور أخرى

■■■

ربّما لست إلّا قلق النّهار
نظرتنا التي تتخثّر في صدأ
الأجراس
أصواتنا المتقطّعة عبر السّكك
وأغصانها الحديديّة
كؤوسنا التي نقرعها برؤوس الآلهة
والشّياطين
أصابعنا المهيّأة للرّماد
وقولك:
«الغراب
مهما ارتفع
يرى في العالم جثّة»

■■■

الشّتاء
رسّام يتشهّى في لوحاته رغبات
تنزف

■■■

الشّتاء
عناد السّكين للالتفات إلى حرائقنا

■■■

الشّتاء
طفل يقدر أن يضحك بغلٍّ مهشّم

■■■

الشّتاء
هو المنفيّ من أجل الارتماء في حقول
غير مسيّجة

■■■

الشّتاء
قلبك الذي يحملني في القسوة
ويشتعل

■■■

الشّتاء
ثمرات أحلام تتآكل ابتعادها

■■■

الشّتاء
تلك العرّافة التي بسطت على كفّي
خطواتك في الثّلج

■■■

الشّتاء
جسد حين نقول: لا يموت شيء إن
أحببنا

■■■

الشّتاء
بيوت مفتوحة كما تنفصل الأشياء
من أجل راحة الوقت

■■■

الشّتاء
هو الرّوح التي تُفتّت بذرتها
الشّمسية في العزلة

(2)

هذا الصّباح
خرجت ممتلئة بالفوضى
ولأجد توازناً بين ما أفكّر فيه وما
أرى
أدندن لحناً مشطوراً إلى نصفين
أحدهما مشرّد
تتحكم أعضاؤه بذاكرتي
لأحرّر من أجله كلمة بيضاء
ويتمكّن من السّير وحيداً بلا مأوى
والآخر يتّكئ على الأشجار
يصفها «بالعمى المكتمل» و«الصّمت
الذي يرفرف»
ثم يجلس متأمّلاً ما يتساقط منها
وما يذوي خفيفاً على الأغصان
ولأنني لست في مزاج لقبول سمائك
الطّوباوية
توقفت في منتصف الطّريق
ورأيت كيف أنّني حين أكرّر كلمة
«موت»
يتعاظم بوضوح ذلك الاستهتار
الشّائع بين وجوه العابرين

■■■

سواء كنتُ أمام نافذة
أو أستمع إلى جبال البرونز في
الرّيف الأميركي
لا أميز بين أغاني الزّعاة وشمس
منتصف النّهار
كما لا أفرق بين صوت إيفا كاسيدي
الذي أحببتُ
ووشم طيور جعلته على رسغي
الأيسر
لا أرى حدّاً بين نهاية هذا الصّيف
وأطراف الكتب القديمة
وكلّ ما حاولت أن أبدّده من الوقت
يعوي أمامي مجدّداً
لأتخلّص من هذا السّرود الذي
يتخبّط
بين كراسي المقهى الفارغة
وكراهيّتك لما نرتّبه من العالم
أقوم بنقرتين لاستخراج معنى كلمة
Cosmos
أذكر تجربتك الأولى في الطّيران
التي تقول إنّه «لا يكون إلّا مع امرأة»
ثمّ أكتب بأطراف أصابعي
ما لا أعرف سبباً لتذكّره الآن
والضّحك:
«العالم ليس إلّا براز ذبابة تجريدياً»

(3)

تخيّل
أن يمرّ هذا النّهار بلا عاطفة
أن نتمكّن أخيراً من رؤية الخريف
أشكالاً مجرّدة
أغصاناً منقضّة النّهايات
وأوراقاً مغمسة بأوحال الطّريق
صفراء تحت الشّفاه التي تشتم
وتحبّ وتلعن الوقت
صفراء تعلن شذوذها في الخروج
عن مسافات اللّحن بنغمة سي حادّة
صفراء لا تندم على هشاشتها
بسقوط تلقائي
حرّة لأن تموت
معافاة تماماً

■■■

تخيّل تلك الخفّة في عبور الآخرين
لا أحد يعاتب أحداً على قساوة بادية
في وجهه
أو على ثقب في منتصف الصّدر
أن نقنع أجسادنا اعتياد كتلتها التي
تجرّها عبر الأرض
دون أي أثر لكسور مذابة على أطراف
الشّفاه
أو ندوب نعرفها باللّمس
تماماً مثل رسالة مفضوضة الجهات:
«أنا ضباب يا مي»
أو عينين للانتظار:
«يبقى غريباً ذلك الذي يعرف غريباً»

■■■

لا أعرف شيئاً عن الله
الذي تقول عنه سئم من الطّاعة
أو ترسمه بخطوط سوداء متقطّعة
أشبّهها بطيور الحواف
لكنني تمكّنت من معرفة الشّتاء
ذلك الصّقيع الذي لا جذر له
رغم حضوره المؤكّد بين الشّمس
والهواء
الشّتاء يا حبيبي لا يخاف من شيء
الشّتاء هو القلب
الذي يبقّع زجاج النّوافذ

***

كل لحظة كنت أراك على الحجر
لاهثاً من التصاق اللّبلاب
مغمضاً على صلابة تنقر رأس الوقت
لا تحترق إلّا بما يسيل أو يتمزّق
تقول التّفاهات عمّا يجعل الآخرين
مسرعين إلى آلامهم
تسخر من الأشجار التي تضمن
وجودها بلا انفعال
تبصق عملة النّهار على اللّيل
ومن أجل كلمة للحبّ
تتباطأ تحت النّجوم المهملة

(4)

رأيت أناساً
يمشون
ليدفنوا وجوههم في الطّريق

■■■

رأيت رجلاً يفرغ مثانته على حائط
كما لو أنّه حرٌّ تماماً
في أن يقول: لا

■■■

رأيت امرأة تلاطف رجلاً
وتخضع كلباً بين ساقيها
في اللّحظة نفسها

■■■

رأيت مومساً
ينتهكها الجميع
حتّى إنّ أطفالها الذين أجهضوا
عمداً
دقّوا مسامير جميع المخلّصين في
عانتها

■■■

رأيت طفلةً
تُقلّب في فمها العلكة
ومن أجل اليتم والفقر واللاجدوى
تنفخ بالوناً بطعم الفريز

■■■

رأيت شاعراً
محشوراً في زاوية تملؤها رائحة
البول ونزيز النّفايات
يبحث عن كلمةٍ في الأكياس السّوداء
ثم يصفّق لنفسه
ويلقي تحيّةً طويلةً
أمام هذا السّيرك الكبير.

* سوريا

ذيل سحلية مبتور

ستيك ــ «عاشقان» (اكريليك على كانفاس ــ 110 × 60 سنتم ــ 2011)

سليمان الدريسي *

بمجرّد أن أدخل إلى مرسمي
أتحوّل إلى
بستانيّ
حينما أكون بمزاج جيّد
أفضّل أن أبقى بمفردي
وأدْخل
في نوبة بكاء طويلة
لا أمانع
في الاشتراك مع قتلة
لارتكاب جريمة قتل امرأة جميلة
شريطةَ أنْ يكون القلب
من نصيبي
ابتسم بصدق
كلّما وقعت في ورطة
أختبئ في المرآة
لأنّني أعرف مسبقاً
أنّ حبيبتي
قادمة
كلّما تهاطل المطر غزيراً
تنتابني رغبة
في نشر الغسيل
وتَنظيف
زجاج النّوافذ
لا أنقّ كثيراً
في الجدران القديمة
كلّما مررت بين اثْنين
تهامسا
بلغة
غير مفهومة

* الصويرة/ المغرب

فلسفة

حبيب فياض: دفاعاً عن الدين والفلسفة في حدودهما

حسين صفي الدين *

في كتابه «فلسفة التديّن» (دار الفارابي)، يتجاوز حبيب فياض «التَّهَافُتَيْن» وفصل المقال اللذين حكما علاقة «الفلسفة» و«علم الكلام» في العصر الوسيط، وهي علاقة لم تتخطَّ التضاد عبر المساجلات الكلامية، وكذلك محاولات التوفيق بين الحكمة والشريعة لتسويغ التفلسف. وهذا الجدل كانت له تبريراته لتداخل الفروض بين ما هو ديني وما هو فلسفي، حيث كانت «الفلسفة أُمّ العلوم» كما أطلق عليها القدماء. وعليه، فقد تقاطع النشاط الفلسفي مع مجالات المعرفة على تنوعها، ومنها الإلَهيَات، وحاولت أن تجيب عن أسئلة «اللّه» و«الكون» والحرية. وكان الفلاسفة الأوائل، منذ اليونان، محكومين بالإجابة عن هذه الأسئلة، من دون الانتباه إلى حدود إحكام العقل، وهذا ما أنشأ التداخل والتضاد بين هذين المجالين المعرفيين: «الدين» «علم الكلام»، والفلسفة.

وإذا كان هذا التعارض مبرّراً في العصر الوسيط، فما هو المبرّر لاستمراره في زماننا المعاصر، وتحديداً مع الثورة الكنطية التي نجحت من خلال فلسفة النقد ـ نقد العقل في أواخر القرن الثامن عشر ـ في إعادة بناء الفلسفة على أسس جديدة بعد مخاض طويل وعسير، لتسلُك طريق العلم التي لا تنسد أبداً. ومع هذا النقد، لم تعد الفلسفة «أمّ العلوم»، بل أضحت علماً يبدع الأفهوم Concept، ومعارفنا القبلية (القبلي بما هو كلي وضروري) أصبحت تجاوز الموضوع وتتعاطى مع موضوعاتها لا كتلميذ يسأل أستاذه، لكن كقاضٍ يستجوب متهماً.

وفي الوقت نفسه، اكتشف حقل إمكان العقل وحدوده ضمن ما يمكن أن تثبته التجربة، وهذا ما خلق التباساً لدى العاملين في هذا المجال.

فياض جعل هذا الالتباس وإزالته موضوعةً أساسية للتقدم نحو عنوانه «فلسفة التدين» ربما كفرع جديد في مساحة علم الكلام، من خلال تحديده للعقل لدى المتكلمين الذي اعتبره «مكبّلاً بنتائج مسبقة، مستمدّة من الوحي، وعليه إثباتها وليس مسموحاً له بنفيها». والمفكر الديني في هذه الحالة، يضع النتائج المستمدّة سلفاً من النص الديني ثم يقوم بالبحث عن المقدمات المنطقية المفضية إليها. فهو يعلم أولاً، ثم يستدل على ما يعلمه كنوع من إضفاء العقلانية أو الحجاج لإقناع الآخر وإفحامه.

وهو هذا العقل ـ بحسب فياض ـ استخدم المنطق للاستدلال على صحة ما يقوله الوحي، وليس لإنتاج معرفة على غرار العقل الفلسفي ويقول: «هنا نحن أمام منهج نقلي وحياني».

أما الفيلسوف، فهو ينطلق في بحثه الفلسفي من مقدّمات منطقية تعود في نهاية أمرها إلى المسلّمات والبديهيات العقلية، فتفضي إلى التسلسل المنطقي، وهو مستعدّ لقبول النتائج من دون إخضاعها للمعايير النقلية أو التعاليم الوجدانية.

وفي تحديده لوظيفة العقل في هذين المجالين الكلامي والفلسفي، يؤسّس فياض لعلاقة جديدة بين الاثنين خارج التضاد الذي اعترى هذه العلاقة في العصر العباسي وحتى يومنا هذا لتداخل الفروض بين ما هو ديني وما هو فلسفي. ويضيف فياض أنّ التعارض بين الوحي والعقل في حال وجوده، إما أن ينشأ من التباس في فهم الوحي، وإما عن سوء استخدام العقل. ويقول: «لا مكان للحديث عن تعارض في حال كنّا أمام وحي يخلو من شوائب الفهم، وعقل محض لا يقع في فخ المغالطات والشبهات».

بحسب فياض، هذه الشرطية في تفكيك موضوع التعارض تحمل في متنها الإجابة، فيكون التعارض لديه ناشئاً عن عدم القدرة على الفهم - فهم النص الوحياني- وإما إعمال العقل المحض بموضوعات خارج حدوده وهي موضوع الله والكون الذي يوقع حكماً في المغالطة. وإذا كان الفكر الديني محكوماً بموضوعات لا تقع ضمن حدود العقل وإمكاناته، فإن التناقض في هذه الحالة حتمي وذاتي.

في بحثه هذا، يميّز فياض بين مجالين معرفيين ضمن نقاشه العلاقة بين الفلسفة والفكر الديني؛ فهناك «فلسفة الدين» بما هو التفكير الفلسفي حول الدين، لا التعاليم الفلسفية التي ينطوي عليها. ويعتبر أن الأفكار الدينية مجرد تعاليم نظرية، لم تشكّل يوماً حافزاً كافياً لاستنفار العقل الفلسفي إزاء الوضع الديني. وفي استعراضه لعلاقة الفلسفة الحديثة بالدين بشكل عميق وموضوعي متميز في إطار الإثبات والنفي والسلب والإيجاب، والدحض والتثبيت، والنقد والنقض، والهدم والبناء، والتأييد والتشكيك، يستخدم ثقافته الدينية ودراسته الفلسفية في مسار الدفاع عن الدين والفلسفة في حدودهما، من خلال عملية نقد، وكذلك في نقاش عميق لأزمة الفكر الديني، فيعلن ثورةً في المنهج. هو يرى أن علم الكلام بقي أسير المنطق الأرسطي عبر قرون، ويعدد آليات قصور المنهج القائم، وهي الانفعال في التحليل والاستنتاج والاستنباط في ظل المعارك بين شبهات تستوجب الإبطال، وإثبات الحقانية حيث يتحول هذا الانفعال النظري في الفهم، إلى انفعال عملي في الأداء.

من خلال هذا النقد، يحاول فيّاض تشريع وفادة معارف خارجية إلى المعرفة الدينية تستوطن فيها، فتتحول من كونها منهجية خارجية إلى كونها معرفية داخلية، من قبيل المنطق، وعلوم اللغة والبلاغة، والبيان، والاجتماع، والتاريخ، والدلالة، والنفس وإضافة إلى بعض مبادئ الفلسفة. ويرى أن تأسيس فلسفة الفقه ضروري للالتفاف على تاريخانية الفهم الديني من حيث قدرته على التمييز بين ما هو ثابت وما هو متحول في النص الوحياني، وما هو تشريعي وإلهي، وما هو تدبيري بشري على صعيد المتعلقات والسيرة.

وما يطلبه فياض هو هدفه الإتيان «بالتجربة الماضوية إلى الحاضر وفق ظروف الحاضر، لا إرجاع الحاضر إلى الماضي وإخضاعه لتجربته». وكذلك، يدعو إلى أن تؤكد التجربة التجديدية في علم الكلام ضرورتها في تحويل العنصر التاريخي في العقيدة إلى عنصر تاريخي على قاعدة تبيئة التعاليم العقائدية، بما يتناسب مع تحولات الذهن واللغة والتفكير لدى مخاطبي الوحي.

هذه الثورة المنهجية ضرورة عند فياض تدفعه إليها آليات قصور المنهج الكلامي القائم. وتالياً، وللخروج من أزمته هذه، عليه أن ينفتح على علوم جديدة كنظريات فلسفة اللغة عند شلايماخر، وتفسيرية المعرفة عند دلتاي، والبنيوية عند دو سوسير، وتحويلية النحو عند تشومسكي، وهيرمينوطيقا اللغة والوجود عند غادامير، كون «الوحي قبل كلّ شيء حقيقة لغوية، وفهمه لغوياً متوقّف على كل ما يترتب عنه» وفق فياض.

ينطلق المؤلف إلى المنهج منتقداً مَن يظن أنّ صناعة المنهج في فهم الوحي شأن وحياني، لأنّ هذا الاعتقاد يجعل المنهج غير المقدّس في مقام المضمون المقدّس. ويدعو إلى أن يكون المنهج مجرد شأن تفكيري يرتبط بأنحاء التفكير. ويقبل التبدل والنقد والمراجعة والتعديل لأنّ محاولة التماهي بين النص الديني بما هو مقدس، والمنهج بما هو بشري من شأنه منْع مراجعة المنهج ونقده لاحتسابه مقدّساً في ما هو أمر خارجي متغيّر وبشري.

وهنا يشير فياض إلى أماكن الخلل في علم الكلام وحصره في كونه عاش أسير المنطق الأرسطي ولم يَنْفَتِحْ إلى علوم أخرى، وفي هذا تغييب الأزمة الحقيقية لعلم الكلام. المشكلة تكمن في ظروف نشأته ووجهته، وهو اقتصر على نصرة الآراء والأفعال التي صرّح بها واضع الملّة وتزييف ما خالفها بالأقاويل بما هي الحجج أو القياسات المنطقية، واستخدمت المنطق انتقائيّاً في خدمة هذه المهمة، معتبرة أنّ استخدام المنطق يعطي الصدق لأقوالهم من دون الانتباه إلى أن المنطق الأرسطي أنشأ قواعد صحيحة للحكم بمَعزِل عن النتائج. وعليه، فليس كلّ ما هو منطقي صحيحاً. هنا المشكلة ليست في الأداة، وإنما في المعارف نفسها وأسئلتها، وموضوعاتها (موضوعات العقل الديني) التي ـ بحسب فياض ـ ينطلق فيها هذا العقل من مسلّمات، مكبّلاً بنتائج مسبقة مستمدّة من الوحي، وهو يعلم أولاً ثم يستدل على ما يعلمه كنوع من إضفاء العقلانية. وإذا كان هذا هكذا، فأين مسؤولية القواعد المنطقية في هذا «الشطح» والحجاج؟ وعليه، فإن تناقض العقل الديني هو تناقض مع نفسه، وليس مع المنطق أو مع الفلسفة كعلم. أمّا في موضوع المنهج، فيعتبر فياض أن المنهج شأن بشري لا بد من نزع القداسة عنه، ولكن وفي هذه الحالة لكي يبقى المنهج قابلاً للنقد والمراجعة. لكن ماذا يضمن ألّا يكون مصير هذا المنهج كمصير المنهج الشّكّي عند الغزالي، الذي أطلقه الأخير من عوالمه الفلسفية العقلية، والمنطقية في تجديد الفكر الديني لإنشاء منهج جديد لمواجهة التقليد والقصور لدرك الحق على تقليد إمام؟ هذا المنهج أعطى الغزالي الجرأة في الارتفاع عن حضيض التقليد والاستفسار ورسم طريقة نحو اليقين، من خلال عدم الثقة بأيّ معرفة من دون وجود دليل، فيقول: «لم أشكّ في معرفتي إذا شاهدت بعيني بوجود دليل... ونضيف في «المنقذ» أنّ كل ما أعلمه على الوجه اليقيني ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب». واليقيني هو عقلي بالضرورة باعتبار أن الأحاسيس مشوّشة، لكن هذا المنهج الشّكّي نفسه على أهميته وتأسيسه للفكر العقلاني، اصطدم بواقع النص المقدس، فتحوّل في واقع الأمر إلى رياضة ذهنية جدلية لا توصل إلى يقينيات بل حقيقة ثابتة وسابقة لعملية الشك أزلية وأبدية. فالشك في هذه الحالة أُعْمِلَ في غير مجاله وفي غير مساحته، لأن الشك في جوهره ينطلق من دون مسلّمات.

وهذا المنهج، وبعد قرون سبعة، أخذه ديكارت وأطلقه من سجنه في بيئته الجديدة منطلقاً ممّا قدّمه الغزالي: أدرك بعقلي ما كنت أحسب أنني أراه بعيني، يجب أن أشك في كل شيء، يجب أن أُعَلِّق كل معارفي. والشك يجب أن يضع نهاية لكل وجوده، والأنا المفكرة تعطي الأشياء مدلولاتها. والأجساد نفسها لا تُعْرَفُ حقاً بالحواس أو بقوة المخيّلة وإنما بالإدراك وحده.

الغزالي الذي خرج من عباءة الفلسفة المشائية – العقلانية - التي تمثلت في «فرقة المعتزلة» ثم ارتدّ عليها وحاربها وأعلن تهافتها، وفي النتيجة حصار الفلسفة، لم يقدم لنا استمرارية لعلم الكلام، ولم يحقق الحداثة التي ابتغاها، لكنه مهّد الطريق لأهل الحديث. وبدل أن يُحْدِثَ خرقاً في العلاقة مع أهل الحديث، دفع غالبية فرقهم إلى اعتباره مبتدعاً كبيراً لاحتواء بعض أعماله مذاهب فلسفية، ونزعات غامضة ورموز مذاهب تخالف الدين في جوهره. ولم يشفع للغزالي تأسيس التصوف السُّني العملي، ولا اعتباره عقيدة أهل الحديث هي العقيدة الناجية في الإسلام.

واعتقد أنّ تأثير علم الكلام في العصر الوسيط، كان أحادي الوجهة، إذ نجح في التنظير لحرب دائمة ضد الفلسفة، مستخدماً الأدوات العقلانية الفلسفية. وهذا التهفيت للفلسفة العقلية جاء يمهّد الطريق لهيمنة أهل الحديث الذين بدورهم دعموا ورسموا نهاية لعلم الكلام، وأحكموا قبضتهم على الفكر الديني والوعي الجمعي عند المسلمين وهم الذين أنكروا إمكانية العقل البشري تناول المسائل الإلهية، بخاصة «القرآن»، لأن الأخيرة أرفع مرتبة من العقل كونها مأخوذة من «وحي إلهي». وهذا الوحي، بحسب رأيهم، يفيد الإنسان ما شأنه ألّا يدركه بعقله، وما يَخورُ عقله عنه، وإلا لم تكن للوحي أو النبوءة حاجة قط. وسبيل هؤلاء إلى نصرة آرائهم هو الرجوع إلى المعجزات التي تظهر على يدي صاحب التشريع وشهادات من تقدّم قبله من الصادقين. وفي هذه الحالة، تزول الحاجة إلى النظر أو الرؤية في تصحيح هذه الآراء. وإذا وجدوا شيئاً منها، عمدوا إلى التأويل، وإذا تعذّر، اكتفوا بتزييف الأقوال المناقضة.

وفي المحصّلة، المشكلة لا تزال قائمة منذ قرون ليس بين «الحكمة والشريعة» بحسب ابن رشد، وإنما توسّعت المشكلة لتشمل علاقة علم الكلام وعلم الحديث. وهنا لا بد من طرح سؤالٍ إضافي وهو جواز التعاطي مع النصّ الديني من موقع إعادة تكوينه على أسس عقلية، وهو القائم على الإيمان بالله واليوم الآخر والغيب، ومنظومة أخلاقية، ولماذا يكون هذا النص موضوعاً للتفلسف؟

إن فلسفة التدين «مع تحفظي على استخدام مصطلح فلسفة» تحمل باعتقادي مذهباً تأسيسياً لإصلاح ديني عميق طال انتظاره بعد مخاضات ومحاولات جزئية عبر التاريخ الإسلامي.

إن التدين بما هو ممارسة عملية أخلاقية توازي الممارسات العبادية، وفياض يناقش علاقة الدين بالتدين والمتدين والواقع، معتبراً أن الواقع ليس مساحة مستقرّة يصح التعاطي معها تديّنياً بنمطية صلبة ومسبغة، وهي ليست ظرفية ولا ثابتة بتحول الشروط المجتمعية التاريخية والمعرفية بما هي وعي في حركة تطور دائمة وبحث معمّق. ويتمحور جهد فياض في دعوته من خلال هذا الجهد المبذول في صياغة «فلسفة التدين»، إلى تشميل الفعل التديّني وجعله انعكاساً لشتى أنواع التعاليم الدينية وتحويل المسألة الاعتقادية من مسألة ذهنية ونفسية إلى مسألة التزامية تطبيقية، في شقّيها التعبدي والقيمي، حيث يجد خللاً في الشروط التصعيبية التي يتم وضعها كمعايير لانتماء الناس إلى الدين وخلاصهم به، ويدعو إلى الانتقال من فهم الدين إلى تطبيقاته من خلال تأصيل منظومة الكلام، الفقه والقيم وتجديدها بما يتلاءم مع شمولية النص واحتياجات الواقع.

* باحث في الفلسفة

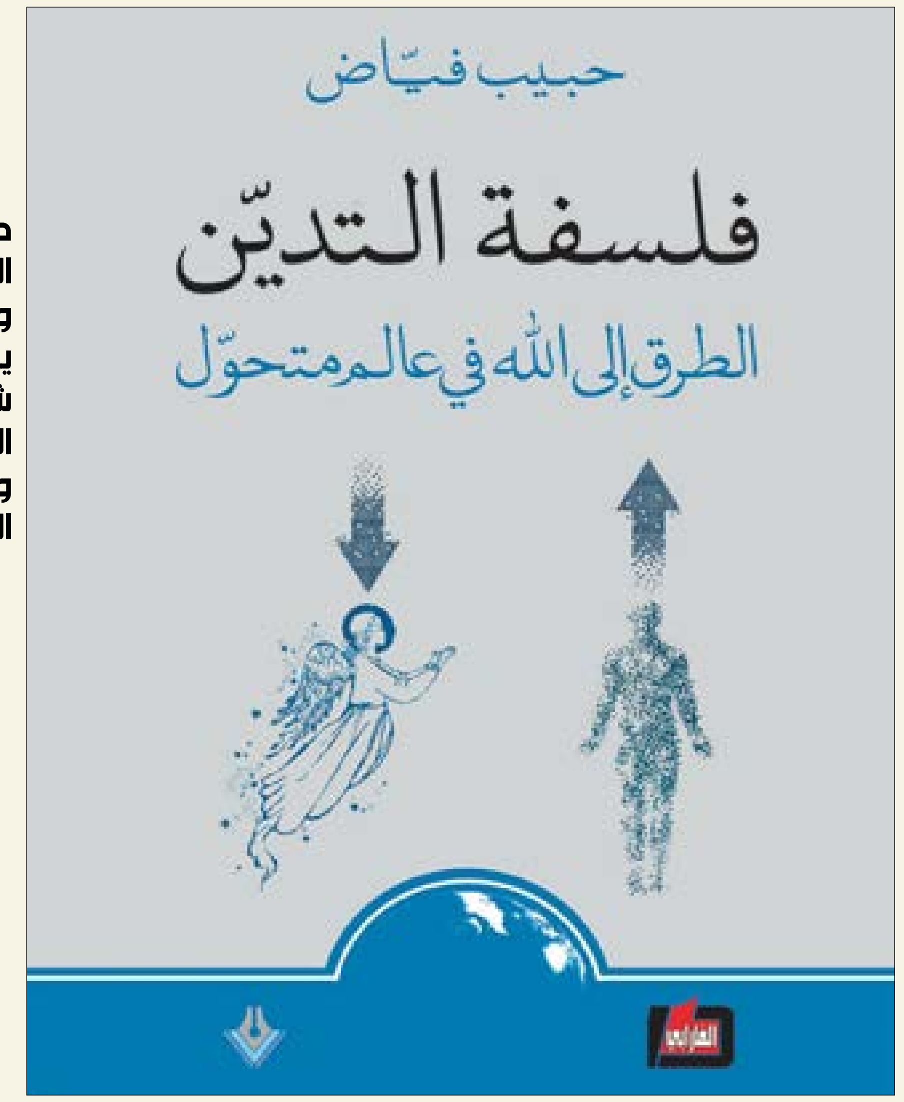

دعوة لتجديد الفقه والقيم بما يتلاءم مع شمولية النص واحتياجات الواقع

رواية

سومر شحادة: ثمن العودة إلى «منازل الأمس»

غنوة فضة

لدى رواية «منازل الأمس» (دار الكرمة ـ 2023) لسومر شحادة (1989) مقولةٌ تذكّرنا بذلك المطلع الشهير لرواية «آنا كارنينا»: «كلّ العائلات السعيدة تتشابه، لكن، لكل عائلةٍ تعيسةٍ طريقتها الخاصة في التعاسة». وعائلةُ حنيفة، في إحدى قرى وادي الرميم، المطلة على بحيرةٍ في الساحل السوري، واحدةٌ من الأسر التي صنعت تعاستها الخاصة، إلا أننا في الوقت ذاته نستطيع أن نُسقط تلك التعاسة على الحقبة التي تغطيها الرواية من تاريخ البلاد، ذلك أن النص يمضي بين الماضي والحاضر، ويتداخل عرضاً مع أحداثٍ جرت في الثمانينيات، وربطت مصائر شخوصه بأحداثٍ قديمةٍ صاغت حاضر الرواية ومستقبلها.

«توجد قصصٌ تحطم البشر، وحياتي بدأت محطمة...». من هنا يصوغ الكاتب السوري عالمَ بطلته نسرين، وينجح في الولوج إلى داخل أبطاله. نراهُ يتحدث بلسان الجميع، ونشعر بذلك الأسى وعمقه في حياة نسرين كطفلةٍ وامرأةٍ تربّت بلا أمّ. ولنا أيضاً أن نعي لغة الصمت الجائرة؛ تلك التي قضاها والدها سليم عبر النص كله. فهو كزوج مهجورٍ من قبل زوجةٍ أحبّها، لم ينجح في التنصّل من حقيقةِ كونهِ ابن عائلة حنيفة القروية، وذاك ما أثرى هروبَ الزوجة المنحدرة من إحدى عوائل مدينة أخرى، لم تجد بدّاً من الرحيل صبيحة ولادتها. ذاك الغياب، عالجه سليم بصمتٍ قوامه عشرون عاماً. وهنا تكمن الجمالية في جعل بطل الحكاية صامتاً ومؤثراً. فقد صاغ عالمَ ابنته بصمتهِ، مثلما نجدهُ في عجزهِ عن ضفرِ جدائل شعرها والميل إلى قَصَةٍ صبيانيةٍ رافقتها، وأمست سبباً في حب كارم وزواجه منها. إذاً سليم عاجزٌ عن تفسير هروب زوجته وداد، ذاك الهروب الذي يشكّلُ مفصلَ الرواية، يؤول بالمشهد إلى أمٍّ عبوسٍ وإخوةٍ متربّصين بسُمعةِ العائلة، إلى جانب طفلةٍ كبرت من غير أن تتعلم كيف توجه خطواتها.

تعترف نسرين بكونها لم تعرف يوماً كيف توجه مشيتها، وفي ذلك إحالةٌ لمدى الضياع الذي عاشته من دون أمّ تأخذ بيدها. وعلى الرغم من عيشها في كنف أبٍ جعل من حياتها عالمه، ومضى يصوغُها بعيداً عن أذرع الفجيعة القديمة، لكنه بصمته يوقع الريبةَ في نفسها، مثلما يُوقعُ في قلب القارئ تساؤلاتٍ عديدة عما إذا كانت الطفلةُ ابنته أم لا. قد يُفهَمُ صمتهُ الطويل حرصاً على اطمئنانها، وربما كان شعوراً بالذنب حيال وداد التي طالما اعترف برهافتها. وهنا لحكاية الرحيل أن تمتدّ لما هو أبعد من سيرة أمّ هاربةٍ تغيبُ حتى النهاية، ويظل مصيرها خاضعاً لكثير من التأويل والإيحاءات المتضاربة.

في الرواية ثمة تداخل بين الفردي والعام، وما بين الاجتماعي والسياسي، إذ يؤطر الكاتب زمن اللقاء الأول بين نسرين وكارم بيوم وفاة رئيس البلاد، ويربط زمن هروب الأم بانقلاب أخيه، وهكذا بعد ثمانية عشر عاماً، تشعر نسرين بالمرارة، إذ تقترن رجوعها إلى سوريا بعودة الأخ المغترب. وبمفارقاتٍ عجيبة، نرى قسوة الأحداث تلك وما أفرزته من مآسٍ بعدها. فيعرب أخو سليم، وبوصفه عنصراً لا يتورع عن مهاجمة منزل أسرة وداد لاستعادة سمعة أخيه، ومنهُ نلتقطُ ذلك النفور الذي كان بين يعرب ووداد، ذلكَ العداء مشمولاً بخوفِ العائلة منه، لا يجعل القارئ بمعزلٍ عن مقاربة ما إذا كانت نسرين ثمرة اعتداءِ الأخ على زوجة أخيه. لا إجابةَ تُذكر، بل يَترك النصُّ لنا تقدير الحدثِ من غير أن يبدو بعد مُضي الزمن أمراً مهماً. ذلك أن نسرين تُصابُ باللامبالاة بعد زواجها من كارم، وهنا تضمرُ الرواية نسقاً آخرَ يكشفُ عن مرارة الإنجاب وتأسيس أسرةٍ في مدينةٍ تجري بصورة محمومةٍ نحو الإنجاز. هناك في مدينة دبي العجولة، ووسط الأبراج المضيئة، تكتنف الوحدةُ عالمَها، وتشعرُ بتشابهِ البلدان بعد الرحيل عن بلادها، ولربما قصدت بذلك سليمَ نفسه، كما لو كان البلد الوحيد الذي انتمت إليه. ومن دون أن تتوانى عن إنجاح تجربتها كأمّ لطفلين، يلوحُ الهروب الذي لجأت إليه وداد سابقاً، وتسهم الوحدة في جعله قدرَها. كأن مضيّ ثمانية عشر عاماً مع كارمٍ وطفليها، كان مجرد محاولاتٍ مضنيةٍ للهروب من حقيقة أنها امرأةٌ بقيت طفلة، ووصلت إلى الأربعين من دون أن يكتشف أحد، بمن فيهم كارم، أن الزمن توقف مذ تركتها أمها على فراش الولادة، ومذ غادرت بدورها وادي الرميم بذاكرةٍ لا تحفظ ما حدث بعده.

يمرض سليم، وتغادر نسرين إليه، في وقتٍ تكون العودة إلى البلاد ضرباً من الجنون، لكن نسرين تختار الرجوع، وتعدّهُ نجاةً من عالم كارم الذي انهارَ، وتفلّتَ من زمامِ زوجين اختارهما الحب، وأقصتهُ الغربةُ والحياة الرتيبة. تعود إلى وادي الرميم، وتحضر مراسم دفن أبيها، ونلتمس هنا بما يشبه المواربة أملها الدفين في ظهورِ أمها، لكن لا أثر يذكر، إذ نجدها وحيدةً في منزل العائلة الكبير وقد اختارت الانفصال، كأنها بعودتها تدفع ثمن أخطاء كل من صاغ حياتها؛ كارمَ الذي رماها إلى الوحدة، ويعربَ بجبروتهِ، وأمها وهجرانها، وأخيراً سليم الذي صنع عودتها بموتهِ.

«تذكرتُ بينما كنتُ أسيرُ في شارع الكورنيش الغربي، الأوقات التي كان سليم يحملني فيها كي يلتقي بعمتي فدوى، ويتركانني أراقب السفن وأنا جالسة على كرسيّ واطئ في مقهى «العصافيري». بقيتُ أجلس على ذلك الكرسي الواطئ لثلاث ساعات خلال يوم في الشهر ولمدة أربع سنوات، قبل أن تنتقل فدوى مع زوجها إلى حمص وتنجب هناك. وأدركُ الآن أن ذلك الكرسي الواطئ كان حصتي من اللاذقية، وربما كان حصتي من العالم برمته».

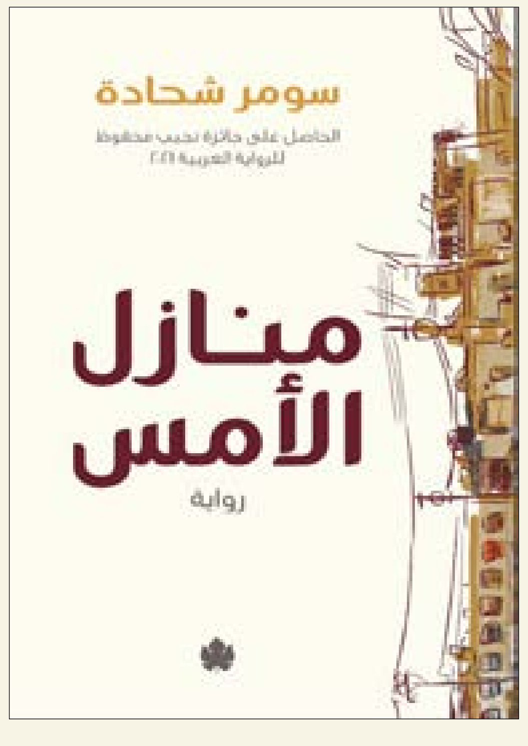

تداخل بين الفردي والعام، بين الاجتماعي والسياسي

نزار عبد الستار: لعبة الأمم على الشعوب الضعيفة

رولا حسن

في روايته «الأدميرال لا يحب الشاي» (دار الساقي)، يتابع الروائي نزار عبد الستار مشروعه الروائي الذي بدأه في «ليلة الملاك»، حيث يعتمد على استراتيجية المداخلة بين التاريخ والحاضر وتفكيك العلاقات المتشابكة بينهما. يعمد إلى اختيار فضاءات تاريخية وشخصيات لها أثر في هذا التاريخ، بحيث يمكن إسقاطها على الواقع المَعيش.

وانطلاقاً من هذه الاستراتيجية، يتخذ الكاتب العراقي من تاريخ «شركة الهند الشرقية» أرضيةً أو مناخاً إن صح التعبير لروايته «الأدميرال لا يحب الشاي»، لكنه أراد أن يوضح من خلال هذا التاريخ، لعبة الأمم على الشعوب الضعيفة واستغلالها. إنها ببساطة «رواية معنية بالسنوات الأخيرة لـ«شركة الهند الشرقية» البريطانية، وتسلط الضوء على ما قبل الثورة الهندية» على حد تعبير صاحب «الأميركان في بيتي».

ولا أعتقد أن الرواية تريد أن تقصّ لنا حكاية عزيز لانكستر آل السفان ذي الأصول العربية التي تمتد إلى البصرة، لكنه كان الذريعة التي اتخذها الكاتب ليتحدث عن حكايات البلاد من الصين إلى الهند، وصولاً إلى البصرة، حيث ستتصارع الدول وتتواطأ لفرض سيطرتها عبر «شركة الهند الشرقية من خلال جسر وحيد هو دماء وأرواح الشعوب».

«شركة الهند الشرقية» التي أصبحت في ما بعد «شركة الهند الشرقية البريطانية»، تأسّست عام 1600 كشركة تجارية مع جيش ضخم ودعم من الحكومة البريطانية، ونهبت شبه القارة الهندية منذ عام 1757 حتى استلزمت الفوضى أن تتدخل الحكومة وتستولي على ممتلكات الشركة عام 1858. كانت «شركة الهند الشرقية» هي الوسيلة التي نفّذت بها بريطانيا سياساتها الإمبريالية في آسيا، وحقّقت الملايين من خلال تجارتها العالمية في التوابل والشاي والأفيون، وقد تعرّضت لانتقادات كثيرة بسبب فسادها وقد جرفت «شركة الهند الشرقية» الحكام الذين وقفوا في طريقها، واختلست الموارد بلا هوادة، وقمعت الممارسات الثقافية للشعوب التي تعيش داخل أراضيها الشاسعة. ببساطة، كانت الشركة رأس الحربة الحادة للإمبراطورية البريطانية، وقد اكتسب مديروها ثروات هائلة، وأصبحت الهند أكثر فقراً. إنّ «شركة الهند الشرقية» أكثر بكثير من مجرد شركة تجارية، لقد كانت دولة داخل دولة، وقد تمتّعت بالحق الحصري في التجارة مع الهند. على الرغم من أنه لم تكن لها السيادة على مناطق عملياتها، إلا أنه سُمح لها بممارسة السيادة باسم التاج الإنكليزي والحكومة.

لانكستر أو الأدميرال كما يُلقب في الرواية، الذي يعلن أصوله العربية عند الحاجة ويتخلى عنها عندما يقتضي الأمر، هو الباب الذي يفتحه الروائي ليدخل عوالم «شركة الهند الشرقية» وأساليبها للسيطرة على موارد العالم التي لا تختلف عما يجري اليوم، وإن بأسماء مختلفة. محور الرواية في الظاهر، هو الأدميرال الذي يقضي عقوبة النفي في مقر «شركة الهند الشرقية» المهجور في البصرة. وعندما حُملت إليه الصناديق بحسب العائدية، استغل الأدميرال حرباً دموية ليجعل من الشاي المشروب المفضّل في البصرة، متحدياً في ذلك هولندا التي كانت تحتكر تجارة القهوة مع البصريين.

يعتمد صاحب «يوليانا» على خاصية التبئير، فهو يوجه تلسكوبه السردي إلى شخصية الأدميرال لانكستر وممارساته. هو من أكثر أبطال «شركة الهند الشرقية» شهرةً، وهو المسؤول عن زراعة الأفيون في مستعمرة الهند البريطانية، وله تاريخ دموي في تجارة المخدرات مع الصين، لكن تم نفيه إلى البصرة بعد استيلائه على سفينة محمّلة بالفضة. في البصرة يستغل الأدميرال خبرته في القرصنة، ومفاهيمه العنيفة واللاأخلاقية والدموية بهدف إجبار المدينة على حبّ الشاي.

وعبر التبئير الداخلي، يكشف عن الشخصية التي توجه منظور السرد من نظرها. يبدو الراوي كسارد كأنه عليم ببواطن الشخصيات، معتمداً على ضمير الغائب الذي يمكّنه من تمرير وجهات نظره من دون أن يكون تدخّله فجاً، وهو كذلك وسيلة يتوارى خلفها السارد ويجنّبه الوقوع في فخ الأنا الذي يؤدي إلى ما يُسمّى سوء الفهم السردي، والأمر المهم هنا أنه يفصل زمن الحكاية عن زمن الحكي على الأقل ظاهرياً، ما يدفع السرد إلى الأمام من دون عثرات واضحة انطلاقاً من الماضي. تبدأ الرواية من الحاضر مع جلوس الأدميرال على الشرفة بعد نفيه إلى البصرة في مقر «شركة الهند الشرقية». ثم يعود بنا الكاتب إلى الخلف إلى تاريخ الشركة وتاريخ الأدميرال الملوّث بالدماء عبر تقنية الخطف خلفاً، مع تدوير زوايا الرؤية التي يبقى الأدميرال وحياته وخططه لجعل الشاي المشروب الأول في البصرة البؤرة الأساسية للسرد.. هذه الطريقة في السرد وباستخدام ضمير الغائب، تحمي السارد من إثم الكذب، فهو مجرد راوٍ، وللقارئ الحرية في التصديق من عدَمه. ويكون بذلك السرد الذي من أجله كانت الحكاية. «وهو الذي من يجعل السرد رواية والرواية سرداً» بحسب الباحث عبد الملك مرتاض.

يستخدم عبد الستار إطاراً تاريخياً لسرد راهن مَعيش، لأنه أدرك بذكاء الراوي، أن الرواية ترتبط ارتباطاً جدلياً بالتاريخ، فهي أقرب الفنون إليه، وكلاهما يقوم على السرد والاهتمام بالأحداث والشخصيات، فإذا كان التاريخ رواية الماضي، فالرواية بلا شك هي رواية الحاضر.

وهنا يمكن القول بالتأكيد بأنّ صاحب «ترتر» لم يكتب رواية تاريخية، بل حاول أن يخلق حياة موازية كما يؤكد دوماً، وهنا يمكننا أن نعتبر أن الرواية هي مصدر غير تقليدي للتاريخ، إذ يقول في أحد حواراته: «لقد أردت شد الانتباه إلى تحكّم الشركات الكبرى بمصير العالم، وهذا موضوع أراه يشكل مأساة البشرية. إنّها رواية عن فن التجارة، وكيف أن العالم الذي نعيش فيه صُنع بطرق ملتوية ومخاوفنا الحالية هي نفسها التي كانت موجودة قبل أكثر من قرنين».

في «الأدميرال لا يحب الشاي»، تغلغل الراوي في طيات المجتمع، وخبايا النفوس، واستطاع الحديث عن المسكوت عنه في الخطاب الثقافي والسياسي والاجتماعي العام، بدءاً من العنوان الذي لا يهتدي القارئ إلى دلالته إلا بعد أن يقطع شوطاً عظيماً في قراءة الرواية فيقف على الأسرار المختبئة في زوايا السرد، ويكتشف أن العنوان كان مدخلاً إلى عمارة النص الروائي وإضاءة بارعة لمراته المتشابكة، وأن العلاقة بينه وبين النص هي علاقة جدلية تتمثل في تفاعل النص معه عبر الانسجام تارة، والتغريض الدلالي طوراً.

ذهب عبد الستار بعيداً في التاريخ المنسيّ إلى تفاصيل ينساها التاريخ. ينشغل بتدوين الأحداث الكبيرة والأسماء العظيمة، وينسى تداعيات تلك الأحداث على الأرض والبشر. حاول تدوين حياة الشخصيات المرمية على هامش الحياة والتاريخ، وهو في ذلك يؤكد ما قاله كارلوس فونتين: «أعتقد أنّ الرواية تمثل تعويضاً للتاريخ، إنها تقول ما يمتنع التاريخ عن قوله»، وترك لنا فرصة البحث والتقصي بالمتعة ذاتها التي تركتها قراءة الرواية بأسلوبها الشيّق وسلاسة لغتها.

يعتمد على استراتيجية المداخلة بين التاريخ والحاضر وتفكيك العلاقات المتشابكة بينهما

أوراق

فرضية أخرى حول أصل اسم فلسطين

يبدو أنه من اسم هذا الإله الطفل أخذت فلسطين اسمها

زكريا محمد *

في سياق ما أورده لنا بلوتارخ عن أسطورة إيزيس وأوزيريس، ذكر لنا الاسم فلستينوس Palestinus كابن لملك بيبلوس ملكارتوس (ملقارت). بعدما خدع سيث (تيفون عند بلوتارخ) أوزيريس وأقفل عليه في صندوق، رماه في البحر الذي أوصله إلى بيبلوس (جبيل) اللبنانية. وهناك:

«احتبسته [الصندوق] بلطف أغصان شجيرة الطرفاء التي استحالت في برهة وجيزة إلى شجرة جميلة ضخمة، التفّت حول الصندوق وأحاقت به من كل جهة، بحيث لم يعد في الإمكان أن يرى. وعلمت إيزيس أن ملك ذلك الإقليم أذهله الحجم اللامألوف لتلك الشجرة فقطعها وجعل ذلك الجزء من جذعها الذي خبّأ الصندوق عموداً يدعم سقف بيته».

وحين علمت إيزيس بأن أوزيريس موجود في داخل الشجرة، ذهبت إلى بيبلوس على الفور. وهناك قعدت عند نافورة، ورفضت أن تكلم أحداً باستثناء نساء الملكة «عشتار» زوجة ملكارتوس (ملقارت) ملك بيبلوس. وقد أعجبت الملكة بإيزيس وجعلتها مرضعة لأحد أبنائها. وهذا مماثل لقصة موسى الطفل الذي تبنّته زوجة فرعون مصر، بشكل ما.

وقد «غذّت إيزيس الطفل بأن أرضعته من أصبعها بدلاً من ثديها. وكذلك راحت في كل ليلة تعرضه على النار لكي تستهلك جزأه الفاني، بينما هي تحيل نفسها إلى سنونو وترفرف حول العمود وتندب قدرها المنكود. واستمرت على هذا النحو طوال وقت ما، إلى أن أبصرتها الملكة ذات يوم وهي تضع الطفل في اللهب، فصرخت الملكة وبذلك حرمت الطفل من الخلود الذي لولا صرختها لحصل عليه. وعند ذلك، كشفت الإلهة عن هويتها وطلبت من الملكة أن تمنحها العمود الذي يعدم السقف، فأخذته وفتحت جوفه بسهولة. وبعدما أخذت منه ما تريد [أي الصندوق]، لفّت بقية الجذع بقماش جميل، وصبّت عليه الزيت المعطّر ودفعت به إلى أيدي الملك والملكة (وهو ما انفكّ حتى اليوم قطعة خشبية محفوظة في معبد إيزيس، يعبدها أهل بيبلوس). وبعد ذلك رمت بنفسها على الصندوق وراحت في الوقت نفسه تنوح نواحاً عالياً ومرعباً. فسمعها أصغر أبناء الملك فارتعب ومات. أما الابن الأكبر فأخذته معها وأبحرت باتجاه مصر».

وحين «وصلت إلى خلاء مقفر حيث تخيّلت نفسها وحيدة، وعلى الفور فتحت الصندوق، وألقت بوجهها على زوجها وعانقت جثمانه. وبكت بمرارة. ولكنها حينما شاهدت الطفل الصغير يتسلل وراءها خلسة، ووجدت فرصة سانحة لحزنها، استدارت إلى الخلف فجأة، ورمته غاضبة بنظرة كالحة، فمات على الفور من شدة الرعب. والحقيقة أن بعض الناس يقولون إنه لم يمت على هذا النحو، بل كما لوحظ أعلاه، سقط في البحر، ونال في ما بعد الشرف الأعظم من لدن الربّة، ولهذا فإن المانيروس Maneros، وهو من يتوسل إليه المصريون كثيراً في ولائمهم، ليس إلا هذا الطفل».

ويضيف بلوتارخ عن المانيروس: «وثمة من ينقض هذه الحكاية مرة ثانية، إذ يقال بأن الاسم الحقيقي للغلام قد كان بلستينوس Palestinus أو بالسيوس Palusius، وأن الربّة بنَت مدينة بهذا الاسم تخليداً لذكراه» (السير ولس بدج، الديانة الفرعونية: أفكار المصريين القدماء عن الحياة الأخرى، ترجمة وتقديم يوسف سامي اليوسف، دار أزمنة، الطبعة الثانية، 1999، ص 86-87-89).

أما المانيروس فيختلف عليه. فهناك من يقول إنه طريقة للتحية بين المصريين، لكنه ترنيمة دينية رثائية عند بعضهم. وحسب هيرودتس، فهو ابن مينوس (مينا) أو ملك مصري مفترض. وقد مات هذا الابن مبكراً، فكتبت له المراثي. وعلى أي حال، فقصة إيزيس مع أبناء الملك ملقارت معقّدة جداً. لكن هناك ما يوحي بشكل من أشكال التضحية بالأطفال. لكن هذا ليس موضوعنا. موضوعنا هو الطفل فلستينوس.

وهذا الاسم على علاقة لفظية واضحة جداً مع فلسطينيي التوراة (الفلستينيين) أي مع الفلست Pelest حسب صيغة المصادر المصرية. وأول ذكر للفلست، أو الفلسط، في النصوص المصرية أتانا من القرن 13 قبل الميلاد حيث ورد تعبير «أرض الفلسط»، ثم من نصوص «مدينة هابو» التي تتحدث عن مواجهة رمسيس الثالث لما يسميه الباحثون «شعوب البحر» في حدود عام 1191 قبل الميلاد. فمن بين القبائل أو المجموعات التي هزمها رمسيس كانت مجموعة الفلسط.

لكنّ الغريب أنّ أحداً من الباحثين الغربيين لم يحاول أن يربط بين فلستينوس بلوتارخ والفلسط، أي الفلسطينيين القدماء في جنوب فلسطين. الوحيد الذي وجدت أنه يشير إلى هذا الاحتمال هو الكاتب الفلسطيني المرحوم يوسف اليوسف مترجم كتاب «ولس بدج» الذي اقتبسنا منه قصة إيزيس أعلاه. فهو يقول في هامش صفحة 88: «يحتمل أن يكون هذا الاسم مجرد تحريف لاسم فالوس إله الشبق [عند اليونان]. ويحتمل أن تكون قبيلة البلستو التي أعطت فلسطين اسمها من عبدة الفالوس» (يوسف سامي اليوسف).

وإذا تناسينا حكاية الفالوس إله الشبق، فإن اليوسف ربط ربطاً معقولاً وممكناً بين الفلست وفلستينوس. أما الباحثون الغربيون، والإسرائيليون على وجه الخصوص، فلم يحاول أحدهم أن يربط بين الاسمين. وأنا أجد هذا غريباً جداً. لكن يمكن تفسير ذلك بالهوس، المغرض جداً، للبحث عن أصل إغريقي للفلست القدماء. فثمة إصرار عنيد، ولا يصدق، على نفي الفلست إلى بحر إيجه. وكأنّ هذا يأتي لكي يظهر الفلست كأغراب قادمين مثل الإسرائيليين القدماء الذين جاؤوا من مصر حسب رواية التوراة. وإلا كيف أمكن للبحوث التي حاولت العثور على أي نبذة عن الفلسط أن تتجاهل من ورد عند بلوتارخ في قصة إيزيس وأوزيريس؟ نعم، كيف أمكن إفلات الشبه اللفظي الواضح بين فلستينوس والفلست؟

على أي حال، من الواضح أن ملقارت وعشتار بيبلوس إلهان وليسا ملكين سياسيين، وأنهما بشكل ما يتماهيان مع إيزيس وأوزيريس. يؤيد ذلك أن ملقارت جعل من جذع الشجرة التي احتوت جثمان أوزيريس عمود قصره. بناءً عليه، فلستينوس ابن ملقارت طفل إلهي في الواقع. وليس من الغريب أن يكون هذا الطفل- الإله معبوداً عند شعب من شعوب فلسطين، كما عبد حورس أو أنوبيس في مصر. فقد كانت الشعوب والإثنيات في العصر الحديدي، تبلور هوياتها حول إله معين. فالعمونيون شرق النهر تبلورت هويتهم حول الإله عمون، والإسرائيليون القدماء حول الإله إسرائيل، الذي يرفض الباحثون الغربيون الاعتراف بوجوده، واليهود حول الإله يهودا، وهكذا. عليه، فربما كان علينا أن نفترض وجود إله- طفل يدعى فلستينوس، وأن الشعب الذي كان يعبده في جنوب فلسطين كان يدعى باسمه، أي الفلست حسب النصوص المصرية، والفلستينيين حسب التوراة، ويبدو أنه من اسم هذا الإله الطفل أخذت فلسطين اسمها.

وبناءً على قصة بلوتارخ، فإن فلستينوس إله- طفل قتيل ذبيح. وربطه بالمانيروس المصري دليل على ذلك. فالمانيروس طفل قتيل يبكيه المصريون، أو هو ترنيمة بكاء لطفل قتيل. وهذا ما يضع الأساس لمشابهة فلستينوس مع إسحق الذبيح، ومع إسماعيل الذبيح، ومع عبدالله المكي الذبيح، ومع ابن الملك ميشع الذبيح، ومع كل الذبحاء في المنطقة.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 13 Mai 2023 no64
السبت 13 أيار 2023 العدد 64

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

تل أبيب للهـ ـاربين من العدالة

[4-2]

حوقة لـ «توماس زيروف» الهارب من المكسيك إلى تل أبيب

المناطق الاقتصادية الحرّة على حساب العاملين
5

القضاء والإنماء المتوازن
6

التجنّي على الليطاني بالجرم المشهود
7

متابعة

لا يكتفي العدو الإسرائيلي بالتمادي في ارتكاب ابشع الجرائم بحق الشعب الفلسطيني، بل يُحوّل -على ما يبدو- فلسطين المحتلّة إلى ماوى للفارّين من وجه العدالة. من بين هؤلاء الرئيس السابق لوكالة التحقيقات الجنائية في المكسيك توماس زيرون دي لوسيو - Tomás Zerón de Lucio، المتّهم بإخفاء معلومات في قضية خطف وقتل 43 طالباً جامعياً عام 2014. يقيم زيرون حالياً في شقة سكنية فخمة في تل ابيب، وترفض سلطات الاحتلال تنفيذ مذكّرة توقيف دولية صدرت عن الإنتربول بحقه. في مقابلة اجرتها معه صحيفة إسرائيلية في نيسان الفائت، اشارت إلى ان زيرون وجد «وطناً جديداً»، واكّدت ان الإسرائيليين لن يسلّموه إلى القضاء المكسيكي. كيف وصل زيرون إلى تل ابيب وما هي طبيعة صلاته برجل الاعمال الإسرائيلي دايفد افيتال والاستخبارات الإسرائيلية، وما علاقة التجسس والتنصّت الإسرائيليَّيْن بهذه القضية؟

مطلوب للقضاء المكسيكي وجد وطناً جديداً له في «إسرائيل»

تل أبيب للهاربين من العدالة

أم أحد الطلاب المفقودين في المكسيك

المذكرة الحمراء الصادرة عن الإنتربول الدولي بحق المدعو توماس زيرون

عمر نشابة

اختُطف 43 طالباً من كلية تدريب المعلمين الريفية في مدينة إيغوالا بولاية غيريرو في المكسيك في أيلول 2014 خلال مشاركتهم في تظاهرة ضد السياسة الاقتصادية للحكومة المكسيكية آنذاك. وتبيّن لاحقاً أن الشرطة المحلية كانت قد ألقت القبض عليهم ولم يُعرف شيء عن مصيرهم بعد ذلك، ولم يُعثَر على جثثهم أو أي إثبات على أنهم على قيد الحياة. وقد وُجدت أكياس في نهر سان خوان تحتوي على بقايا بشرية قيل إنها تعود للطلاب المفقودين.

تولّى رئيس وكالة التحقيقات الجنائية في المكسيك (AIC) يومها توماس زيرون التحقيق في القضية. وفي 27 كانون الثاني 2015 عقد مؤتمراً صحافياً للكشف عمّا زعم أنه «الحقيقة التاريخية» للقضية (La verdad histórica). قال زيرون إن عناصر فاسدين في الشرطة بعملون مع جماعة إجرامية محلية يُطلق عليها اسم «غيريروس يونيدوس» (Guerreros Unidos)، قبضوا على الطلاب الـ 43 في إيغوالا وسلّموهم إلى أفراد العصابة الذين أخذوهم إلى مكبّ نفايات في منطقة كوكولا حيث اطلقوا النار عليهم. ثم حملوا الجثث إلى أسفل جبل قمامة يبلغ ارتفاعه 40 متراً وأحرقوها حتى تحوّلت إلى بقايا عظام ورماد، وبعدها نقلوا تلك البقايا ورموها في نهر سان خوان. وبرّأ زيرون الحكومة المكسيكية من اي مسؤولية بشأن هذه المجزرة.

لكن أثير بعد ذلك عدد من الأسئلة والشكوك بشأن «الحقيقة التاريخية» لاختفاء الطلاب، ولدى التوسّع في التحقيق تبيّن لفريق تحقيق مؤلّف من خمسة خبراء مستقلين (Grupo Interdisciplinario de Expertos y Expertas Independientes GIEI) أن السلطات المكسيكية زوّرت الحقائق، ويُحتمل أن يكون زيرون نفسه هو الذي وضع الأدلة في نهر سان خوان. وأكد تقرير الخبراء أن المحققين المكسيكيين قاموا بتعذيب بعض الشهود في القضية بشكل منهجي لإجبارهم على دعم رواية ملفّقة من الأحداث، وزوّروا الوثائق والمكالمات الهاتفية. النتائج التي توصل إليها فريق الخبراء GIEI أثارت القلق ليس فقط لأنها تُظهر ما يسمّيه أحد الخبراء «صناعة كذبة من أعلى المستويات» في قضية اختفاء الطلاب، ولكن أيضاً في ضوء الدور المركزي والمهيمن بشكل متزايد على القوات المسلّحة المكسيكية. تجدر الإشارة هنا إلى أن القوات العسكرية المتورطة في قضية اختفاء الطلاب تشمل قوات البحرية المكسيكية المعروفة بتعاونها الوثيق وتنسيقها مع الوكالات الفدرالية الأميركية في عمليات مكافحة الجريمة في سياق «الحرب على المخدرات».

وضع خبير الحرائق خوسيه توريرو تقريراً يشكّك في مزاعم زيرون بأن جثث الطلاب قد أحرقت في مكبّ للقمامة. وأوضح توريرو أن البقايا البشرية التي عُثر عليها عام 2020 تبعد لأكثر من كيلومتر عن مكبّ القمامة الذي ورد في تقرير زيرون. كما أثيرت شكوك بشأن اختلاقيات رئيس وكالة التحقيقات الجنائية السابق أثناء التحقيق، إذ نُشر مقطع فيديو يظهر فيه وهو يهدّد احد الموقوفين برميه من مروحية، وفي مقطع آخر يُهدّد آخرين بالقتل بشكل مباشر.

شُكّلت لجنة تحقيق دولية بعد تشكيك حكومة الرئيس المكسيكي الحالي أندريس مانويل لوبيز أوبرادور في استنتاجات زيرون. وفي عام 2019 فرّ توماس زيرون إلى كندا خشية القبض عليه، لكن يبدو أن السلطات الكندية لم ترحّب بحمايته من الملاحقة القضائية المكسيكية فانتقل سرّاً في أيلول من العام نفسه إلى فلسطين المحتلّة حيث لديه، كما تبيّن لاحقاً، أصدقاء وشركاء.

> استُخدم برنامج «بيغاسوس» في الحرب ضد عصابات المخدرات، كما في مراقبة نشطاء حقوق الإنسان ومُعارضين سياسيين وشخصيات معارضة سياسياً وأهالي الطلاب الذين فُقدوا عام 2014 في المكسيك

في كانون الأول 2020، نُشرت صورة لزيرون في الصحافة المكسيكية مبتسماً وزُعم أنه صُوّر في «مخبئه» في فلسطين المحتلة. وفي كانون الثاني 2021، ورد في صحيفة «هارتس» الإسرائيلية أن المكسيك تواصلت مع «إسرائيل» وقدّمت طلباً لتسليمه للاشتباه بتورّطه في تضليل التحقيق في اختطاف وقتل 43 طالباً «واختلاس 50 مليون دولار أميركي».

مقابلة «يديعوت احرونوت»

نشر ملحق صحيفة «يديعوت احرونوت» الإسرائيلية «سبعة أيام» في مطلع شهر نيسان الفائت مقابلة حصرية أجرتها مع توماس زيرون، المتّهم بعرقلة التحقيق في قضية اختفاء 43 طالباً عام 2014. وقد صدرت بحقه مذكرة توقيف دولية عن الإنتربول إذ اصدر إشعاراً أحمر بشأنه، بينما تعدّه الحكومة المكسيكية فارّاً من وجه العدالة. لكنّ سلطات العدو الإسرائيلي تمتنع عن تسليمه وملاحقته، لا بل تؤمّن له ملاذاً آمناً للإفلات من العقاب. ولا عجب في أن كيان العدو الذي أفلت من كل محاولات محاسبته قضائياً، بات يشكل ملاذاً لأمثاله المجرمين.

سعى زيرون، خلال المقابلة مع الصحيفة الإسرائيلية، إلى تبرئة نفسه وادّعى أن التهم الموجهة إليه هي جزء من حملة اضطهاد سياسي يتعرّض لها بسبب مواقفه المعارضة للرئيس المكسيكي لوبيز أوبرادور. يبدأ المقال الإسرائيلي بوصف لقاء جرى في تل أبيب بين زيرون والـيخـانـدرو إنسـيـنـاس، وكيل المكسيك لحقوق الإنسان الذي أشرف على جهود الحكومة الجديدة لحلّ القضية منذ كانون الأول 2018. وذكر المقال بوقاحة التجاوز الواضح لأبسط المعايير الأخلاقية، انه تم تسجيل ما دار خلال اللقاء، سرّاً من دون علم إنسيناس. وجاء في نصّ المقال: «حوالي العاشرة من صباح يوم 16 شباط 2022 وصل فريق مكوّن من 3 خبراء في المخابرات والمراقبة السرية إلى مطعم يوناني شهير في شمال تل أبيب، جلسوا وطلبوا الطعام لكنهم كانوا -في الواقع- يبحثون عن أفضل مكان في المطعم حيث يمكنهم تثبيت الكاميرات والميكروفونات» ليتمكنوا لاحقاً من تسجيل اللقاء.

حاول إنسيناس خلال اللقاء إقناع زيرون بالمساعدة في حل القضية، وأكّد له، بحسب مرآهم الصحيفة الإسرائيلية، أن الرئيس لوبيز أوبرادور يمكن أن يمنع سجنه مقابل تقديمه معلومات حول ما حدث فعلاً للأطفال عام 2014. سخر زيرون من كلام إنسيناس وقال بكل ثقة، وكأنه حصل على ضمانات من العدو الإسرائيلي، إنه سيحظى بحمايته في كل الأحوال. ثم أضاف حول إنسيناس: «قد يكون ساذجاً للغاية أو ربما يائساً إذا كان يعتقد أنه يستطيع إقناعي بهذه الوعود وبهذه الكلمات للعودة إلى حيث تعمل ضدّي حملة اضطهاد سياسي قائمة على أكاذيب». انتقد الرئيس المكسيكي أوبرادور الكيان الإسرائيلي علناً في أيلول 2020 لرفضه تسليم زيرون إلى القضاء المكسيكي. وقال إنه «يجب على إسرائيل الآن تحمي مسؤولاً مكسيكياً سابقاً يعتقد أنه يقيم هناك»، مضيفاً أن «إسرائيل» قد أبلغت بأمر اعتقال ضد هذا الشخص.

سردت المقابلة الإسرائيلية سيرة زيرون منذ طفولته وذكرت تفاصيل من أيام الدراسة. وكانت لافتةً إشارتها إلى أن بداية الحياة المهنية لزيرون، الذي أصبح في ما بعد مدير وكالة التحقيقات الجنائية في المكسيك، كانت في مجال الأعمال التجارية حيث كان المستورد الذي جلب إلى المكسيك ماركة الأزياء الفرنسية «لاكوست» و«بسبب تراجع أعماله وجد زيرون طريقه للعمل في الشرطة الفدرالية المكسيكية» عام 2007.

بداية العلاقة بالإسرائيليين

خلال فترة تدريبه في المخابرات تعرّف زيرون إلى الكيان الإسرائيلي لأول مرة. وزار فلسطين المحتلّة عام 2008 حيث شارك في دورة عسكرية ودورة استخبارات.

أعجب زيرون بالمهارات الاستخبارية الإسرائيلية، وبعد تولّيه منصب رئيس وكالة التحقيقات أصبح الداعم الأساسي لشراء برنامج التجسس الإسرائيلي «بيغاسوس» (Pegasus) الذي استُخدم للتجسس ليس فقط على المجرمين ولكن أيضاً على صحافيين ومحامين ونشطاء حقوق الإنسان في المكسيك.

وقد ورد الآتي في «يديعوت احرونوت»: «لقد تأثر زيرون كثيراً بالتقنيات التي شاهدها خلال تدريبه في «إسرائيل» (..) وخلال الفترة التي خدم فيها على مستوى رفيع في المخابرات المكسيكية وإنفاذ القانون، وقّع سلسلة من العقود مع شركات إسرائيلية لشراء أنظمة مراقبة وقرصنة لوكالات الاستخبارات المكسيكية بما في ذلك برنامج «بيغاسوس» التابع لشركة إن إس أو - NSO Group، لاختراق الهواتف». وتابع المقال، إن «هذا البرنامج كان مفيداً للغاية في الحرب ضد عصابات المخدرات، لكنه استُخدم أيضاً لمراقبة نشطاء حقوق الإنسان وشخصيات معارضة سياسياً، وأهالي الطلاب الذين فُقدوا عام 2014».

> قد لا يتمكن زيرون من العودة أبداً إلى المكسيك بسبب لائحة الاتهامات الجنائية الموجهة ضده، ويبدو أنه وجد وطناً جديداً له في «إسرائيل»

نجم الروك في القضاء المكسيكي

وصفت «يديعوت أحرونوت» زيرون بأنه «نجم الروك في القضاء المكسيكي» بعد تمكّن القضاء المكسيكي من القبض على تاجر المخدرات وزعيم كارتل «سينالوا» خواكين غوزمان لويرا «إل تشابو» في 22 شباط 2014 قبل اختفاء الطلاب الـ 43. ويدّعي زيرون أن برنامج التجسّس الإسرائيلي «بيغاسوس» ساهم بشكل حاسم في تلك العملية، علماً أنه بين عامَي 2014 و2017 استُخدم البرنامج للتجسس على نحو 15000 شخص، في خرق فاضح لأبسط الحقوق.

انطلاقاً من ذلك، تتباهى تل أبيب بعلاقتها بزيرون ويُستبعد أن تجري اي صحيفة إسرائيلية مقابلة مع زيرون وتنشرها من دون موافقة ومباركة الاستخبارات الإسرائيلية. على أيّ حال، المقابلة التي نُشرت في «يديعوت أحرونوت» لم تكن محاولة زيرون الأولى لتنظيف صورته بعد فراره من المكسيك. ففي 3 حزيران 2020، أي بعد نحو ثلاثة أشهر على صدور القرار الاتّهامي بحقه عن القضاء المكسيكي، نُشر مقال على موقع «ياهو» الإلكتروني بعنوان: «بطل المكسيك المضطهد»، يصف توماس زيرون بأنه «ضابط شجاع لديه سجلّ مشرّف في تطبيق القانون، ومستهدف ظلماً من قبل حكومة فاسدة». لكن اللافت أن المقال صيغ بطريقة ركيكة، كما تضمّن أخطاءً إملائية، وبالتالي يرجح أن يكون قد كُتب بالإسبانية ومن ثم تُرجم على عجل إلى الإنكليزية. واشير في المقال إلى أن مصدره هو «أكسسواير» (Accesswire)، وهي شركة علاقات عامة تجارية.

يعيش «نجم الروك في القضاء» المكسيكي اليوم في فلسطين المحتلّة (تحديداً في برج «نيفي تزديك» - Neve Tzedek Tower، في تل أبيب). وهو شريك في مطعم مكسيكي ومقرّب من رجل الأعمال الإسرائيلي دافيد افيتال، إذ تقرّب منه في المكسيك حيث يملك افيتال شركة تجارية (أي دي آر - ADR) التي تمتلك أسهماً في شركة M.T.R.X المصنّعة لأدوات التنصّت القصيرة المدى. وقد طوّرت الشركة نظام «بيرانا» (Piranha) الإلكتروني الذي يلتقط رقم التعريف (IMSI) الفريد لكل مستخدم في الشبكة الخلوية التي تستخدمها شركات الاتصالات. يُستخدم هذا النظام من قبل الشرطة ووكالات الاستخبارات التي تسعى لاعتراض الاتصالات الخلوية ومراقبتها، بما في ذلك الاستماع إلى المكالمات.

كما أن أفيتال هو أحد المساهمين الأساسيين في الشركة التي وضعت برنامج «بيغاسوس» للتجسس. ولا بد من الإشارة إلى أن النائب السابق لقائد الوحدة 8200 الاستخبارية الإسرائيلية يوهاي بار - زكاي هو أيضاً من أبرز المساهمين في هذه الشركة.

خُتم مقال «يديعوت أحرونوت» بخلاصة واضحة، مفادها أن توماس زيرون قد لا يتمكن أبداً من العودة إلى المكسيك بسبب لائحة الاتهامات الجنائية الموجهة ضده، لكن يبدو أنه وجد وطناً جديداً له في «إسرائيل».

إدانة وزير الأمن العام

أدانت محكمة فدرالية أميركية وزير الأمن العام المكسيكي السابق جينارو غارسيا لونا في شباط 2023 بتهمة الاتجار بالمخدرات وتلقّي رشوة من عصابات الاتجار بالمخدرات. وبالرغم من الانتقادات التي عبّر عنها زيرون تجاه لونا خلال المقابلة التي أجرتها معه الصحيفة الإسرائيلية، تؤكد الصحافة المكسيكية أن زيرون كان من «أتباع» الوزير وأزلامه.

صور الطلاب الـ43 الذين خطفوا وقتلوا في المكسيك عام 2014

نيويورك تايمز واخلاقيات المهنة

أجرى الإسرائيليان رونين بيرغمان وإيتاي إيلناي المقابلة الأخيرة مع المطلوب للعدالة المكسيكية توماس زيرون التي نُشرت في ملحق «يديعوت أحرونوت» «سبعة أيام». وساهم بيرغمان بنقل وقائع الاجتماع المسجّل سراً، والذي عُقد في شباط 2022 بين أليخاندرو إنسيناس وتوماس زيرون في تل أبيب لإقناع زيرون بتسليم نفسه. وقبل نشر نصّ المقابلة في الصحيفة الإسرائيلية، نشر بيرغمان رواية عن الاجتماع السرّي في تشرين الأول الفائت في صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية في تجاوز واضح لأبسط المعايير الأخلاقية الصحافية، إذ سُجّلت المقابلة من دون علم إنسيناس.

متابعة

إعداد جنان الخطيب

يفرّ العديد من مرتكبي الاعتداءات الجنسية على الاطفال إلى كيان العدو الإسرائيلي هرباً من المحاسبة القضائية. وفقاً لنتائج تحقيق اجرته شبكة «سي بي إس نيوز» الاميركية (CBS News)، واستند إلى بحث اجرته منظمة «مراقبة المجتمع اليهودي»، وبحسب المنظمة التي تتعقّب المتّهمين بالتحرّش بالاطفال منذ عام 2014، فإن اكثر من 60 شخصاً من هؤلاء فرّوا من الولايات المتحدة إلى كيان العدو، علماً ان العدد الفعلي اكبر بكثير، على الارجح. يبدو ان الكيان الإسرائيلي اصبح ملاذاً لكل انواع المجرمين، مستغلّين ما يُعرف بـ «قانون العودة» الذي يتيح لاي شخص من اصول يهودية الانتقال إلى «إسرائيل» والحصول على الجنسية تلقائياً. من بين هؤلاء مجموعة مرعبة، خصوصاً من المتحرّشين بالاطفال، نستعرض بعضهم

«إسرائيل» ملاذاً للمتحرشين بالأطفال

مالكا لايفر

مطلوبة في أستراليا في ما لا يقل عن 74 تهمة اعتداء جنسي واغتصاب لثماني فتيات في المدرسة الأرثوذكسية في ملبورن والتي كانت مديرة لها. اعتُقلت بعد فرارها إلى «إسرائيل» عام 2008. وتفادت المحاكمة على أساس عدم السويّة العقلية. قُبض عليها مجدداً عام 2018 للاشتباه بالتظاهر بإصابتها بمرض عقلي للهروب من المحاكمة. بعد ذلك بوقت قصير، قرر فريق من الأطباء النفسيين أن لايفر البالغة من العمر 54 عاماً، خلافاً لادعائها، مؤهلة للخضوع للمحاكمة. في كانون الثاني 2020، قررت لجنة جديدة بالإجماع، مرة أخرى، أن الحال العقلية للايفر تسمح بمثولها أمام المحكمة. ويخضع وزير الصحة «الإسرائيلي» السابق يعقوب ليتسمان لتحقيق جنائي للاشتباه بأنه استغل منصبه لمساعدة لايفر. وبينما تستمر الخدع القانونية، تمكث لايفر في كيان العدو.

ديفيد كرامر

في نيسان 2013، أقرّ الأسترالي (المولود في الولايات المتحدة) ديفيد كرامر بالذنب في خمس تهم تتعلق بالاعتداء الفاضح وتهمة واحدة بارتكاب فعل مخلّ بالآداب العامة مع قاصر. تعود هذه الاتهامات إلى أوائل التسعينيات، وللهروب منها، ساعده زملاؤه في كلية يشيفاه في ملبورن، حيث وقعت الاعتداءات، على الفرار إلى «إسرائيل».

جيمي جوليوس كارو

متحرش خطير بالأطفال، أُدرج على قائمة الإنتربول من بين الخمسين المطلوبين، وفرّ بعد اعتداء جنسي على فتاة في التاسعة في ولاية أوريغون الأميركية إلى «إسرائيل» حيث عُرف باسم يوسف. أُدين في كيان العدو وسُجن في قضية اعتداء جنسي على الأطفال، لكنه لم يُعاقب قط على الاعتداء الذي ارتكبه في أوريغون. أخيراً، ادّعت ضحية «إسرائيلية» أخرى أنه بدأ بالإساءة إليها عندما كانت في الخامسة، وأن الأمر استمر لسنوات.

قانون لعودة المجرمين

ترفض «إسرائيل» بشكل روتيني تسليم مواطنيها بمن فيهم الأشخاص الذين فرّوا إليها هاربين العدالة من خلال قانون العودة الخاص بالمجرمين. يُعدّ هذا القانون عنصريا بصافيه الكفاية، إذ يطالب بحقّ اليهودي في أن يكون في فلسطين بناءً على مزاعم اسلاف عمرها الفا عام من جهة وينكر حقّ العودة لملايين الفلسطينيين الذين طُردوا من وطنهم من جهة اخرى.

يونا واينبرغ

مجرم جنس مدان فرّ إلى «إسرائيل» بعد الاعتداء على صبي يبلغ من العمر 11 عاماً في كنيس يهودي. حُكم عليه بالسجن 13 شهراً، عام 2009، بعد إدانته بالتحرش بصبيين في الحادية عشرة. بحسب شرطة العدو، منع انتقال واينبرغ إلى «إسرائيل» عام 2014 مع زوجته وأطفاله إلقاء القبض عليه واتهامه بارتكاب أي جريمة.

مردخاي يومتوف

أدين في الولايات المتحدة بثلاث تهم تتعلق بإساءة معاملة أطفال كانوا من طلابه، تتراوح أعمارهم بين 8 و10 سنوات.

أُطلق سراحه بعد فترة من السجن، ووُضع تحت المراقبة، إلّا أنّه انتهك شروط الإفراج المشروط وفرّ إلى الكيان الإسرائيلي عبر المكسيك، مستخدماً وثائق مزوّرة.

باروخ لانر

متحرش جنسي أميركي وحاخام سابق في منطقة نيويورك. مُنح وضع الإقامة المؤقتة في «إسرائيل»، فيما قُيّد طلبه بالحصول على الجنسية «الإسرائيلية». قضى لانر نحو ثلاث سنوات في السجن بتهمة الاعتداء الجنسي على طلاب في مدرسة ثانوية يهودية. وهناك تقارير تفيد بأنه ارتكب إساءات جنسية وجسدية وعاطفية تورّط فيها عشرات المراهقين الذين كان مسؤولاً عنهم.

أفروهوم موندرويتز

غادر موندرويتز بروكلين إلى «إسرائيل» عام 1985 بعد اتّهامه بممارسة الجنس مع أربعة قصّر. اعتقلته الشرطة الإسرائيلية عام 2007، وظلّ تسليمه مقيّداً في المحاكم «الإسرائيلية» ابتداءً من عام 2010.

إليعازر بيرلاند

سمحت محكمة في القدس للجاني اليعازر بيرلاند، المدان بارتكاب جرائم جنسية والذي قضى عدة سنوات في الخارج، بالسفر إلى أوكرانيا لأداء فريضة الحج في عطلة رأس السنة اليهودية. أخيراً، أُطلق سراح بيرلاند، زعيم طائفة شوفو بنيم، بعدما قضى جزءاً من عقوبته بالسجن لمدة 18 شهراً بتهمة الاحتيال. قبل ذلك، أمضى ثلاث سنوات هارباً في أوروبا وأفريقيا بعد مزاعم بارتكابه جرائم جنسية. ألقيَ القبض عليه عام 2016 وأدين بتهمتَي أفعال مخلّة بالآداب وقضية اعتداء.

الرسمية Gazette

الجمهورية اللبنانية
وزارة الداخلية والبلديات

تعليق التمديد للبلديات

نُشر قرار المجلس الدستوري رقم 2023/4، في الجريدة الرسمية بتاريخ 2023/5/2، القاضي بتعليق مفعول قانون تمديد ولاية المجالس البلدية والاختيارية، وذلك لحين البتّ بالمراجعة، ممّا يعني أن الخيارات أمام وزارة الداخلية باتت محدودة، إذ يتوجّب عليها إمّا المباشرة بإجراءات الانتخابات اللوجستية، أو استصدار قرار عن وزير الداخلية والبلديات يُطلب من خلاله من المجالس البلدية الاستمرار بمهامها كما حصل في العام 1997.

المجلس الدستوري
قرار رقم 2023/4
تعليق مفعول القانون الصادر عن مجلس النواب بتاريخ 2023/5/2 بتمديد ولاية المجالس البلدية والاختيارية

سين جيم

المناطق الاقتصادية الحرّة على حساب العاملين

تخلق المناطق الاقتصادية الحرّة مساحات داخل حدود الوطن، تتميّز بأحكام مختلفة عن بقية اراضي الجمهورية، وتهدف إلى جذب رؤوس الاموال وتشجيع المبادلات التجارية بعيداً عن الرسوم الجمركية والضرائب والتعقيدات الإدارية. وهو امر مهم وضروري، ولا سيّما في المرحلة الاقتصادية الدقيقة التي يمرّ بها لبنان اليوم. لكنّ النمو الاقتصادي للبلاد لا يمكن ان يحدث على حساب العاملين داخل تلك المناطق. فبعد الاطلاع على قانون «إنشاء المنطقة الاقتصادية الخاصة في طرابلس» كمثال، تبيّن ان احكامه تقارب مسالة «الحقوق الاجتماعية للعاملين» بكثير من الاستهتار، إذ يُخالف الاتفاقيات الدولية ذات الصلة بمعايير العمل الدولية، ويجافي مبدأ الحماية الاجتماعية لجهة عدم مراعاة حقوق العمّال المنصوص عنها في قانوني الضمان الاجتماعي والعمل

(ارشيف ـ مروان طحطح)

صادف علوية

ما هو الإطار القانوني الذي يُطبّق داخل حدود المنطقة الاقتصادية الخاصة في طرابلس؟

■ صدر القانون الرقم 18 في 2008/9/5 تحت عنوان قانون «إنشاء المنطقة الاقتصادية الخاصة في طرابلس» (نُشر في الجريدة الرسمية العدد 38، بتاريخ 2008/9/18)، وتضمّن أحكاماً خاصة لتشجيع الاستثمارات داخل حدودها. لكن أكثر ما تميّزت به هذه الأحكام أنها جاءت على حساب حقوق العاملين في المؤسسات التي ستعمل ضمن هذه المنطقة، كما صدرت مراسيم تطبيقية تحدّد أصول منح التأشيرات والإجراءات الجمركية المطبّقة وأصول منح تراخيص العمل داخلها.

ما هي الاحكام الاستثنائية التي تُطبّق داخل حدود المنطقة الاقتصادية الخاصة في طرابلس خلافاً لجميع القوانين والاحكام المرعية التطبيق؟

منح القانون لهيئة إدارة المنطقة الاقتصادية الخاصة الحقّ الحصري بممارسة صلاحيات جميع الإدارات العامة والمؤسسات العامة والبلديات في ما يتعلق بمنح التراخيص الإدارية وإجازات البناء، وفق المخطط التوجيهي والنظام التفصيلي العام الموضوع للمنطقة وقوانين ومراسيم البناء، باستثناء تلك التي يعود منحها لمجلس الوزراء والسلطات الأمنية، في ما يخص المشاريع الاستثمارية التي تخضع لأحكام هذا القانون (أو الأنظمة التطبيقية لأحكامه). كما منح المشغّلين مهام توفير بعض الخدمات في المنطقة عن طريق تولّيهم مسؤولية إقامة مشاريع إنتاجية مثل الكهرباء وخدمات الاتصالات والماء وغيرها، وتشغيلها بصورة مستقلة في المنطقة بأسعار منافسة وفقاً للترتيبات الناشئة عن العقد.

كما حُدّدت في المادة الثانية من القانون الأصول والأحكام التي ترعى المسائل التالية:

● الشؤون المتعلقة بالهيئة العامة لإدارة المنطقة الاقتصادية وضبط شؤونها.

● بناء البنية التحتية والمنشآت في المنطقة وتجهيزها وتشغيلها وشروط استثمارها وإداراتها والأعمال المسموح القيام بها ضمن حرمها.

● أصول الترخيص للعمل في المنطقة الاقتصادية.

> **أخضع القانون العمّال في المنطقة للاتفاقات التعاقدية الناشئة بين الفرقاء من دون أي اعتبار لقانون العمل او طوارئ العمل او الضمان الاجتماعي او مراسيم الحدّ الأدنى للأجور**

● أصول منح الموافقات والإجازات لإدخال البضائع والمواد الأوّلية والبضائع نصف المصنّعة إلى المنطقة وإخراجها منها وغيرها من التدابير والإجراءات الرامية إلى تنظيم العمل داخلها.

● الحوافز والتسهيلات والإعفاءات الممنوحة للمشاريع التي تنشأ في نطاق هذه المنطقة.

● أصول حل النزاعات بين المستثمرين أو بينهم وبين هيئة إدارة المنطقة.

ما هو هدف المنطقة الاقتصادية الخاصة؟

تعمل المنطقة الاقتصادية الخاصة على إنماء الاستثمارات المحلية والعربية والأجنبية، وتشجيع المبادلات التجارية الدولية وتطويرها. كما أنها تهدف إلى «تعزيز النشاط الاقتصادي في لبنان، وتحقيق الإنماء المتوازن في مختلف المناطق اللبنانية، وإيجاد فرص عمل جديدة في مختلف المرافق الاقتصادية، وتشجيع الاستثمارات في المجالات الصناعية والتحويلية والسياحية، وغيرها من النشاطات التي تصبّ في تحريك العجلة الاقتصادية وتساهم في النمو الاقتصادي للبلاد».

ما هي حدود المنطقة الاقتصادية الخاصة؟

يشمل موقع المنطقة الاقتصادية الخاصة في طرابلس المساحات التالية:

أ. الأراضي المستحدثة والتي تُعدّ قسماً من الأملاك العمومية البحرية في محافظة لبنان الشمالي والتي تبلغ مساحتها 500178 متراً مربّعاً، والمبيّنة خريطتها بالمرسوم الرقم 1791 الصادر في 2009/4/23.

ب. مساحة 75,000 متر مربّع من معرض رشيد كرامي الدولي المبيّنة حدودها على الخريطة المرفقة (المادة الأولى من المرسوم الرقم 2897 تاريخ: 2018/5/3).

تجدر الإشارة إلى أن المساحات المشار إليها تُعدّ مساحة أوّلية لإطلاق المنطقة، ويمكن زيادتها لاحقاً وفق تطوّر عملها وذلك بموجب مرسوم يُتّخذ في مجلس الوزراء.

ماذا عن حقوق العاملين لدى المستثمرين في المنطقة؟

خلافاً لأي نص آخر، أخضع القانون علاقات العمل بين الأجراء والمؤسسات العاملة في المنطقة والمتعلقة بشروط الأجر والصرف من العمل للاتفاقات التعاقدية الناشئة بين الفرقاء (المادة 28)، من دون أي اعتبار لقانون العمل أو قانون طوارئ العمل أو الضمان الاجتماعي أو مراسيم الحدّ الأدنى للأجور وبدل النقل ومنح التعليم. كما أن الموافقة المسبقة بشأن إجازة العمل للعمّال الأجانب تصدر عن المرجع المختص في الهيئة، وليس عن وزارة العمل. وكذلك منح الهيئة الصلاحية والحق في منح وتجديد طلبات الترخيص بالعمل أو طلبات تجديد العمل العائدة لأصحاب عمل أو لأجراء دخلوا إلى لبنان لتعاطي عمل في المنطقة (المادة 29).

وبالتالي، فإنه استثنى من أحكام الضمان الاجتماعي المستخدمين والأجراء العاملين في المؤسسات الاستثمارية المنشأة في المنطقة، وأعفى أصحاب العمل الذين يستخدمون هؤلاء الأجراء في المنطقة من موجب التصريح والتسجيل ودفع الاشتراكات المتوجّبة للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي. في حين أنه ألزم أصحاب العمل المعنيين بالاستفادة من الإعفاءات المبيّنة أعلاه تأمين تقديمات صحية فقط لأجرائهم ومن هم على عاتقهم، مماثلة أو تفوق تلك التي يوفرها الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي للمنتسبين إليه فقط (المادة 31)، من دون باقي التقديمات الاجتماعية كنهاية الخدمة والتعويضات العائلية.

ما هي الإعفاءات الضريبية التي يتضمّنها القانون للمستثمرين في هذه المنطقة؟

نصّ القانون في الفصل السابع على الحوافز والإعفاءات التالية:

● أعفى المشروع الاستثماري من الرسوم الجمركية بما فيها معدل الحدّ الأدنى لهذه الرسوم ومن رسم الاستهلاك الداخلي ومن الضريبة على القيمة المضافة ورسوم الاستيراد والتصدير على الآليات والأجهزة والمعدات والمواد والسلع التي يستوجبها المشروع.

● أعفى أرباح المؤسسات التي تنشأ في المنطقة ضمن شروط محدّدة من ضريبة الدخل.

● أعفى الرواتب وملحقاتها للمستخدمين والأجراء العاملين في المؤسسات المنشأة في المنطقة من ضريبة الدخل.

● أعفى أصحاب العمل الذين يستخدمون هؤلاء الأجراء في المنطقة من موجب التصريح والتسجيل ودفع الاشتراكات المتوجّبة للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي.

● أعفى الأبنية والإنشاءات العقارية التي تقام في المنطقة من رسوم الترخيص ومن ضريبتَي الأملاك المبنية والأراضي.

● أعفى الشركات المغفلة على أنواعها التي يكون هدفها إدارة مشروع استثماري في المنطقة من شرط وجود أشخاص لبنانيين طبيعيين أو معنويين في مجالس إدارتها.

● أعفى إصدارات الأسهم والأوراق المالية التابعة للمؤسسات العاملة في المنطقة من أي رسوم وضرائب.

القانون الرقم 2008/18 «قانون إنشاء المنطقة الاقتصادية الخاصة في طرابلس»

في العمق

التعامل مع الجرائم خارج المدن

القضاء والإنماء المتوازن

سمر فرحات

لا يغيب بند «الإنماء المتوازن» عن التصريحات والخطابات الانتخابية والبيانات الوزارية، لكنه غالباً ما يبقى حبراً على ورق. بعيداً عن المشاريع التنموية والخدماتية، فإنّ السؤال عن انسحاب الإنماء المتوازن «قضائياً» على القرى والمناطق البعيدة عن المدينة، فقد قيمته لدى البعض، وخاصة سكان الأرياف المهمّشين من الدولة منذ ما قبل الأزمة. تطول لائحة معاناة هذه المناطق، لكن يبقى الوضع الأمني فيها في أعلى سلّم الأولويات. فمع تزايد نسب الجرائم، من قتل وخطف وسرقة، وترافقها مع شلل السلطة القضائية، تتضاعف المخاوف، ويجد المواطن نفسه أمام مسؤولية حفظ أمنه وأمانه، لذلك بات اللجوء إلى «الأمن الذاتي» يأخذ منحى خطيراً. فهل القضاء «مع» أم «على» الإنماء المتوازن؟

اقتحمت عصابة مسلّحة، مساء 12 نيسان الفائت، منزل المواطن محمود شور بن بلدتي جنّاتا وطورا شرقيّ مدينة صور، وسرقت 30 ألف دولار أميركي و250 مليون ليرة وذهباً بقيمة 50 ألف دولار. أثارت الحادثة الرعب في نفوس المواطنين، وخاصة سكان المناطق الريفية النائية، وأعادت الحديث عن خطورة الوضع الذي نعيشه، وحول جدوى وفعالية إجراءات الحماية الذاتية كوضع نظام كاميرات مراقبة داخل المنازل.

محمد، أحد سكان المنطقة، يؤكد لـ«القوس» أن «أغلب السكّان، وخاصة الذين تقع بيوتهم في مناطق نائية، يعمدون إلى تركيب كاميرات مراقبة، إلا أن ذلك لم يحدّ من جرائم السرقة، فلا يزال اللصوص يقتحمون المنازل تحت أعين هذه الكاميرات». وفي هذا السياق، يقول صاحب محل لبيع كاميرات المراقبة في مدينة النبطية: «سابقاً، كان معظم زبائني من أصحاب المؤسسات التجارية والمالية، أمّا اليوم، فقد دفع الوضع الأمني المتردّي المواطنين لاتخاذ مختلف إجراءات الحماية الفردية وأخذ بعض الاحتياطات حفاظاً على سلامتهم، ومنها أنظمة المراقبة المنزلية».

كذلك أقدم كثيرون على شراء أسلحة للحماية من أي خطر قد يواجههم، وهذا «الخطر» قد يزداد ليشمل في الطرقات التي تغيب عنها كل أشكال الإنارة، ما يشكّل غطاءً مُرتكبي الجرائم. وهذا ما حدث قبل شهر، عندما تعرض شاب وفتاة على طريق صيدا - جزين في كفرفالوس، للطعن والسرقة من قبل شابَّين كانا يستقلان دراجة نارية. تقول هلا التي تعمل ممرضة في أحد مستشفيات الجنوب: «ما كنت أعمل حساب قبل للطريق، كان كتير أمان. بس هلق الوضع صار كتير بيخوّف. كل يوم منسمع عن سرقات وجرايم قتل، وبيجينا حالات بنص الليل نتيجة هالشي».

البلديات شريك أم بديل؟

رغم محدودية الصلاحيات والإمكانات، إلا أن البلديات، وفي ظل الأوضاع الأمنية المتوترة، لعبت دوراً مهماً ضمن نطاقها في الحفاظ على الأمن، سواء من خلال التنسيق والتواصل بين أبناء البلدة، أو من خلال التنسيق مع القوى الأمنية وحلّ بعض المشكلات، أو من خلال الشرطة البلدية التي تمثّل «ضابطة عدلية» في حدود الصلاحيات الممنوحة لها. إذ تُساند الشرطة البلدية القوى الأمنية في أعمال المراقبة والتوقيفات، كما تقوم بدوريات ليلية منعاً للسرقات والمخالفات.

من جهة ثانية، عملت بعض البلديات على تنظيم إقامة النازحين السوريين ضمن نطاقها من خلال تسجيل أسماء المقيمين وأماكن عملهم، ما ساعد في الحدّ من الفوضى التي ترافقت مع النزوح السوري، كما خفّف من النزاعات والخلافات التي كانت تقع ضمن بعض المناطق بين أبناء البلدة والنازحين. وفي هذا السياق، يشير رئيس بلدية النبطية، أحمد كحيل، إلى أن «البلديات لا يمكن أن تحلّ مكان القضاء مهما قامت بإجراءات، وليس من صلاحياتها تطبيق البدائل. فالقانون الذي يحكم عمل البلديات واضح ومحدّد لجهة الصلاحيات والحدود التي يمكن

> خطر «الأمن الذاتي» وسياسة الإفلات من العقاب قد ينسحبان على بقية المناطق فتتحوّل إلى كانتونات مغلقة تزيد من حدّة الخلافات الطائفية بين اللبنانيين

التحرك ضمنها ووفقها». ويضيف: «الظروف المعيشية والاقتصادية، والوضع العام للدولة التي تنهار شيئاً فشيئاً هي العامل السلبي الذي حدّ من سلطة القانون وقدرته، وأثّر على رعاية الدولة لمواطنيها، إذ لم تعُد تؤمّن لهم مقوّمات الحياة الأساسية اليومية. كل ذلك زاد من حجم المخالفات، والتعاطي مع الدولة وكل من يمثّل الدولة على أنّه خصم وعدوّ». كما يؤكد أن «كل تلك المشاكل هي نتيجة طبيعية للضائقة المعيشية والاقتصادية، ما يزيد من حدّة التوتر الأسري والاجتماعي».

من جهة أخرى، يشير كحيل إلى «أن القضاء، الذي يعمل بشكل نسبي، يحاول أن يغطي المخالفات ويحفظ الحقوق. لكن إذا بقيَ الوضع العام على حاله، فإن الهوّة ستكبر وستكسر هيبة القانون أكثر». وعن الوضع الأمني في النبطية، يشرح كحيل «التعاون القائم بين البلدية والقوى الأمنية، والعلاقة الطيّبة مع المواطنين والاحترام المتبادل ودور الأحزاب الإيجابي وحضورهم الاجتماعي والميداني القائم بين الناس، ودور الجمعيات والفعاليات في الوساطات بين الأفراد والجماعات، كل ذلك أدّى ويؤدّي إلى التخفيف من حدّة الخلافات والقدرة على إيجاد الحلول والبدائل».

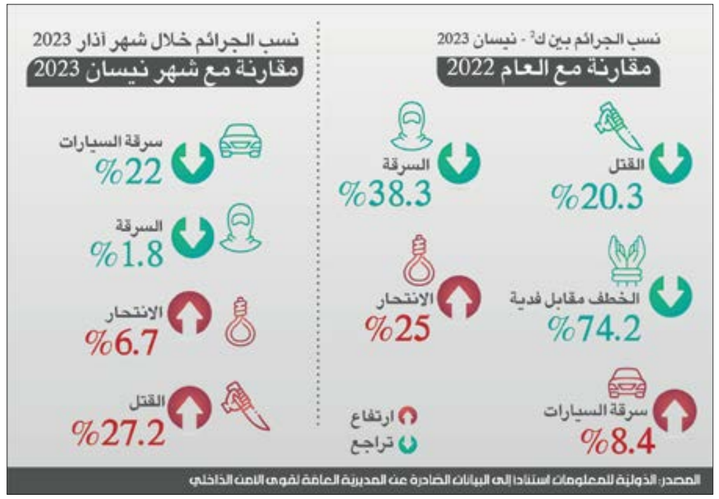

الامن الذاتي.. خطر

جماعات مسلّحة، وخطف، وقتل، وقذائف، سلاح متفلّت وغياب لسلطة الدولة. هذا ليس مشهداً من فيلم رعب وإنما عملية ثارية بين بعض العشائر. صحيح أن هذه الظاهرة ليست جديدة في لبنان، لكنها أخذت منحى أكثر خطورة في ظل الأوضاع الأمنية المتردّية، وفي ظل اختراق هذه العشائر من قبل بعض الأحزاب، ما حوّل مفهوم «الأخذ بالثار» إلى مفهوم سياسي تتداخل فيه المصالح الحزبية. وبمعزل عن هذه الأنماط والسلوكيات، فإنّ سكان هذه المناطق يطالبون بشكل مستمر بتدخل الدولة وببسط سلطتها خوفاً من تفلّت الوضع. وكان الشابّان علي ومحسن عباس العمار قد قُتلا قبل عدة أيام في بلدة مشغرة البقاعية نتيجة «جريمة ثارية» بحسب ما أعلن ذوو الضحايا. أعادت هذه الجريمة إلى الواجهة الحديث عن سياسة الإفلات من العقاب بدلاً من المحاسبة، وعن مخاطر «الأمن الذاتي» الذي قد ينسحب على بقية المناطق فتتحوّل إلى كانتونات مغلقة تزيد من حدّة الخلافات الطائفية بين اللبنانيين.

في المقابل، لم تكن تداعيات غياب القضاء بهذا السوء في بلدات أخرى، حيث وجد وجهاء بعض العائلات المرموقة فرصة للتنازر والتكاتف واللجوء إلى حلّ الخلافات والنزاعات بين أبناء البلدة بالطرق السلمية.

الوضع الامني جيّد.. ولكن!

شهدت الأرقام والمؤشرات الأمنية تحسناً ملحوظاً خلال الأشهر الثلاثة الأولى من هذا العام، مقارنة بالفترة ذاتها من العام 2022، غير أنّ مقارنة تلك المؤشرات بين شهري شباط وآذار من هذا العام أظهرت ارتفاعاً في نسب الجرائم.

(أرشيف ـ مروان طحطح)

سين جيم

التجنّي على الليطاني بالجرم المشهود

باشرت المصلحة الوطنية لنهر الليطاني، الاسبوع الفائت، متابعة تنفيذ الحكم الرقم 2018/7043 الصادر عن القاضي المنفرد الجزائي في زحلة محمد شرف بتاريخ 2019/9/5 بحق كل من ن. ق. وشركة «ق. ش.» من البند الرابع في الفقرة الحكمية. ويقضي بإلزام المدعى عليهما، سندا لقانون المياه، بتنظيف مجرى نهر الليطاني في المنطقة الموازية لمعملهما وبمسافة كيلومترين (2 كلم) باتجاه الجنوب. وبان يزرعا على ضفّتي النهر في المنطقة عينها ثلاثة آلاف غرسة من اشجار الصنوبر. والف نبتة من قصب السكر على طول 300 متر من المنطقة الممتدة من معمل الشركة وصولاً إلى نهر الليطاني. وكانت المصلحة الوطنية لنهر الليطاني قد ادّعت على الشركة اعلاها بجرم تلويث نهر الليطاني وقد جرى إلزامها باستكمال مقتضيات الالتزام البيني وبإصلاح الوسط المائي. ما اهمية الاحكام الصادرة بحق الملوّثين لنهر الليطاني؟ وما هو حدود صلاحيات المصلحة الوطنية لنهر الليطاني في الادّعاء على المؤسسات الصناعية ومقاضاتها؟ وما هو الإطار القانوني الذي يحدّد طبيعة الجرائم المرتكبة على الموارد المائية في لبنان؟ يجيب عن هذه التساؤلات المدير العام للمصلحة الوطنية لنهر الليطاني سامي علوية

(هيثم الموسوي)

فاطمة خشاب درويش

ما اهمية الاحكام الصادرة بحق الملوّثين لنهر الليطاني؟

تأتي هذه الأحكام القضائية بعدما أصبحت المصلحة الوطنية لنهر الليطاني مختصّة وصاحبة صلاحية في مداعاة ومقاضاة كل ملوّثي النهر، وخصوصاً المؤسسات الصناعية. ولهذه الأحكام أهمية كبرى على المستويَين البيئي والقانوني.

نُطبق في مصلحة الليطاني قانون المياه، وهناك تقصير من وزارة العدل وغيرها، لأنها لم تبادر إلى تلقّف القانون لجهة تنظيم عمل مؤسسات المياه ووزارة الطاقة كضابطة عدلية تسطر المحاضر، إلى جانب غياب دورها في المجال التدريبي لما يسمّى بالجهاز القضائي والجهاز الأمني المولج بملاحقة الجرائم المائية. هذا الأمر يذكّرنا بمحاولات الحدّ من تطبيق قانون البيئة وعرقلة ما يُسمّى إنشاء «الضابطة البيئية».

ما هي القوانين في ما يتعلق بالتلوّث المائي؟ وما هي صلاحيات المصلحة الوطنية لنهر الليطاني؟

قبل عام 2018، لم تعدّ المصلحة الوطنية نفسها، ولا القضاء ولا حتى جهات الإدارة، أنها مختصة بتطبيق القوانين. لكن بعد صدور قانون المياه الرقم 77 بتاريخ 2018/4/13، والتعديل الذي أجرِي عليه، بموجب قانون رقم 192 بتاريخ 2020/10/16. أضيف إلى مهام المصلحة كمؤسسة عامة استثمارية للمياه، اختصاص ملاحقة ملوّثي النهر وحماية المياه. وأصبحت الأحكام الصادرة عن القاضي المنفرد الجزائي بملاحقة الجرائم المنصوص عنها في قانون المياه، ذات طبيعة خاصة ولا يحقّ للاستئناف إيقاف تنفيذها. فإذا تقدمت المؤسسات الصناعية باستئناف أمام محكمة الجنح لن يوقف التنفيذ، باعتبار أنها أحكام ذات نفاذ معجّل.

بناءً على ذلك، بادرت المصلحة إلى تنفيذ الأحكام القضائية التي صدرت بموجب قانون المياه الجديد، والأحكام القضائية التي صدرت بموجب قانون المياه قبل تعديله، والتي لم تستأنف وأبدَت من محكمة الاستئناف لجهة متابعة ومراقبة المؤسسات الصناعية وإلزامها بالإلزامات المدنية المتعلقة والتدابير الاحترازية، لجهة المراقبة وزرع الأشجار على ضفاف النهر.

ماذا عن مفهوم الجريمة المائية الذي كرّسه قانون المياه؟

بتنا نعلم، ولأول مرة، ماهية الجريمة المائية. هي أيّ تعدٍّ على أنظمة المياه والموارد المائية، وكانت معروفة منذ زمن قانون الريّ العثماني والأنظمة التي كانت مطبّقة في مجلّة الأحكام العدلية، ولكن لم تكن معرّفة، ثم بعد ذلك في القرارات الصادرة عن المندوب السامي الفرنسي. إلى أن أصبحنا حالياً أمام تطبيق فعليّ لقانون المياه، الذي يحدّد الجريمة البيئية والية ملاحقتها.

ماذا عن تفاصيل الادّعاء على المؤسسات الصناعية من قبل المصلحة الوطنية لنهر الليطاني؟

تقدّمت المصلحة بإخبار شمل 93 مؤسسة صناعية عامة تلوّث النهر، وتم الادّعاء عليها. جرى الإستحصال على 39 حكماً قضائياً، وتُشرف على هذه الأحكام المحكمة التي عملت على تعيين خبير لتحديد مدى وجود جرم، ومدى وجود تلويث، إذ تتركز مهمة الخبير على تحديد وتصويب سبل معالجة هذا الصرف الصناعي باختلاف المياه المصرّفة والنشاط، إلى جانب التأكد من حسن تركيبه وأخذ العيّنات لضمان تشغيله.

علماً أن الإلزامات المدنية ورفع التلوّث كانا يُسبقان بصدور الحكم من المحاكم، إشراف المحكمة وخبراء من المحاكم، إذ يتابع الخبير كل مؤسسة صناعية صدر بحقها حكم أو تحت قيد الملاحقة، إلى حين صدور الحكم.

وتتعلق الأحكام الصادرة، بالتعويضات الشخصية للمصلحة، والالتزامات المدنية، وتأهيل الوسط البيئي، والتدابير الاحترازية لجهة إلزام المؤسسات بالخضوع إلى الرقابة.

أي، باختصار، إن الخشية من عدم تنفيذ الأحكام لا تشكل خطراً لجهة تركيب المحطة او عدمها، لأن القضاء كان قد أصدر قرارات بتكليف خبراء فنّيين. وبالفعل صدرت تقارير الخبراء الفنّيين لمباشرة المؤسسات المدعى عليها بتركيب محطات تكرير تحت إشراف الخبراء المعيّنين من المحاكم التي أصدرت هذه القرارات.

ما هي الاسباب بالارقام التي ادّت إلى تلوث نهر الليطاني؟

يُعدّ الصرف الصحي أحد أهم الأسباب الملوّثة لنهر الليطاني، إذ

> لو لم يكن هناك فساد في وزارتي الصناعة والبيئة لما أُعطيت تراخيص لمؤسسات صناعية لا تستوفي الشروط البيئية ولم تكن هذه الإشكالية قائمة

يتدفق الصرف الصحي غير المعالج من 69 بلدة بكمية 50 مليون متر مكعّب في النهر. يضاف إليه، التلوّث الناجم عن الصرف الصناعي من مئات المؤسسات الصناعية غير المرخّصة بمعظمها، والتي تقدّر كميته بحوالي 4 ملايين متر مكعّب. أما التلوّث الثالث، فهو ناجم عن التسرّب الزراعي، أي استعمال الأسمدة بشكل جائر، ما تسبّب باجتياح «السيانوبكتيريا» لبحيرة القرعون. وهناك سبب إضافي استجدّ منذ عام 2011، إثر وضع مخيّمات النازحين على ضفاف النهر، والتي تضمّ أكثر من 100 ألف نازح يحوّلون حوالي 2 مليون متر مكعّب من الصرف الصحي في النهر.

هذه الأسباب مجتمعة، يفاقمها غياب الحوكمة وسوء إدارة الموارد المائية وتشابك الصلاحيات وغياب البلا مركزية المرفقية. إلى جانب تعثّر وزارة الطاقة ومجلس الإنماء والإعمار في تنفيذ مشاريع الصرف الصحي الرامية إلى إنشاء محطات تكرير داخل محطات المعالجة في الحوض الأعلى وهي التالية: إبعات، الفرزل، أبلح، زحلة وضواحيها، شرقي زحلة، جب جنين، صغبين، عيتنيت، المرج وتمنين.

علماً أن هناك ثلاث محطات قيد التحضير، تأخّر تنفيذها لسنوات. كما تعمل سبعُ محطات أخرى قائمة، لكن ليس بالقدرة والفعالية المطلوبتين، ويعود ذلك إلى عدم اكتمال شبكات الصرف الصحي التابعة لها.

(راجع «الأخبار»، 6 نيسان 2021، بيانات «الإنماء والإعمار» تدينه: تعثّر ومليارات ضائعة).

ماذا بعد صدور الاحكام؟ هل هناك شركات بادرت إلى تحسين وضعها وبالتالي إنشاء محطات تكرير ومعالجة الصرف الصحي؟

هناك شركات أصبحت مستوفية مقتضيات الالتزام البيئي لجهة تركيب المحطة. ويرتبط أمر مخالفتها من عدمه بتشغيل المحطة. فلقد انتقلنا من مشكلة عدم وجود محطة إلى مشكلة وجوب تشغيل هذه المحطة، ووجوب فاعليّة محطة الصرف الصحي، وهذا ما يستوجب الرقابة. علماً أن جهة الاختصاص هي وزارة البيئة ووزارة الصناعة.

أما في ما يتعلق بمصلحة الليطاني، فتستمد اختصاصها من قانون المياه من جهة، ومن منطوق الأحكام القضائية وفقراتها الحكمية من جهة أخرى.

ما هي المعوقات التي تحول دون رفع التلوّث عن نهر الليطاني؟

90% من التمويل المرصود لرفع التلوّث عن نهر الليطاني مخصّص لإقامة محطات وشبكات صرف صحي، لم يُنفّذ منه إلا 7% من المشاريع لتبقى 80% من مياه الصرف الصحي غير معالجة. والمشكلة أن تداعيات التلوّث أدّت إلى انتشار الأمراض وتلوّث الغذاء، وتسببت في هدر أكثر من 300 مليون متر مكعّب من المياه سنوياً بفعل التلوّث وتعطّل مشاريع الريّ في البقاع. وبحسب المعنيين والخبراء فإن أكثر من 1000 هكتار من الأراضي الزراعية في البقاع تُروى حالياً من نهر الليطاني والروافد مباشرة، أي من مياه ملوّثة بالصرف الصحي بنسب متفاوتة.

إذا كان قانون المياه موجوداً، ما الذي يمنع تطبيقه والحدّ من التلوّث الحاصل في نهر الليطاني؟

ساهم القانون بإصدار أحكام بحقّ الملوّثين، وتُعدّ أحكاماً مهمة جداً، وبادرة أمل تؤكد أن الخسارة ليست محصورة بأموال المودعين وبالفساد والهدر، إنما تتعلق أيضاً بالتعدّي على الموارد الطبيعية ومن أبرزها المياه.

تؤكد غالبية الدراسات أن نوعية المياه مرتبطة بمستوى الشفافية والمساءلة والمشاركة في إدارة الموارد المائية، فكلما ارتفعت مستويات الشفافية ارتفعت نوعية المياه. والدليل أنه لو لم يكن هناك فساد في وزارتي الصناعة والبيئة، لما أعطيت تراخيص لمؤسسات صناعية لا تستوفي الشروط البيئية، ولم تكن هذه الإشكالية قائمة. وكذلك في ما يتعلق بالمحافظات التي تغيب فيها ملكة التسيّب «البلديات» عن القيام بدورها في منع التعدّيات وملاحقتها.

«انتحار» شابّيْن خلف القضبان

تناولت وسائل التواصل الاجتماعي أخيراً، خبر إقدام سجينَين في السجن المركزي في رومية على الانتحار. ووفقاً للوسائل أقدم أحد السجناء الشباب (مواليد عام 2007) الموقوف بقضية سرقة، على شنق نفسه بعد يوم من دخوله إلى «مبنى الحجر» أي المبنى (ج) في السجن المركزي.

وكان قد سبقه سجين آخر في المبنى (د)، قيل إنه حاول الانتحار «عبر تناوله كمية من السبيرتو» وجرت محاولات لإنقاذه قبل وفاته. صدر بعد ذلك بيان عن قوى الأمن الداخلي ذكر أن الموقوف الأوّل نُقل بتاريخ 2023/5/10 من فصيلة الرملة البيضاء إلى المبنى "ج" في سجن رومية، و«هو مبنى مخصّص لاستقبال السجناء الجدد بغية متابعة أوضاعهم الصحيّة بإشراف ممرضين من منظمة الصحة العالمية». وبعد معاينة الجثة من قِبل طبيب شرعي، «تبيّن أن الضحية قضى شنقاً، وليس هناك أي آثار عنف». أما بالنسبة للسجين الثاني (مواليد عام 1991)، وهو موقوف بجرم مخدرات، قد توفي بتاريخ 2023/5/8 بعد نقله إلى المستشفى ولدى معاينة الطبيب الشرعي للجثة «تبيّن أن سبب الوفاة هو توقّف في عضلة القلب». ختمت قوى الأمن الداخلي بيانها بالإشارة إلى أن التحقيق جار بإشراف القضاء المختص.

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون، بشرى زهوة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com